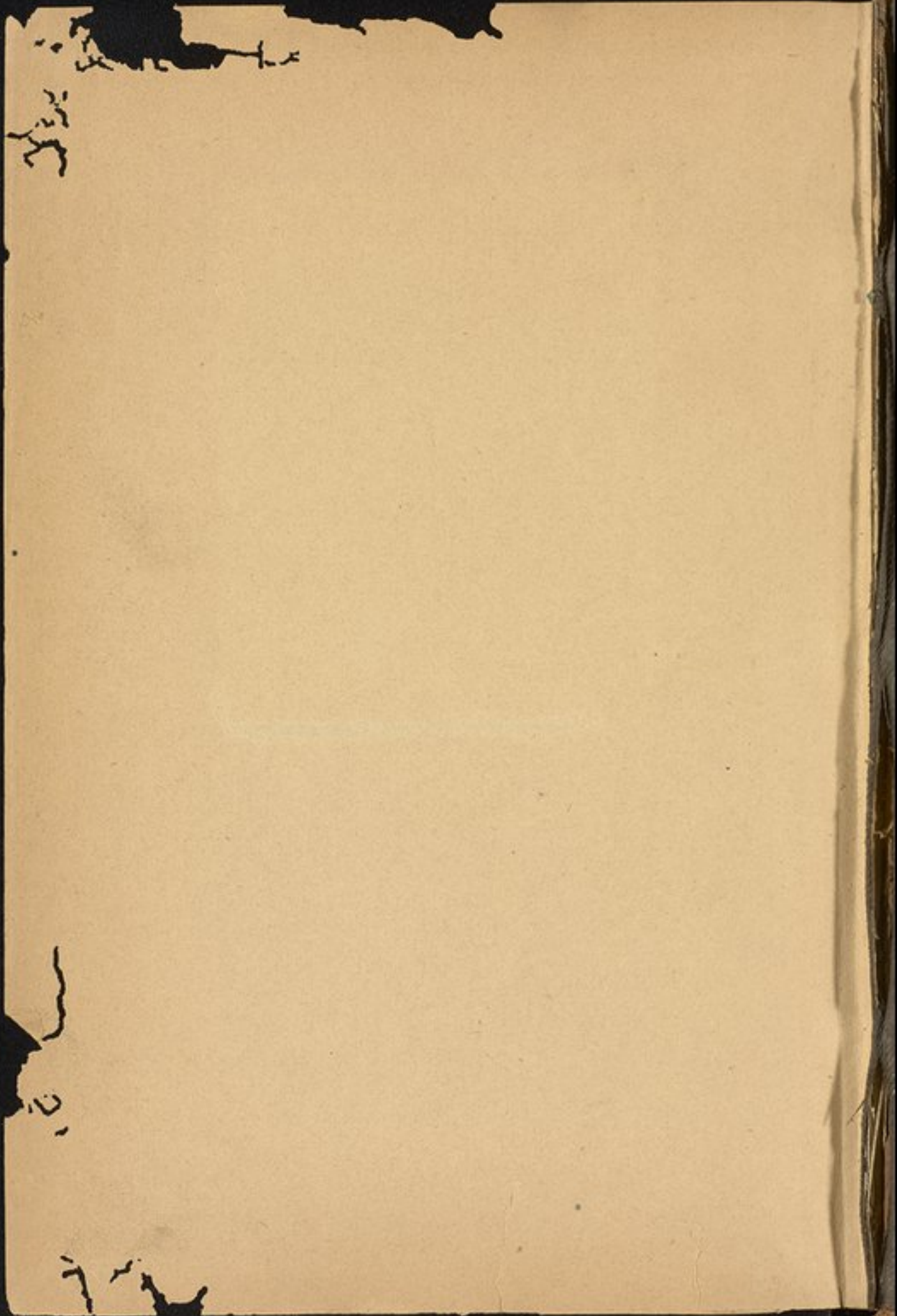


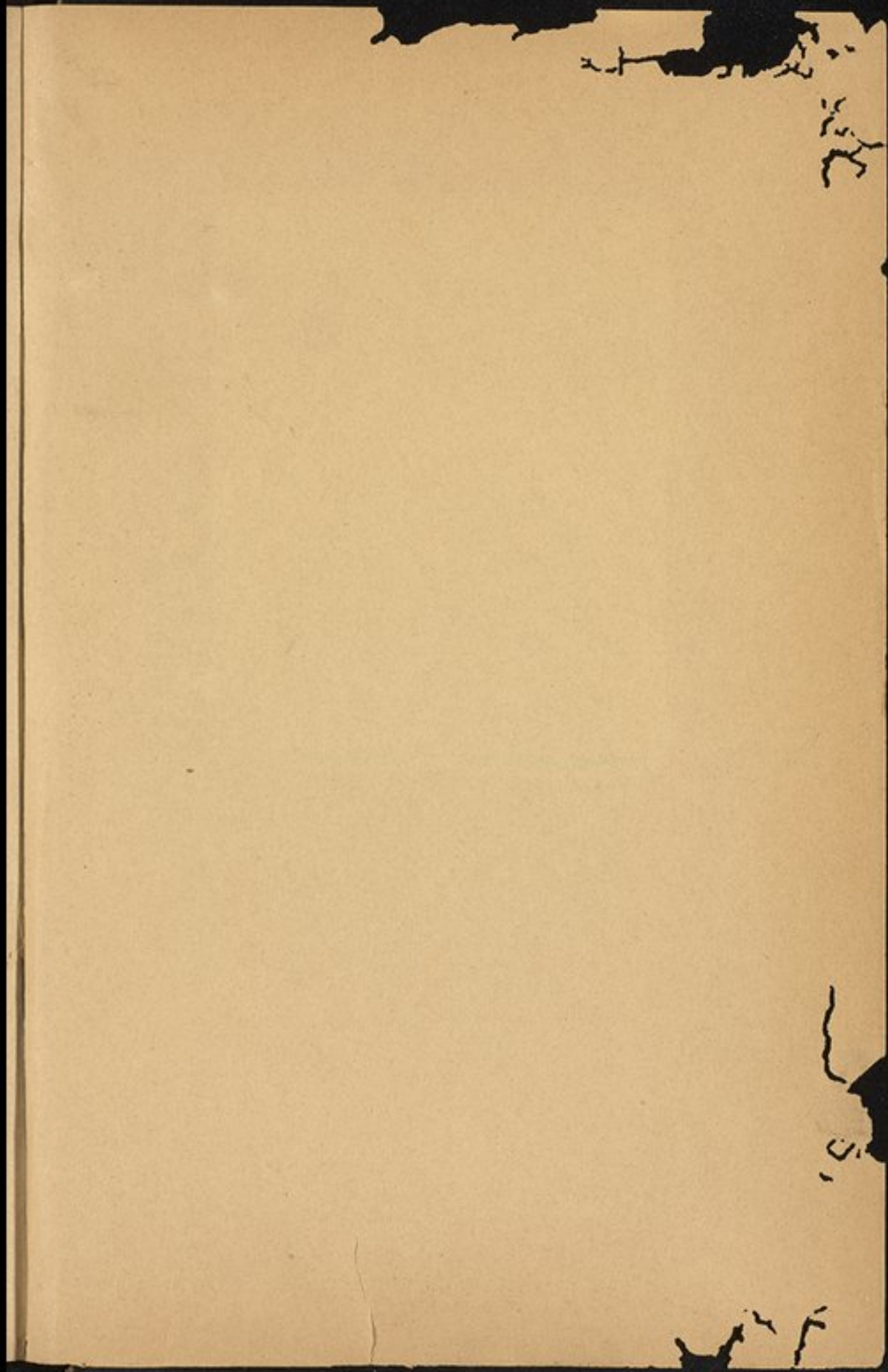
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

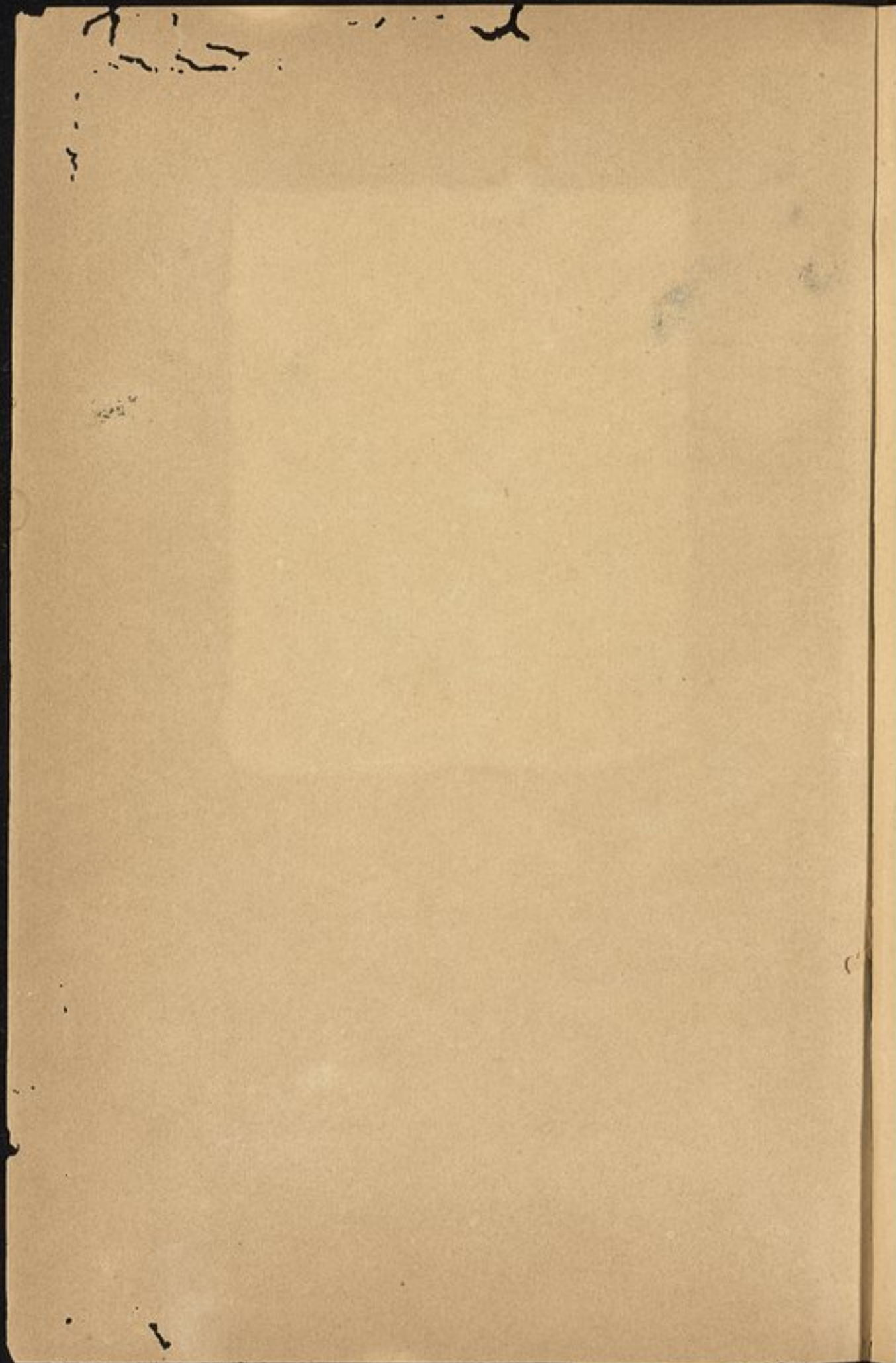
— ◆ —

GENERAL LIBRARY

SEP 18 1973









كتاب الصلاة

مؤلفه السيد محمد باقر المجلسي

تأليفه السيد محمد باقر

تأليفه السيد محمد باقر

تأليفه السيد محمد باقر

تأليفه السيد محمد باقر

١٢١١

١٢١١



عَلَمُ الدِّينِ

لحضرة العالم الفاضل صاحب السعادة

علي باشا مبارك

ناظر الاشغال العمومية المصرية سابقا

الجزء الثالث

طبع في مطبعة جريدة المحروسة بالاسكندرية

١٢٩٩

سنة

١٨٨٢

[Faint, illegible handwritten text]

PJ
7814
.L5
A45

v.3

[Faint, illegible handwritten text, possibly bleed-through from the reverse side]



بسم الله الرحمن الرحيم

المسامرة الثامنة والستون

عوداً الى حكاية يعقوب

فقال يعقوب بعد ان دفع ذلك السائح ما دفعه وحصل
التراضي بين سيدي وبينه بتنا تلك الليلة في البلد وبات يودعني
من كنت اعرفه خصوصاً من كنت عنده وجميع اهل بيته فلما اصبح
الصباح قمنا للسفر فركبنا قاصدين الساحل فلم نصله الا بعد عشرة
ايام شاهدنا فيها من حر الطريق ووعره مشتقات عظيمة لان جميع
الطرق بهذه البلاد قد تخللتها الجبال والغابات والبرك والاجمات
فكنا نبيت تارة في بعض القرى وتارة في محلات اخرى خالية عن
القرى وكان مع السائح اوامر واعلامات من لدن الحكومة

ومأمورون من قبل الملك فكنا اذا مررنا بقرية او حلة حصل
 لنا من اهلها الاكرام والاحترام ولكن كان يخف بنا اهلها يستغربون
 صورتنا ويقاملون في هياتنا فكان من معنا من المأمورين بتوصيلنا
 بنحوهم عنا واذا احتجنا الى شي بادروا به ودفع السائح ثمنه من عنده
 وغير ذلك كان يعطي لمشاخ البلاد التي كنا نزل بها بعض هدايا
 مما يجب في تلك الجهات مثل قطع من قماش وشي من الخرز
 واساور من زجاج وكانوا يهدون الينا بعض اشربة من الروم
 والنبيد ومازلنا سائرين حتي وصلنا مدينة (بوري) وهي محل
 اقامة الملك المتصرف في جهات (سياد البونا) (اعني نهر جبال
 السباع) وهي على بعد ثمانية فراسخ من مصب النهر المذكور في
 البحر وكان خبرنا وصل اليه قبل قدومنا عليه فارسل لاستقبال
 صاحبي السائح جماعة من امرائه وقواد عسكره فاستقبلونا بالبشر
 والطلاقة مع التوقير والاحترام ومزيد الاكرام وساروا بنا الى ان
 وصلنا اليه فوجدناه جالسا على حصير وحوله امرائه وحشمه وعلى
 البعد منه بعض عساكره واهل بلاده فلما رأنا قام لنا وتلقانا ومد
 يده الى السائح فصافحه وهز يده واجلسه بجانبه ثم سأله عني فاخبره
 بقصتي وشرح له قضيتي وكيف خلصني ممن كنت معهم حتى
 صرت معه فهنا في الملك ببعض كلمات انكليزية وكان يعرف
 قليلا من لغة الانكليز بسبب ان لهم بالقرب منه محلات للتجارة فيها
 حاكم انكليزي كان يزور الملك لبعض حاجاته ويذوره الملك في

بعض الأخيان فتعلم بعض هذه اللغة بسبب المخالطة
ثم أهدى إليه صاحبنا السائح زجاجات من نبيذ وبعض
الخبز فكافأه عليها بعشر أواق من ذهب وأربعة أعبد ثم استأذنه
وفنا فبتنا تلك الليلة بمحل قد أعد هناك للضيافة

وفي اليوم الثاني توجهنا إلى محل حكومة الإنكليز بهذه البلاد
فوجدنا سفينة عنيد سفرها إلى بلاد الإنكليز إلا أنها في انتظار أتمام
حملتها فاقمنا يومين إلى أن تم وسقها فركبناها وحدث المولى علي
قرب مسافة الانتظار وتخلصي من أهل تلك الديار وكان ما عندي
من شدة الفرح بالعود إلى الوطن والخروج من أرض الغربية
والتخلص من هذه الكربة وشدة شوقي إلى بلدي قد جعل علي
مدة اليومين اللذين مضيا في الانتظار طويلة إلى الغاية حتى كنت
أتحيل أنها أطول من مدة إقامتي في هذه البلاد كلها وهي أربع سنين
فلم أكن في هذين اليومين يهدأ لي سر ولا يهنأ لي عيش حتى
انقضت ونزلنا في السفينة كما ذكرت وسارت بنا فداخني من الفرح
والسرور ما لا أقدر على وصفه وعزمت على أني متى وصلت بلدي
أقمت بها ورجعت إلى صنعتي ورضيت منها بكل ما تيسر وأقمت
مع اختي إلى أن يرزقها المولى بمن يتزوج بها ويغنيها عن الخدمة
وتعبها

وكان ذلك الرجل السائح الذي كنت بصحبته لحسن طاعتي

له وقيامي بخدمته احبني والفني وجعلني عنده بمنزلة ولده وهكذا
كان دأبه معي برًا وبحرًا سفرًا وحضرًا حتى انه نفعتني كثيرًا بعد
وصولي الى بلدي واقامتي بوطني كما اذكره لحضرتكم وطالما افادني
مدة صحبتي له في السفر اخبارًا كثيرة ما شاهده في سياحته وعلمي
امورًا كنت اجهلها ووصف لي كثيرًا من خواص حيوانات
الافريقية ونباتها واشكال طيرها وعجائب الخلائق البرية والبحرية
بها ولا يخفى على حضرتكم ان ارض افريقية على العموم بها من جميع
انواع الحيوانات المفترسة والوحوش الضارية كالاسد والثور والفيل
ما لا يوجد بغيرها وفي الجهات التي كنت بها كثير من هذه
الحيوانات ما واهها الغابات والصحاري واشدها واقساها السبع وهو
في جهات (السني غال) و (غمبيا) عظيم الجثة مهول الخلقه كثير
الجرأة ذو قوة عظيمة وبأس شديد فهو اعظم ما يوجد من هذا
النوع في سائر الجهات كجبال الاطلس مثلاً

ولما خرجنا من الجهة التي كنت بها قاصدين جهة الساحل
وجدنا في طريقنا بعد مسيرة ثلاثة ايام من قرية (تابو) غابة واسعة
فيها اشجار عظيمة قد انطبقت اعاليها وتلاقت فروعها فكنا نراها
كالقبة فوق رؤسنا وقد حجبت عنا اشعة الشمس فلم نكن نراها الا
قليلاً نادراً ولهذا السبب كان داخل هذه الغابة ابرد من خارجها
وكنّا في مدة سيرنا بها نسمع للسبع من جميع جهاتها اصواتاً مزعجة

حتى كنا نخيل لشدة الخوف ان تحت كل شجرة سبعاً وكان من
 معنا من الحرس والخفراء يسرعون ويخثون على السرعة في السير
 خوفاً من اذائها ولكننا والحمد لله لم نر شيئاً منها وما زلنا نجد في
 السير حتى خرجنا من هذه الغابة قريب العصر وسرنا حتى امسينا
 على عين ماء هناك للبيت فنزلنا عندها ومن عادتهم في تلك
 الجهة انهم اذا باتوا في الخلاء اوقدوا ناراً على البعد وتركوها للصباح
 لتنفير السباع والوحوش عنهم وكذلك فعل من كان معنا من
 الخفراء وبتنا على الخوف والخشية من الوحوش والسباع وكانت
 المسامرة تلك الليلة كلها في ذكرها فكان كل من الحاضرين يذكر
 ما سمعه او رآه من امرها وشرها

المسامرة التاسعة والستون

السباع

(من حكاية يعقوب)

فما جرى ذكره في تلك الليلة ما حدثنا به بعض الخفراء وقد رأينا باحدى فخذيه اثراً غائراً في اللحمه فسألناه عنه فقال هذا موضع اكل السبع وذلك اني خرجت مرة مع بعض اصحابي لنصطاد فيلاً من بعض الغابات فلما دخلنا النابة تفرقنا فبعدت عنهم فقصدني سبع فتجلدت ورميته بحربة كانت معي فاصابته ولكنها لم تذهب بقوته فهجم علي بشدة وكان معي سكين ماضية فذبخه بها بعد ان انشب مخالبه في جهات من جسي واقطع من فخذي هذا قطعة عظيمة من لحمي فوقعت على الارض ووقع بجاني ميتاً ثم حضر اصحابي فوجدوني جريحاً طريحاً على الارض والاسد بجاني غريق في دمه فاحتملوني معهم وبقيت مدة من الزمن مريضاً الى

ان شفيت وقال اخر بينما انا سائر مرة في واد واذا باسد قد تعرض
لي في الطريق وكنت وقتئذ لا سلاح معي فلما رأيته لصقت
بالارض واشرت اليه اشارة المتذلل بين يديه فلما رأى مني ذلك
اتى اليّ ودار مرة او مرتين حواليّ ثم تركني وانصرف

قال يعقوب وهكذا قضينا ليلتنا في امثال هذه الاحاديث
والاخبار الى ان طلع علينا النهار فرحلتنا وسرنا في طريقنا الى ان
وصلنا الى الساحل كما ذكرنا وكان من جملة ما افادني ذلك
السائح من خواص الحيوان ان لسان السبع غليظ خشن يعلو
سطحه شوك دقيق كالسل الا انه صلب مادته تشبه مادة القرن
مائل الى جهة الخلف نحو الحلق وقد يبلغ طول الشوكة قدر
اربعة خطوط فاذا لمس انسانا او حيوانا تجرح وسال دمه فتتحرك
منه نهمة الاكل فيفتسه

قال ومن ذلك ان احد الفرساوية كان اصطاد اسدا صغيرا
فرباه حتى كبر عنده وكان لذلك الفرساوي خادم يلاعب الاسد
وينام معه وتارة يعطيه بده فيلمسها فنهاه سيده عن ذلك ونصحه فلم
يرجع ولم يقبل نصحه فبينما هم نائمون ليلة واذا بالشبل قد عمد الى
الخادم وصار يلحس يده بلسانه على العادة فسال الدم فلما رآه لم
يتمالك نفسه فهجم على ذلك الخادم واقتسه فتنبه سيده فراه
كذلك ففر هاربا واستغاث بمن حوله واجتمعوا عليه واطلقوا
الرصاص على الاسد فقتلوه وللأسد في كل فك من فكيه اربعة

عشر سنًا أربعة اماميه وأربعة من خلفها وستة اضراس في كل ناحية من شذقيه ثلاثة وعلى رقبة الذكر خاصة شعر ينتشر اذا هاج وهو لبدهته ويقال ان الانثى من هذا النوع اقوى من ذكره وفي ارجله قصر بالنسبة لتكوين اعضائه وفي كل من الرجلين المتقدمين خمسة اظافر وفي كل من المؤخرتين اربعة وذنبه طويل وشعره خشن متلبد قصير وقد ضرب المثل بجرأته لانه لا يبالي بمجوان ولا يخشى من انسان قلّ او كثير خصوصًا اذا اشتد به الجوع فاذا لم يرد الهجوم والافتراس مضى في طريقه من غير اكتراس ولا مبالاة وليس من طبعه الفرار من عدوه مها كان فان الهجاء الى ذلك تفقر قليلاً قليلاً مع البطء والتأني حتى يصل الى مكان ينزوي فيه ويقال انه مصاب بحمى دائمة وان سبب ذلك التهاب دائم في دمه وزعم كثير من الناس انه لا يفترس المرأة وقال بعضهم ان ذلك لا اصل له ولكنه شوهد مراراً كثيرة يعف عن وقع تحت قبضته وخضع له من الادميين بل ربما شارك في طعامه من عف عنه ابقاء على حياته

ومن طبعه انه يجنهل العطش ثلاثة ايام او اربعة فاذا وقع على الماء شرب كثيراً ومن طبعه ايضاً الخوف من الثعبان ويعلم ذلك منه العرب وسكان الصحراء فاذا وقع باحدهم جعل عمامته على صورة الثعبان ومدّها على الارض فاذا رأى ذلك الاسد تركه ومضى

ويقال ان خيل العرب مع ما لها من القوة وخفة الحركة
وسرعة الجري اذا رأت الاسد استولى عليها الرعب وعدمت الحركة
فتثبت في مكانها ولا تقدر على السير فاذا رأى البدوي ذلك نظر
الى جهة الاسد فان كان قريباً نزل عن فرسه ونام على بطنه
وترك فرسه للاسد فيفترسها الاسد وينجو هو بنفسه وان كان بعيداً
او قد ناراً فاذا رآها الاسد مضى لسبيله وتركه

وتلد انثى الاسود اربعة فاكثر وليس لها غير ثديين وقد
اعتاد الاعراب اخذ اولادها وهي صغيرة ليبيعوها للافرنج فاذا رأتهم
الليرة هجمت عليهم فيرمون لها بواحد منها فتحمله الى موضعها وترجع
اليهم لتلتهم وتأخذ بقية اولادها وفي هذه المدة يكونون قد نجوا بما
معهم ومن طبع الاسد حفظه للود ووفاءه بالعهد فاذا صنع احد
معه معروفاً لا ينساه ابداً

فمن ذلك ما اخبرني به بعض اصحابي . قال كان عند حاكم
(سيار البونا) اسد ظهر على جسده بعض قروح اضرت بصحته
واضعفت جسمه وكان هناك حكيم فأخذته الرأفة عليه والشفقة
به فعالجه حتى برئ واندملت قروحه وتراجعت صحته وقوته فألفه
واحبه وصار يطيعه وينقاد له ويتبعه كما يتبع الكلب المعلم صاحبه

المسامرة السبعون

ابن آوي

(من حكاية يعقوب)

قال ثم ان ذلك الحكيم مرض مرضاً مات فيه فظهر على الاسد
 الحزن حتى منعه من الطعام فمات ولم يعش بعده الا قليلا وفي
 جهات سواحل افريقيا غير ما ذكر كثير من الوحوش والقرود
 والطيور العجيبة ذات الالوان اللطيفة والاشكال الظريفة وانواع
 الحيوانات الغريبة فلا يكاد يمر الانسان من جهة الى غيرها الا
 رأى من عجائب المخلوقات ما لم يكن رآه من قبل ومن جملة ما
 بها من الحيوانات ابن آوي وهو حيوان مفترس في جرم الثعلب
 وكأنما اصله من كلب وذئب لانه يشبهها خلقه وتركيباً ولونه اصفر
 ناصع ولهذا سماه (فيتاوس) الكلب المذهب وبعضهم يسميه بالكلب
 الوحشي وانيابه غليظة في طول اصبع قوي الاظفار ذو قسوة

شديدة يفترس كل ما قدر عليه من انسان وحيوان وكثيراً ما
 رأته في البلاد التي كنت بها يقرب من مباني البلد ويدخل في
 بعض الدور وياخذ ما وقع به من الغنم والخنازير ودخل ذات
 ليلة بيت جارية فاخطف منه بنتاً لها وحملها على عاتقه وجرى بها
 وكان يسندها باحدى قوائمه ويمشي على الثلاث مع السرعة والخفة
 فصاحت البنت فتنبهت الناس لصياحها فقاموا خلفه فرماها لم
 ولم يجدوا بها الا اثرًا صغيراً محل اظافره التي كان قابضاً بها
 عليها ويقال ان هذا الحيوان يهيم الصيد للاسد فيدور من جهة
 الى جهة ليجث عن الصيد فتمى عثره صاح باعلى صوته فيسمعه
 الاسد ويجاوبه ويلتفته وقيل ان ذلك لم يصح وإنما الصحيح انه اذا
 جرى وراء طريدته فادركه الاسد شاركه فيما اصاب

وقد يتألب من هذا الحيوان في بعض الاحيان اربعون او
 خمسون فتنبعث للصيد وتأخذ في عواء شديد جهير واذا اتحدت
 وهي على مثل هذه الحال كانت مكافئة للوحوش الضارية في
 اجامها وتعرضت لاقواها ويساعد بعضها بعضاً في الصيد ونبس
 المتماير وهي تستكن نهاراً منفردة في احجارها وتجمع عند المساء سرباً
 وتغير على القرى للقتل والاغتيال وبين ابن اوي والكلب من
 العداوة ما لا صلح معه فلا يلتقيان مرة الا سطا احدهما على الاخر

المسامرة المحادية والسبعون

النمر

(من حكاية يعقوب)

ومنها النمر وهو حيوان في جرم الكلب السلوقي ومنه ما يكبر
 ويعظم جسمه حتى يصير كالعجل وشعره ناعم براق منقط بنقط سود
 ورأسه كراس الهر اصفر العينين حاد الاسنان خشن اللسان طويل
 الارجل والذيل قصير الشعر حاد الاظافر الى الغاية عظيم الجرأة
 يقدم على الفيل ويهجم عليه وهو كالحمر في غالب صفاته وافعاله
 وحركاته مع الشدة والشهامة كما انه يشبهه في شكل الجسم وان
 كان اكبر من القط في الحجم واكثره قوة وجرأة ما يوجد بافريقيا
 والنمر لبسالته وزيادة قوته لا يصاد حياً الا نادراً لانه اذا وقع في
 حباله قل ان يسلم منه صائده ولذلك يتخذون لصيده نبالا
 مسمومة السنان وهو يعدو على الفيل فيزق خرطومه باظافره

وانبائه فيموت لان خرطوم الفيل بالنسبة له كبده يتناول بها
الغذاء وسلاحه الذي يدفع به عن نفسه الاعداء فاذا فقدت مات
من عدم الغذاء وتسلط الاعداء ومع جرأة النمر وشدة قوته قد
شوهه مرة من بعض الخنازير مقاومته بالكثرة فقد اتفق لبعض
السائحين وكان يقتني الخنازير انه اصطاد نمرًا صغيرًا ورباه فبعد
ذات يوم الى خنزير من تلك الخنازير ليفترسه ففر الخنزير منه الى
مكان ضيق بحيث لم يبق للنمر سبيل عليه الا من جهة واحدة
فتبعه النمر وضائقه فلما لم يبق الخنزير الى الخلاص منه سبيلًا صاح
على اخوته باعلى صوته وكانت منتشرة في نواحي البيت فلما سمعت
هرعت اليه واحاطت بالنمر فلم ينج منها الا بالفرار فولى وتركها
والنمر انواع متعددة يتميز بعضها عن بعض بالالوان والنقط وكبر
الجثة وهو يستحب لحم ما عداه من الحيوان على لحم الادمي ثم لحم
السودان على لحم البيض والاروبيين لكنه اذا جاع لا يفرق بين
ادمي وغيره والسودان ياكلون لحمه كما ياكلون لحوم القبيلة
والاسود وغيرها وكثيرا ما يقتلون من يقصد الاتجار في جلده
ويقال ان فيه قابلية للتعليم الى ان يصير كالكلب المعلم الا انه لا
يوثق به لانه ربما يغلب عليه طبعه بعد حين ويقرب منه نوع
يسمى القط النمري وهو كالنمر في طبعه ولونه الا انه اقل منه جسمًا
ويكون في ارتفاع القط المعتاد الا انه اغلظ منه حجمًا وياكل
الفار وابن عرس وغيرها ومنه نوع يعرف باقياس بوصف

بصفات النمر الافريقي غير ان طوله قلما يجاوز ثلاث اقدام ونصفاً
 الا ان شعره اطول وكذا ذنبه بالنسبة الى جثته ولونه ما بين
 الصفرة والبياض ولكن بطنه اشد بياضاً من ظهره ونقطه كالنقط
 التي في النمر وضعاً وتوشك ان تصير على مؤخره خطوطاً وهو
 من الحيوانات المفترسة الا انه لا يتعرض للادمي الا ان تعرض
 له ولم يمكنه الفرار منه فعند ذلك يثب عليه وينشب مخالبه في
 وجهه ويكرر ذلك مراراً حتى يقتله وبين هذا الحيوان والكلب
 عداوة شديدة فمتى رآه بادر الى الهجوم عليه ليفترسه وياكل من
 لحمه ولو مع اقتحام المخاوف والتعرض للتلف وقد يدرب في بعض
 الجهات ويغرى بالصيد ولكنه ليس له قوة شم حادة كما للكلب
 ويقال ان بعضاً من هذا النوع ربي تربية حسنة حتى كان يؤخذ
 باليد ويخضن

المسامرة الثانية والسبعون

الفرْدَة

(من حكاية يعقوب)

وهناك حيوانات غير ما ذكر متوحشة كالذئب والخنزير
 وغيرها وكلها تشبه في شكلها وتركيب صورتها ما يوجد منها في
 سائر البلاد إلا أن الموجود منها في أفريقيا اعظم جسماً واشد توحشاً
 وأكثر عدداً ويوجد في غاباتها من الحيوانات المتوحشة الجاموس
 والبقر إلا أنها اقل وجوداً من غيرها وقد يكبر الجاموس عندهم
 حتى يصير كالفيلة وإن تعرض له احد بالاساءة هجم عليه فان
 لحمه داسه بارجله واتلفه ومن طبعه انه يحب الماء حباً زائداً ولحمه
 مستطاب لذيد واما البقر فيهرب من الانسان ويسكن الغابات
 ويتناسل فيها فيكثر عدده الى الغاية فيأتي اهل تلك الجهة

وياخذون منه كثيراً ولولا ذلك لضاقت عنه الأرض وهناك من
 نوع الظبا كثير وأكثر وجوده بجهة (أمندا) والساحل وهو أنواع
 ومنه نوع يده أقصر من رجله ويشابه الجمل في ذيله ورأسه
 ووبره وحول اجفانه دائرة من الشعر سوداء كاعين الأيل وصوته
 كصوت المعز ويقبل التاليف والتربية وما يكثر وجوده في تلك
 الجهات الأيل وله أوقات معلومة يخرج فيها للمرعى قطائع متجمعة
 تسافر من شمال نهر (السينجال) إلى جهة جنوبه في طلب المرعى
 وأهل تلك الجهة يعرفون أوقات رجوعها فيستعدون لاصطيادها
 بأن يضرمو النار في الحشيش من جميع الجهات ما عدا جهة
 النهر ويقف جماعة منهم بشاطئ النهر فإذا رأت قطائع الأيل النار
 قد أحاطت بها من كل جانب فرت إلى جهة النهر فيقوم عليها
 الذين كمنوا لها هناك فيقتلون منها ما يقتلونه وياخذون بالحيوة ما
 ياخذونه وما يذبحونه يحففون لحمه في الشمس ليأكلوه وجلده
 ليبيعه للأوربيين أو غيرهم وقد أخبرني ذلك السائح الإنكليزي
 أنه رأى هناك حيواناً صغيراً الجنة في قدر خنزير مضى عليه سنة
 من عمره شعره أبيض قصير دقيق صلب ورأسه كراس الدب
 وعينه ضيقة ذات لمعان وله أظافر حادة يصعد بها الشجر ويأكل
 من ثمارها ويقم بين اغصانها وهو يجري بري يعيش في الماء وفي
 الهواء فلذا يرى دائماً فوق اغصان الأشجار بالقرب من شواطئ

الانهار والسودان يصطادونه وياكلونه

وليس هناك أكثر من القرود عدداً وانواعاً ولا اعجب منها
طباعاً وتسرح متجمعة قطائع عظيمة قد يبلغ عدد القطيع الواحد
منها ثلاثة الاف فاكثرو ولا يمشي واحد منها الا مع ابناء نوعه
ويقال ان لكل قطيع منها رئيسا تطيعه وثنقاد له وحرسا يرتب من
اعظمها جنة وقوة وانها اذا سارت يكون الرئيس امامها والحرس
خلفها والانثى تحمل ولدها تحت ابطها فان كان لها اكثر من واحد
حملت ما بقي على ظهرها وسارت بها

وفي هذا النوع من الحذق والخفة والقوة والجرأة ما يقضي منه
العجب ولا يوجد في كثير من الحيوانات فقد رأيتها حين عودتنا
مع السائح الانكليزي وهي فوق الشجر تثب من غصن الى غصن
ومن شجرة الى شجرة كأنها فوق الارض ولها اصوات مختلفة منها
الرفيع ومنها الغليظ وما بين ذلك ولكنها كانت تارة تصيح دفعة
واحدة فيظن من لم يرها انه صوت واحد منها وقد يسمع لبعضها
في جوف الليل صوت عال يعلو جميع اصواتها فتسكت جميعا
برهة من الزمن ثم ترجع الى ما كانت فيه وكنت رأيت هناك بيوتا
صغيرة كثيرة العدد مصنوعة من اغصان الشجر قليلة الارتفاع عن
وجه الارض متجاورة فسالت عنها بعض الحرس الذين كانوا معنا
فاخبرني انها بيوت للقرود تقي بها حر الشمس وضرر العوارض

وكل ما رأيت من القردة له ذيل ولكن اخبرني بعض السائحين ان منها ما لا ذيل له والقردة انواع فمنها نوع صغير الجنة غير مؤذ وصوته يشبه بكاء الاطفال ونوع اكبر منه خلقه وضرره كثير وفيه بعض فطنة وله حركات وإشارات تقرب مما للآدمي من ذلك فضلاً عن الايدي والارجل حتى ان السودان يعتقدون ان في امكانه النطق وانما يمنعه من ذلك خوفاً من ان يكلف الاعمال الشاقة كالآدمي وضرره على المزارع كثير ومن عاداته انه اذا اراد الدخول في مزرعة من مزارع الارز او الذرة اجتمع منه نحو الاربعين والخمسين وصعد كبيرها على شجرة لينظر الى كل جهة والبقية تدخل في الزرع وتجمع ما شاءت فاذا لمح الذي على الشجرة صاحب الزرع او غيره مقبلاً الى جهتهم على بعد صاح صيحة مهولة فيأخذ كل واحد ما جمعه ويصعد به الى شجرة ولا يزال يثب من غصن الى اخر ومن شجرة الى غيرها واذا كان فيه انثى ذات اولاد اخذتها وصعدت بها كذلك وفعلت فعل البقية حتى يتخلص الجميع ولا يحصل صاحب الزرع الا على الاسف ولذلك كانت كراهة السودان لهذا النوع اشد منها لغيره

ونقل بعضهم عن اهل تلك الجهة ان القردة كثيراً ماتتخطف بنات صغيرة في نحو تسع سنين من العمر وترفعها الى اعالي الاشجار وتبقى عندها ويصطاد السودان من القردة في كل سنة عدداً

كثيراً وياكلون لحمها ومن طرفهم في اصطباؤها من فوق الشجر
ان يخذسوا وجوهها بعصي او رماح طويلة فاذا فعلوا بها ذلك
تركت الاغصان التي هي متعلقة بها ووضعت يديها على محل الجرح
فتسقط على الارض فياخذونها وبالجملة فاستيفاء الكلام على هذا
الحيوان على مثلي متعسر وتفصيل انواعه وافعاله وطباعه غير
متيسر وما من احد الا رأى كثيراً من افراده ويعلم هيأتها واشكالها
وبعض احوالها وانما اقول لحضرتكم ان الذي رأته من عاداتها
اللازمة لها ان افراد كل جنس منها تكون مع بعضها ولا تخلط
بغيرها ومنها نوع يعيش في الغابات ولا يفارقها وهذا النوع اسود
الوجه ما عدا الخد فانه ابيض وفي ذقنه شعرات قليلة كاللحية ولون
جسده يضرب الى الزرقة او البياض او يكون منقطعاً بنقط زرق
او ببيض او حمر ومنه ما يكون هائل المنظر والسودان ياكلون
لحمه فيجففونه ويدخلونه في طيخ الارز ويزعمون انه من احسن
الاطعمة وانت خير بان مجرد منظره كاف في تغير المعدة ومنه
جنس يوجد في بعض اعضائه نوع شبه لاعضاء الأدمي كالوجه
والاذان والذراع وقصبة الرجل والكعب وغير ذلك وكثيرا ما
يرى ماشياً على رجليه الخلفيتين منتصب القامة حاملاً لاثقال
عظيمة ويبلغ طول هذا النوع خمس اقدام وهو عبل الذراعين
ضخم الجثة قوي البنية الا انه قليل الاذى لين الجانب ياخذ بعض

الناس صغيراً فيعوده على بعض الخدمة والعمل فيجعل آنية الماء
على راسه متصباً ويدبر الرحي ويملا الأواني من ماء الآبار والعيون
والانهار ويشوي اللحم الى غير ذلك من خدم يعود عليها ويعلمها
فيعلم ويعود على ما يراد منه من صغره ولا يؤخذ للتربية الا في
صغره وهو في حال توحشه صعب الانتياد شديد القوة يغالب
الرجل فيغلبه ويقلع عينيه ويفعل به افعالاً قبيحة تؤدي الى تلفه
وكثيراً ما يقع بين القرود محاربات شديدة تؤدي الى قتل بعضها
بعضاً

كانت تفرح بالجمال يتبعها بالجمال فيقال لها تتألمين من جمالها
لن الجمال (ن) يتبعها (ن) راجع الى (ن) تتألمين من جمالها
رقية (ن) تتألمين من جمالها (ن) تتألمين من جمالها
فيقال لها تتألمين من جمالها (ن) تتألمين من جمالها
والقوت يتألمين من جمالها (ن) تتألمين من جمالها
منتهى رفق بتألمها الرقيق ولسانها تتألمين من جمالها
عشر تتألمين من جمالها (ن) تتألمين من جمالها
تتألمين من جمالها (ن) تتألمين من جمالها
بعضه تتألمين من جمالها (ن) تتألمين من جمالها

المسامرة الثالثة والمبعون

سنور الزباد

(من حكاية يعقوب)

وهناك من الحيوانات قط الزباد او سنور الزباد وقد يقال له قطة المسك ويوجد كثيراً بين جبل (الاطلس) و (السينجال) وفي ولاية (ناطيا) من ارض الحبش وولاية (كوجا) فوق (سيالبونا) وقد اختلف الطبيعيون في صفة هذا الحيوان فزعم بعضهم انه نوع من الضباع وقال انه في شكل الضبع وقال آخرون انه في حجم الكلب وله خرطوم رقيق الطرف وفي عينيه واذنيه ضيق وله شوارب كشوارب القط وله ذيل غليظ يشبه ذيل الثعلب وعلى ارجله شعر طويل اسود وله في كل رجل خمسة اظافر سود مستقيمة حادة وهو من الحيوانات المفترسة وجرحه مضر

فاذا اراد الصيادون صيده حفروا له حفرة في طريقه فيقع فيها
 فيأخذونه ويضعونه في اقباص من خشب ونحوه ويطعمونه لحما نيئاً
 قطعوه له قطعاً صغيرة ومادة الزباد من هذا الحيوان تجتمع تحت
 ذيله في غشاء كالكيس نحو ثلاث اصابع طولاً واصبعين ونصف
 عرضاً وداخله اغشية متعددة ومن داخلها تلك المادة ويوجد هذا
 الكيس في الذكر عند دبره وفي الانثى عند فرجها وفي الغالب
 يصاد هذا الحيوان في صغره فيؤخذ ويرفي وتؤخذ منه تلك المادة
 وكيفية اخذها منه انهم بعد ان يصطادوه يضعونه في شي كالقفص
 ثم يأتون اليه كل يومين او ثلاثة فيزعجونهم بعصي او نحوها حتى
 ينزوي في ركن من اركان القفص فيقبضون على ذيله ويسحبونه
 من بين عيدان القفص بعنف وشدة فيمسك الحيوان برجليه
 الخلفيتين في القفص بكل قوته فعند ذلك يوضع تحت بطنه شي
 يمنعه الحركة وحينئذ يسهل اخذ المادة منه فيأتون بشيء كالملعقة
 فيدخلونها في ذلك الكيس وياخذون ما تجمع من تلك المادة
 بالانكاء على غشاء الكيس وغاية ما يستخرج من تلك المادة كل
 مرة درهم ونصف او درهمان وهذه المادة تكون في اول امرها بيضاء
 مشوية ببعض زرقعة ثم تشتد بياضاً ورائحتها على البعد الطف
 منها على القرب لانها اذا كانت قريبة كانت مصدعة لقوتها ولذلك
 كان تجار الاعطار يخلطون بهذه المادة غيرها فتعتدل رائحتها ومن
 هذا الحيوان في بلاد الفلنك كثير ولهذا السبب كان اكثر ما

يجلب من الزباد الى بلاد الانكليز والفرنسيس وغيرهم وارثاً من
 الفلمنك وغالب قوت هذا الحيوان عند من يصطاده البيض
 واللبن ويقولون انه اي هذا القوت يصفي بياض المادة المستخرجة
 منه ولذا كان المحلوب من بلاد الفلمنك اشد بياضاً من المحلوب
 من افريقيا واسيا لان قوته في هاتين الجهتين اللحم خاصة ويوجد
 هذا الحيوان ايضاً بكثرة ببلاد الهند الا ان ما يؤخذ منه لا يساوي
 ما يؤخذ من حيوان جهات الفلمنك لان زياد هذا اعلى وثمنه
 اعلى والمشتغلون بتجارته يرسلونه الى البلاد البعيدة فيرجحون فيه
 ارباحاً كثيرة ومن يقتني هذا الحيوان في تلك الجهات ينفق عليه
 نفقات كثيرة وذلك لانهم لا يطعمونه الا اللحم الدجاج والطيور
 واوان اصطباده الصيف حين تكون اشجار الغابات كثيرة الاوراق
 ويبلغ ثمن الواحد منه نحو اثني عشر شلينا انكليزية وغذاؤه في حال
 صغره ثريد يعمل له من لحم طير او سمك مطبوخ مع ذرة ويستحب
 اقتناء الذكور من هذا الحيوان على الاناث لان زياد الذكور
 احسن واجود فانه في الانثى كثيراً ما يصل اليه بولها فيغيره

المغامرة الرابعة والسبعون

الوصول الى باريس

قال ناقل الحديث فلما وصل يعقوب الى هذا الموضع من كلامه

كانوا قد قربوا من مدينة باريس فقال الانكليزي انه يوجد في ارض

افريقية وفي الجهات التي كان بها يعقوب غير ما ذكره حيوانات كثيرة

هائلة الخلفة ومؤذية منها الافعى والتمساح وفرس البحر وانواع غيرها من

الحيوان قد وصفها السائحون في كتبهم فمنها ما يسكن في البر ومنها

ما يسكن في البحر ومنها ما يعيش فيها جميعا وفيها من الاعشاب

والنباتات ما ليس في غيرها وكنا نحب ان نسمع منه بقية ما شاهدته

هناك وراه وما سمعته ممن اجتمع عليهم من اهل تلك البلاد ولكن

حيث اشرفنا على باريس فنكتفي منه الان بما سمعناه ونستوفي الكلام

في وقت اخر

فقال الشيخ لقد قطعنا الطريق بهذه المحادثات اللطيفة بحيث
لم نشعر بطول المسافة واستفدنا في ضمنها فوائد كثيرة من معرفة
احوال تلك البلاد وما فيها من انواع المخلوقات وغرائب احوالها
وبودي لو عرفت ما حصل لاخت يعقوب بعد غيبته عنها وكيف
كانت حالتها ومعيشتها بعده

فقال يعقوب ان قصة اخي كقصتي بل اغرب وغصتها بعد
فراقها كقصتي واصعب وسأشرح لكم ما قاسته بعدي من
المشقات والمصائب وانواع المحن والشدائد حتى اضطرها الحال
الى قطع النظر عما يستدعيه سنها من اللذات والشهوات الدنيوية
فاعرضت عن الدنيا وما فيها ودخلت ديراً من ديور الراهبات
وترهبت فيه الى ان ماتت ولم ارها وبينما هم في هذا الحديث واذا
بالواهور وصل الى موقف سكة الحديد بباريس فنزلوا به وذهب
يعقوب فاحضر لم عربية فركبوا جميعا وساروا الى لوكوندة قد سماها
الانكليزي ليعقوب فاخبر بها العريجي فاوصلهم اليها بعد نصف
ساعة فكان الشيخ مدة سير العربية ينظر الى ازدحام الناس في
الطرق وكثرة الدكاكين وحركة التجارة وهيئة المنازل وانتظامها
وروتها ونظافة الطرق وبهجتها وتعجب في نفسه من حسن ذلك
كله وكذلك ابنه كان لا يصرف نظره من شباك العربية حيث
رأى بشوارع باريس احسن مما رآه سابقا بمدينة مرسيلا فلما وصلوا
الى اللوكاندة نزل يعقوب من العربية واخذ بيد الشيخ فنزل وكذلك

نزل الانكليزي وبرهان الدين ودخلوا فقابلهم الخادم وذهب بهم
 الى حجرات لائقة بامثالهم فلما اطمانوا في مجالسهم امر الانكليزي
 باحضار الطعام فاكلوا وشربوا القهوة وجلسوا برهة لطيفة في
 محادثات خفيفة وكان ذلك قبيل الظهر فقام كل الى محله المخصص
 به لينزل عنه اثر السفر ويخلع ما عليه من الثياب ويلبس ثيابا
 اخرى وبالجملة قام الشيخ الى حجراته فاستراح ووقد برهة ثم قام
 فتوضأ وصلى وغير ثياب السفر وكذلك فعل ابنه واخبر برهان
 الدين احسن ثيابه وقعد في انتظار يعقوب ليخرج للتفرج في المدينة
 فلما علم والده منه ذلك قال له يا بني ان خرجت الآن بهذه الهيئة
 حدى الناس اليك بابصارهم واخطا بك كل من مررت به
 من رجالهم ونسائهم واطفالهم وربما كان ذلك لأدبك مانعا لك
 عن بلوغ اربك فالاولى ان تصبر حتى نعرف رأي صاحبنا فهذه
 بلاده وهو ادري باحوالها ونحن فيها اغراب فقال برهان الدين
 الراي ما تراه وسكت ثم حضر عندهما يعقوب وهما بالسلامة وقال
 لها ان الانكليزي امره ان ينظر الشيخ هل قام من النوم وهل ينشط
 لملاقاته فيأتي اليه ويسلم عليه ام يؤخر ذلك برهة فشكره الشيخ
 واثني على اخلاقه وذكر معروفه وقال له انه يحب ان يراه فليحضر
 على الرحب والسعة ان احب فرجع يعقوب الى الانكليزي واخبره
 بما قال له الشيخ فقام الانكليزي وحضر الى الشيخ فتلقاه بالترحب
 واخذا يتجاذبان اطراف الحديث من بعيد ومن قريب فقال

الانكليزي ان هذه المدينة من احسن مدن الدنيا واعظمها لحسن
 نظامها وكثرة ما فيها من المباني اللطيفة والاشياء الظريفة فان
 استحسن الشيخ جعلنا لنا في كل يوم وقتا للتفرج عليها والوقوف على
 كل شي على حدته واريد ان احصل رخصة للدخول في المحلات
 الشهيرة التي لا يباح الدخول فيها الا بالاذن فقال الشيخ انت
 ادري ببلادك وانا على رايتك ومرادك فما وافق اتيناه وما لم يوافق
 ابيناه ولا ترى منا الا طاعة الرفيق الموافق للخل الصادق وعندنا
 من الشوق الى معرفة احوال هذه المدينة العظيمة والوقوف على
 احوال اهلها وتعرف ما بها من الآثار الباهرة وروائع الصنائع
 الزاهرة ما تشد به حاجتنا الى استطلاع ما عندك واتباع رايتك
 والوقوف عند اشارتك لا سيما وقد رأينا من معروفك ومحاسن
 اخلاقك واستفدنا من فوائدك ما تقدر قدره ولا ننسى اثره ولا
 نهمل ذكره ونسال الله ان يتولى هدايتنا جميعا الى طرق الرشاد
 ويكافئك على حسن هذا الصنيع فهو القادر على ما اراد

فقال الانكليزي اني ارى من الواجب علي وجوب الفروض
 اللازمة ان ابذل اقصى جهدي وغاية ما عندي في استجلاب رضاكم
 وادخال السرور عليكم حيث كنت السبب في تغربكم الى هذه
 البلاد ومفارقة الاهل والوطن والاولاد وتحمل متاعب السفر فلا
 هم لي سوى الاشتغال بما يخفف عليكم مشقة الغربة وصعوبة الفراق
 بالاطلاع على ما تحبون الاطلاع عليه من احوال هذه البلاد

وتحصيل ما يتعلق به اغراضكم ومقاصدكم وما يكون فيه سروركم
وتشرح به صدوركم فارجوك الا تتعاشى من طلب شي حريده
فذلك غاية مرادي وبغية فوادي وحيث كانت هذه بلادنا وانت
فيها غريب فان رأيت فيها شيئاً تحبون الوقوف على حقيقته فاسئلوا
عنه فان كان عندي فيه علم ابديه لحضرتكم والا سألت عنه من
يعرفه واخبرتكم به ونحن نحتاج الى الاقامة في هذه المحاضرة مدة
من الزمان لقضاء بعض اغراض تلزمني فنصرف اوقات الفراغ من
هذه المدة في التنفس في ميادين المدينة ومنتزهاتها والتفرج على مبانيها
وعماراتها الشهيرة والمسامرة في احوالها وتوارخها وحوادثها القديمة
والحديثة

فقال الشيخ لا عدت معروفك وغاية مرادي ان اقصي هذه
المدة في استفادة ما عساه يكون فيه منفعة اوطاننا وفي نيتي ان
اكتب مجموعاً اضمنه كل ما اراه واستحسنه في هذه السياحة في
كتاب ليكون تذكرة لي اذا عدت الى سكني وطرفة مجلوبة الى
اهل وطني

فقال الانكليزي لا يخفى على حضرتكم ما حصل من اهل
مرسيليا حين كنا بها من تجمعهم عليكم واحاطتهم بكم حين رأوكم في
الهيئة المصرية فان كنتم تضررون من ذلك فلا بأس بالتزبي
بزي هذه البلاد مدة الاقامة بها لتشبهوا باهلها وتخلطوا بهم
فقال الشيخ لا ضرر علي من تجمعهم بل ربما كان فيه فائدة

زائدة وذلك لاني اتمكن حينئذ من رؤيتهم والتأمل في ذاتهم
وهياتهم والوقوف على احوالهم وعاداتهم على ان بقائي بهذه الهيئة ربما
كان سبباً في الرعاية والتوفير اذ من العادة الجارية كثرة احترام
الغريب وتوفيره والتجاوز عما عساه يحصل من تقصيره فالأوفق بنا
البقاء على ما نحن فيه لاسيما ونحن اذا غيرنا هذه الملابس التي
اعندنا عليها من صغرنا ولم نعرف غيرها في عمرنا احتجنا الى مدة
من الزمن للتعود على تلك الهيئة الجديدة واتقانها

قال الانكليزي ذلك اليك ونعم ما رأيت وما عرضت
عليك هذا الامر الا لاني خطر ببالي ان ذلك ربما يكون من
اغراضك فاسعى في تحصيله واذ لم ترد ذلك لنفسك فهل تأذن
فيه لبرهان الدين

قال الشيخ امر برهان الدين اليه فنسأله عما يريد لنفسه وان
كان بقاءه على هيئته الاصلية احب الي فاني كلما رأته تذكرت
الوطن واهله وصرت كاني لم افارق وطني

فقال برهان انا ايضا احب ان ابقى على هذه الهيئة ولا ضرورة
لتغييرها اذ لسنا على نية التوطن بهذه البلاد ودوام الاقامة بها
وانما نقيم فيها مدة يسيرة لا نحوج الى ذلك ولو غيرنا ملابس بلادنا
في هذه المحاضرة للتخلص من تزاحم الناس علينا لزمنا لهذا الغرض
ان نغيرها في كل جهة انتقلنا اليها فان الملابس والهيئات تختلف
باختلاف الجهات

فقال الانكليزي الامر اليكم واخبركم اني قد اكرهت عربية
 وجعلتها تحت امركم وخاصة بكم فمتى اردتم الخروج الى شوارع البلد
 او ظاهرها فمروا يعقوب ان يحضرها لكم فان لم اكن معكم لبعض
 مواعيد قد تعوقني عن الانتظام في سلك صحبتكم في بعض الاحيان
 فهو يلزمكم ويقوم بكل ما يلزم لكم ثم استأذن وانصرف الى حجرتة
 وكذلك انصرف يعقوب الى محله وبقي الشيخ وابنه وكان الشيخ قد
 اعتراه بعض تعب من ارتجاج العربية وطول التعود بها فاحب
 ان يريح بدنه فقال لولده اذا جاء الانكليزي وسأل عني فاخبره
 انني لا رغبة لي في الخروج في هذه الليلة ثم تحول الى فراشه لينام
 فقام ولده واغلق عليه الباب وذهب الى حجرتة الخاصة به فلم يجد
 له صبراً على المكث بها وحده خصوصاً وقد كان مغرمًا بسماع بقية
 حكاية يعقوب وبالتفرج على شوارع المدينة وما فيها فخرج من
 حجرتة وذهب الى محل يعقوب وقال له ان الوالد كان وعد
 بالخروج في هذه الليلة ثم اثر الاستراحة بسبب ما وجد في نفسه من
 مشقة السفر فهل ترى ان نخرج وحدنا او نقيم الليلة فقال يعقوب
 لا ينبغي ان نخرج الا باذن فالصواب ان نصبر الى اخر النهار ثم
 نستأذن بعد الطعام ونتوجه اما الى التياتر واما الى البالو
 فقال برهان الدين اما التياتر فقد رأيت وعرفته حين كنا
 بمسبليا واما البالو فلا اعرفه فما هو
 فقال يعقوب البالو محل يجتمع فيه كثير من الرجال والنساء

يلبسون فيه احسن ملابسهم ويرقصون مع بعضهم على نغم الآلات
 الموسيقية فقال برهان الدين لا بأس برؤية هذا المحل ولكن احب
 في هذه الليلة الاقتصار على المرور في البلد ورؤية شوارعها ومبانيها
 وفيما بعد اذا وجدنا فرصة حملنا الخواجا على الذهاب اليه وتوجهنا
 معه فاتقنا على ذلك وانتظرنا تحصيل الرخصة وانتهاز الفرصة ثم ان
 برهان الدين قام من عند يعقوب ورجع الى مخدعه واخذ كراسة
 وصار يكتب ما علق بذهنه مما حكاه يعقوب في اثناء الطريق وضم
 الى ذلك ما حضره مما كان يشاهده بنفسه عند المرور ببعض
 الجهات واستمر على ذلك الى قبيل الغروب ثم قام وتوجه الى محل
 والده فوجده قائماً يصلي فصلي خلفه فلما تمت الصلاة وما يتبعها
 حكي له ما اتفق عليه مع يعقوب وطلب الاذن فأذن له واوصاه
 ان يعود عاجلاً ليرج بدنه كذلك من تعب السفر وقال له الايام
 بيننا وما لم نره في هذه الليلة سنراه فيما بعدها فقابل قول والده
 بالسمع والطاعة وعزم على الرجوع سريعاً بقدر الاستطاعة وحضر
 الطعام فاكلوا وبعد ذلك خرج مع يعقوب الى شوارع البلد
 ونواحيها

المسامرة الخامسة والسبعون

لمحة

في باريس

فعبج من حسن نظامها وكثرة العالم بها وسعة شوارعها
وتنظيمها وحركة التجارة بها ومن زخرفة محلات التجار ونظافتها
وحسن بهجتها وكان يتقل من مكان الى مكان ومن دكان الى
دكان ويقف عند بعض المحلات فيسرح فيها طرفه وينظر لما فيها
من انواع البضائع النفيسة ويشرح له يعقوب كل ما سأل عنه من
هذه البضائع ويذكر له اسمه ونوعه وجنسه والجهة التي يجلب منها
وكانا كلما وقفا على دكان او خان احناط بهما كثير من الناس
من نساء ورجال ينظرون لهيئة برهان الدين وملبسه وكان هو
ايضا ينظر اليهم والى هيئاتهم وملابسهم ويقارن ما رآه هناك بما

كان يراه وهو بمصر فلم يجد بينها نسبة وما زالا يتقلان من دكان
 الى دكان ومن خان الى خان الى ان مضى عليهما من غروب
 الشمس نحو اربع ساعات ومع ذلك كان يرى العربات متوالية
 مع السرعة والكثرة بحيث كانا اذا ارادا الانتقال من محل الى غيره
 مكثا زماناً طويلاً يتظران فرجة يرون منها ورأى ضوء المصابيح
 الغازية المنتشرة في الطرقات قائماً مقام نور القمر او ضوء الشمس
 بحيث يمكن فيه قراءة الخط الدقيق وقد الدراهم بغير عسر ولا
 صعوبة وكذلك رأى ضوء المصابيح الغازية في الازقة والحارات
 يزداد بما يصل اليها من ضوء مصابيح الدكاكين وغيرها لانه ما من
 دكان او محل قهوة او خان الا كان امامه عدة من المصابيح نحو
 الخمسة او الستة او اكثر فكانت اشعتها تنبعث امامها وتزيد
 البضائع الموضوعة خلف الزجاج حسناً ورواقاً وكذلك كانت
 اشعتها تنعكس في المرايا المركوزة في الطرق كما ان هذه المرايا كان
 ينعكس فيها ايضاً صور كل ما قابلها او مر امامها من الناس
 والعربات وغيرها فيرى فيها الرائي صوراً مختلفة واشكالاً متنوعة
 فمضى على برهان الدين الزمن من غير ان يشعر وذلك لاشتغال
 حواسه بما كان يراه من الاشكال المتنوعة والصور المتجددة واستغراق
 خاطره في التأمل والاستغراب والاستحسان لما يراه من حسن
 الرونق وانتظام المنظر بحيث يتخيل الرائي ان المدينة في زينة مرتبة
 بالخصوص لامر عظيم او موسم حاضر وكان كلما قطع مسافة رأى

فيما بعدها شيئاً لم يكن رآه وكان يتامل في الدكاكين وحواصل
 التجار ويعجب من حسن انتظامها وسعتها فيجد النسبة بينها وبين
 ما كان يراه في القاهرة منقطعة والمقارنة ممنوعة لانه رأى الدكان
 في باريس عبارة عن محل عظيم يشتمل على عدة محال بعضها من
 داخل البعض منها ما هو مفروش بالرخام ومنها ما هو مفروش
 بالبسط النفيسة ومنها ما بعضه من هذا وبعضه من هذا وابوابها
 محكمة التركيب مليحة الوضع مصنوعة من الخشب الثمين كخشب
 الجوز والبلوط والفرعاج ونحو ذلك مدهونة باللوان تسر الناظرين
 وتجذب قلوب المارين مقسمة بالواح الزجاج او البلور حتى لا
 يجيب شي ما بداخلها عن بصر كل من يمر بها والبضائع فيها مرتبة
 حسن ترتيب مصفوفة على الرفوف مع كمال الاتساق وحسن
 الوضع بحيث تستدعي لشراؤها كل من يمر بازائها وفي كل دكان
 نساء حسان الوجوه متجهلات باحسن الملابس والطف الهيئات
 مستعدات لعرض ما يلزم عرضه او بيع ما يلزم بيعه فتري الشاري
 لا يضطر للوقوف في الطريق امام الدكان وإطالة الكلام بغير
 طائل بل يدخل ويطلب ما اراد من البضاعة مع اللطف
 والادب وعدم رفع الصوت فاذا وقع الاتفاق على الثمن اداءه واخذ
 ما اشتراه في ورقة او ربطة لطيفة تلفة فيها احدى النساء اللاتي
 في الدكان فان بداله عدم اخذه معه وارا دارسالة الى منزله فليس
 عليه الا ان يعرف البائع ثمة الدار وثمة المحل الذي هو مقيم به

ثم يذهب الى سبيله ويصل ما اشتراه الى محله وفي هذه الحالة
لا مانع من دفع الثمن في الحال او ابقائه الى ان يرسله صحبة من
يذهب بالبضاعة لان ذلك امر جارٍ بينهم ومعتاد لهم وما زال
برهان يسير مع يعقوب ويتفرج وهو مبتهج بما يراه مشغول المخاطر
بالتأمل فيه ويعقوب يشرح له ويوضح الى ان وصلا الى باب كبير
فراى امامه مصابيح كثيرة منورة بالغاز ومن داخل الباب زقاق
مستطيل اسفله مفروش بالرخام واعلاه مستور بالزجاج وفي
جانبيه دواليب مدهونة باحسن الالوان فيها نقوش لطيفة وصور
ظريفة ورأى في كل جانب خلقا كثيرا من رجال ونساء كلهم
مشتغلون بترتيب بضائع متنوعة يضعونها في صناديق وعلب كثيرة
وكان المحل يضيء بمصابيح الغاز المنتشرة في جميع ارجائه فالت نفس
ابن الشيخ الى دخوله فدخله هو ويعقوب فوجداه ابهج من جميع ما
رأياه والطف وفي داخله طرق نافذة بعضها الى بعض فسلكا في
في احداها فوجد كل منها صورته منطبعة امامه في مرآة مستوعبة
لجميع عرض الحائط وارتفاعه حتى يظن السالك انها نافذة وان
هذه الصور اشخاص تسير الى جهته فرجعا واخذا في مسلك اخر
ومنه الى غيره وكان في كل جهة دخلاها من هذا المحل جملة من
الناس يشتغلون بتصنيف البضائع وتنظيمها ووضعها في الصناديق
والعلب وكان كل من هولاء الناس ينظر اليهما مع السكون
والوقار من غير ان يفارق محله او ترك شغله ولم يريا هناك بيعا

ولا شراء ولا اخذا ولا اعطاء فتعجبا من عظم هذا المحل وسعته وحسن
 زخرفته وارادا الرجوع من حيث دخلا فاخطأ الطريق وصارا
 يترددان من جهة الى جهة ومن طريق الى طريق ولا يعارضهما
 احد الى ان ظهر عليهما انها اخطأ الطريق فتقدم اليهما فتى قصير
 القامة فحياهما باحسن تحية وكلمها باللغة العربية وسألها عما يريدان
 فقال له يعقوب ليس لنا غرض سوى التفرج وقد ضللنا الطريق
 ولا ندري كيف نخرج وقد تحيرت افكارنا لما شاهدناه في هذا
 المكان من كثرة اصناف التجارة فانا ما سلطنا في جهة من جهاته
 الا وجدنا فيها جماعة يشتغلون بترتيب اشياء من اصناف التجارة
 غير ما كنا رايناه من قبل فاي محل تجارة هذا

فقال الرجل هذا المحل قد بني في عهد قريب وهو خاص
 بثنين اخوين بني من مالها فلما اكتملا بنائه سمياه باسم مدينة باريس
 وجميع ما فيه من البضائع انما هو من مالها خاصة لا يشاركها فيه
 احد من الناس وفيه من جميع اصناف التجارة جليلها وحقيرها فلا
 يكاد يسأل الطالب عن شيء الا وجدته فيه فمن ذلك الكشميري
 الثمين من شغل الهند واقمشة الحرير من عمل اهل الصين والهند
 والفرنسيس وغيرهم واقمشة الكتان والقطن على تعدد اشكالها
 وانواعها والبسط العجمية على تنوع اوضاعها وانية الفضة والذهب
 وحلي الجواهر الى غير ذلك وهذه الانواع منها ما يباع على تجار
 البلد للبيع في داخل المدينة ومنها ما يرسل الى بلاد المشرق وبلاد

المغرب والترك واسيا الصغرى والكبرى وبلاد الغرب والافطار
 الحجازية وبلاد الانكليز وغيرها فما من جهة من هذه الجهات الا
 ويرد لها من هذه الاصناف وكذلك هذه الجهات ترسل كثيرا من
 مصنوعات واصناف تجارتها الى هذا المحل وجميع من تراه هنا من
 رجال ونساء انما هم خدم بمرتبات شهرية تصرف لهم من لدن
 هذين الاخوين وعددهم مائة وخمسة وعشرون شخصا وانا من
 جملتهم وقد راكبا احد الاخوين فارسلني اليكما للازمكما واكون في
 خدمتكما حتى تقضيا غرضكما وها هو قريب منا فان اردتما ان تجبعا
 عليه ذهبت بكما اليه فعجب برهان الدين من مقاله واثني عليه
 وعلى صاحبه الذي ارسله واظهر علائم الشكر والابتهاج بصنيعه ثم
 مشيا مع الفتى الى صاحب المحل فقام لها واكرمها واجلسها عنده
 فشكرها واثنيا عليه وامر بالقهوة فشربوها ثم قال لها لولا ضيق الوقت
 اتمت معكما وطففت بكما على جميع مخازن الخان وارتبكما ما فيها وقد
 حضر وقت انصرافنا واغلاق المحل ولكن لا مانع الآن من ان
 نريكما ما فيه من صنف الكشيري على حسب الامكان وانا
 حضرتما في غد ارتبكما باقي مخازنه وما فيها فاعادنا له الشكر والثناء
 فقام معها وتوجه بهما الى محل عالي البنيان منتظم الشكل مزخرف
 الاركان في سقفه صور متنوعة ورسوم مختلفة وفي مداره من اعلاه
 الى اسفله دواليب متقنة الصنعة كلها من خشب الجوز وارضه
 مفروشة بالبسط النفيسة وفي وسطه مائدة (طرايزه) كبيرة

مستديرة معلق فوقها نجفة من البلور الصافي النفيس موقدة بالشمع
 الابيض النقي الطيب الرائحة ثم طاف بهما الرجل على جميع ارجاء
 المحل وصار يفتح الادراج ويريهما ما فيها من قماش الكشمير
 الخفيف الوزن الغالي الثمن فرايا كل واحد منها موضوعا على
 حذته في ظرف محكم لحفظه ولكل نوع منها دواليب خاصة به على
 حسب قيمته وجهة وروده وقد رأيا منها ما ثمنه قدر مائتي كيس
 فاكثر فاستغرب بن الشيخ من هذا الثمن وقال في نفسه اذا كان
 ثمن الواحد من هذا النوع هكذا فما يكون ثمن الجميع ثم ماذا يكون
 ثمن البضائع الموجودة في هذا المكان وبعد ذلك فما يكون قيمة
 البضائع الموجودة في غيره من محلات هذه المدينة ثم ماذا يكون
 قدر اموال اهلهما وما صرفوه في زخرفتها وبنائها ثم بعد ان اطلعها
 الرجل على جملة كثيرة من ذلك اعنذر لهما بضيق الوقت ووعدهما
 بان يطلعها على سائر ما في المحل ان حضرا بعد ذلك في سعة
 من الوقت فاستأذناه للانصراف فشييعهما خطوات وضم اليهها من
 مشي معها الى باب المحل حيث دخلا فخرجا وركبا العربية ورجعا
 وكان قد مضى نصف الليل فوجد برهان الدين والده قد اغلق
 عليه باب مخدعه ونام فدخل هو كذلك حجرتة ونام فيها الى
 الصباح فقام وادى ما وجب عليه ثم ذهب الى والده ليقبل يده
 فما استقر به المقام حتى اتى يعقوب وحضر الطعام فاكلوا ما تيسر
 وجلسوا يتحدثون وحكى برهان الدين لابييه ما رآه في هذه المدينة

من فرط الانتظام والزينة وما يلوح عليها من علائم الفخار ومزيد
الثروة واليسار وما حمله على العجب والاستغراب مما لم يكن له قبل
في حساب فسر الشيخ بمقالته ورغب في ان يعلم طرفا من اخبار
هذه المدينة وكيف كانت حالتها وتقلباتها في الازمان الماضية وما
الاسباب التي اوصلتها الى هذه الدرجة من العز والرفعة والغنى
والثروة

فقال يعقوب ان معلوماتي في هذا الامر قاصرة والاولى ان
يؤخذ علم ذلك من الخواجا لاتساع دائرة معلوماته وكثرة اطلاعه
على كتب التواريخ والسير

فقال ابن الشيخ قد توجهت الى محله لاسلم عليه فوجدته
مشغولاً بشخص عنده فلما اردت الانصراف من عنده قال لي بلغ
حضرة الاستاذ الوالد بان عندي شغلا ربما امتد الى وقت الزوال
فاقرأ عليه السلام مني واعتذر له عني

فقال الشيخ عنده مقبول فان كان قد بقي عند يعقوب شي
من خبره وما حصل له بعد فراقه لآخذه فليحدثنا به لنقطع الزمن
الى ان يقضي صاحبنا شغله وينتهي عنده ويأتي فنخرج جميعاً وتفرج
في شوارع المدينة

المسامرة السادسة والسبعون

الخبوان العجيب

(من حكاية يعقوب)

فقال يعقوب قد اخبرت حضرتكم اني لشدة شوقي الى اخوتي
وما حصل لي من المشاق في البلاد التي وقعت بها كنت دائماً
اترقب فرصة الخروج من تلك الارض واخاف ان يطرأ حادث
يعوقني عن رجوعي الى وطني الى ان نزلنا في السفينة وخرجنا وقد
تألفت برجالها والفوفني وكنت اساعدهم في اشغالهم بما عندي من
المعرفة في صناعتهم فحصل لي منهم غاية الاكرام وكنت اخبرتهم
بتقصتي وما جرى لي ايام كنت صغيراً الى ان صرت في يد هؤلاء
القوم اسيراً فعطفت قلوبهم عليّ وغمروني باحسانهم فكنت بينهم
كواحد منهم كذلك مالت اليّ قلوب ضباط السفينة لما سمعوا

بما جرى لي لاني كت تارة اقص ذلك على بعض الضباط وتارة
 على الاحاد فلانت لي قلوب الجميع وساعدوني باموالهم من غير ان
 يلزموني بشي من اعمالهم حتى ان القبطان الكبير لما علم بقصتي كتب
 ورقة وصدرها باسمه ومن بعده جميع من كان بالسفينة من الضباط
 وغيرهم ثم وضع امام اسمه ثلاثة جنهيات وكذلك جميع الضباط
 والاحاد كل على حسبه فاجتمع لي من ذلك خمسة وثمانون جنهياً
 انكليزيا وبعض ثياب فلما رأى ذلك السائح الذي كت بصحبته
 هذه الورقة وما فيها اخذها واكملها من عنده مائة ووعدني انه
 عند وصولنا يوصلني الى بلدي على نفقته وان يكتب الى احد
 روساء بلدي بالوصية علي لينظر لي طريقة اتعيش منها انا واخوتي
 فشكرت الجميع على صنيعهم واقمت مكرماً بينهم لا اجبر على عمل
 ولا ازعج من محل الى محل ولكن كت في بعض الاوقات انا رأيتهم
 في ازدهام اقوم من نفسي واساعدتهم ثم نجتمع فيحكي كل منا ما عنده
 من غرائب الاخبار فبقينا كذلك ثلاثة ايام وكان الهواء فيها مساعداً
 لنا وكان سير المركب مع سرعتها في غاية الانتظام الى ظهر اليوم
 الرابع فما نشعر الا واحد الملاحين قد اتى الى القبطان وكان
 جالساً في فمرته واخبره ان احد روساء المركب رأى شيئاً على وجه
 الماء من بعد فقام بسرعة واخذ نظارته لينظر بنفسه ومنا نحن جميعاً
 ننظر الى ذلك الشيء فرأيناه يلوح من بعد ولكننا اختلفنا في تعيينه
 فمننا من كان يقول انه زورق ومنا من كان يقول انه رمة حيوان

ومنا من كان يزعم انه حشيش جمعه الموج والقبطان ناظر اليه
بنظارته لا يتكلم بشي وبعد ذلك التفت الينا وقال انه حيوان
يجري له ارجل بحركها ولكن لم اتحقق ما هو وكان ذلك الساح
الذي كنت بصحبته قد بلغه الخبر فحضر ونظر بنظارته مثل ما نظرنا
ثم قال ان الشي الذي ترونه حيوان عجيب الشكل مهول الخلقه
وقد بالغ في وصفه جميع الملاحين والمؤرخين والسياحين ولغرابته
وعجيب خلقته كان بعض اهل التاريخ الطبيعي ينكره ويقول ان
جميع ما قيل فيه اوهام لا اصل لها فلما سمع القبطان منه ذلك قال
لعله ذو الثانية الارجل الذي تخافه الملاحون فقال نعم هو ذاك
وعند ذلك امر القبطان رجاله بتوجيه السفينة نحوه وحضهم على
الاستعداد له بالسلاح والمزاريق والكلاليب والاهواق (الخيات)
فاعد كل منهم ما عنده من هذه العدة فاستعدوا الا وقد خرج
الريج واختلف وتموج البحر وعلا موجه ومع ذلك لم نزل نرى
ذلك الحيوان يسبح على وجه الماء وكأنه يريد الفرار منا لاننا كلما
قربنا منه نراه قد بعد عنا ولكن مع البطيء والتأني فلما تمكنوا منه
ضربوه بالبارود فاصابه نحو عشرين رصاصة فلم يظهر فيه اثر ولم
يتحول من مكانه وكانها لم تصبه ثم رموا عليه الكلاليب والاهواق
فتعلق بعضها بجسمه فارادوا ان يزيدوا في عددها ليتمكنوا من
ضبطه فتعلبت السفينة من شدة الموج فانفلت وغاص في جوف
البحر ولم يظفروا منه الا بقطعة من ذنبه بقيت في وهق (خية)

من الاوهاق التي القوها عليه فعزم الملاحون على القاء الزوارق في
 البحر ليحيطوا به ويصطادوه فنهاهم القبطان عن ذلك خوفاً عليهم
 وهذا الحيوان على حسب ما شاهدته يبلغ طول جسمه قريباً من
 ستة امتار وكذلك كل رجل من ارجله الثمان ولونه احمر كلون
 الآجر وجنته منتفخة من جهة وسطه وله عينان كالطبق مستويتان
 لا يظهر فيها تحديق ولا حركة ويظهر لها لمعان يرى من بعيد
 وكان في اثناء اشتغالهم بصيده يقذف من جوفه دماً ورغوة ومواد
 تشم منها رائحة مسكية وبعد ان انفلت منهم صار يغطس بجانب
 السفينة من جهة ويظهر من جهة غيرها فيحصل للسفينة تموج اشبه
 بما يحصل من اشتداد الريح ولم يتقطع ذلك الا بعد ان بعدت
 عنه السفينة بقدر ميل في البحر وقد وزنوا القطعة التي وصلت اليهم
 من ذنبه فكانت اربع عشرة افة فاعتبروا بنسبتها جميع هذا الحيوان
 فقدروه بنحو ستين قنطاراً وقد وصفه السائح الذي كنت بصحبته
 فقال انه حيوان كالتربة المملوءة ويتشكل في صور متعددة فتارة
 يكون في هيئة البيضة وتارة يكون كروي الشكل وتارة يكون
 مستطيلاً وله راس غليظ وعيناه متسعان في استواء يرى في اعلى
 راسه شي صلب محوف كالقرن هو فمه وله على سطح لسانه شبه
 الشوك وفكاه راسيان وله ارجل ثمان او عشر اصولها منضمة الى
 بعضها حول فمه في هيئة التاج وفي ظاهر كل منها صفتان من
 الصمامات متوازيان كل صمامة كالفتحجان اسفلها يتحرك باختيار

الحيوان فاذا اراد ان يقبض على شي الصق رجله او بعضها به فلا
 يتخلص منه وذلك لان تلك الصهامات اذا باشرت شيئاً من
 حيوان او غيره كان الغشا الذي في اسفلها اولاً قريباً من الحرف
 الاعلى ثم يسقط الى اسفل فيتكون من ذلك فراغ خال من الهواء
 كما يحصل في قرن الحجامه فتعلق بذلك الشيء وتلتصق به وتمسكه
 فاذا كان عدد الصهامات الماسه للشي كثيرة كانت قوة الالتصاق
 والتعلق به وامساكه عظيمة بحيث لا يتأتى فصل ذلك الشيء عنها
 وبهذه الكيفية يحصل على غذائه من الحيوانات البحرية فيأخذها
 برجليه ويوصلها للقرن الذي في اعلى راسه وهو فمه كما ذكر فيقطعها
 به ثم ياكلها وكأن هذه الارجل لم تكن الا آلة للتخويف وللقبض
 بها واما كيفية تنفسه وحصوله على الهواء اللازم له فهو ان يدخل
 قدرًا من الماء في خياشمه فتقبض الخياشيم فيدخل الماء في مجرى
 موجود في راس الحيوان بين العينين وبعد ذلك تعود الخياشيم
 الى ما كانت عليه فيخرج الماء ثم يأخذ قدرًا جديدًا من الماء ويفعل
 به كذلك وهكذا وبهذه الكيفية يحصل له استنشاق الهواء وهذا
 الماء الخارج يسقط بقوة فيدفع الماء الراكد حوله فيندفع الحيوان الى
 جهة امامه وهي الجهة المتقابلة لاتجاه الماء المتدفق فيسهل عليه بهذه
 الطريقة قطع المسافات البعيدة ولذلك لما رأى المتقدمون شكل
 هذا الحيوان وعلموا سبب اندفاعه الى جهة الامام ارادوا محاكاة
 ذلك في سير السفن فعملوا في بعض السفن مجاري مجوفة متسعة

يجري فيها الماء فبملاؤها وسلطوا عليها طلبنة تجذب هذا الماء وتقذفه
 الى خلف فتندفع السفينة الى الامام الا انهم لما رأوا كثرة المصاريف
 في ذلك تركوا هذه الطريقة وهجروها وما يشاهد من هذا النوع
 بسواحل اوروبا وان تعددت اشكاله ليس شيئاً بالنسبة لما يشاهد
 في البحور العميقة على ما نقله السائحون والملاحون وقد ذكر هذا
 الحيوان بعض الاقدمين (كارسطو وبلين) وغيرها ووصفوه بصفات
 هائلة كان المتأخرون ينكرونها الى ان عثر به الملاحون في زمننا
 هذا فاصطادوه ونقلوه من جهة الى جهة فصار امراً مشهوراً
 معدوداً من انواع المخلوقات بعد ان كان يعد الكلام فيه من
 الخرافات وحكى (تريبوس) في بعض كتبه ان حيواناً من هذا الجنس
 كان يخرج من البحر في جزيرة (كاريفيا) جميع ما اصطاده الصيادون
 في يومهم فانهم كانوا يضعون كل ما اصطادوه في مناسر جهة البحر
 فيخرج هذا الحيوان كل ليلة فيأكله ويعود الى البحر وهكذا كان
 دأبه معهم كل ليلة حتى احرمهم ثمرة تعبهم فلما اشتد ضررهم منه
 نصبوا حول هذه المناسر خشباً احاطوها بها فلم تغد شيئاً لانه كان
 يصعد على شجرة قريبة من المناسر ثم ينزل بها فاقام ذلك الحيوان
 معهم على ذلك الامر مدة الى ان اطلعت عليه الكلاب ليلة فهجمت
 عليه ومنعته من العود الى البحر وجاء الحرس فضربوه وصار هو
 يدافع عن نفسه ويضرب بارجله فما زالوا به الى ان مات ففاح منه
 رائحة كريهة فعجبوا من خلقته وغريب صفته لانهم كانوا لم يروه

قبل ذلك ثم انهم بعد قتله حزوا رأسه فكانت في حجم البرميل
 الكبير وقاسوا رجله فوجدوا طول كل رجل ثلاثين قدماً
 وغلظها بقدر ما يملأ حوض الرجل ووزنوا ما بقي من جسده فكان
 سبع مائة افة وهذا النوع قد يعثره في البحار الكثيرة الصخور
 والاحجار ما يعوقه عن الحركة ويسوقه الى التهلكة وذلك ان
 تدخل رجل من ارجله بين الصخور فتعلق بها ولا يمكنه ان
 يستخلصها وكلما حاول تخليص رجل علقته غيرها فيقف عن
 السير ويبقى على هذه الحالة الى ان يموت ويتن وعند ذلك تفوح
 له روائح كريهة يشمها اهل تلك الجهة من عدة فرائخ فاذا شمها
 خافوا على انفسهم من الوباء لشدة نتن تلك الرائحة ولكنها لا تطول
 مدتها فان الامواج تقطع الحيوان وتغذفه الى جهات بعيدة حتى
 لا يبقى لرائحته اثر وهذا النوع وان كان يوجد في كثير من الجهات
 الا ان اكثر وجوده بالارض الجديدة وهناك يصطادون منه كل
 سنة شيئاً كثيراً يدخلونه في ماكلهم واهل الجهات الشمالية جميعاً
 يقولون ان الصيادين عندهم اذا خرجوا للصيد في ايام الحر وبعدوا
 عن شاطئ البحر بعض اميال يرون في بعض الاحيان تقصان
 عمق الماء من تحت زوارقهم بغتة حتى ينزل الى نحو ثلاثين باعاً
 بعد ان كان ثمانين فاكثر فيستدلون بذلك على وجود هذا الحيوان
 ويتحققون انه بين الزورق وبين قاع البحر ويكون ذلك علامة
 عندهم على وجود كثير من السمك في ذلك المحل فعند ذلك

يلقون سنابريهم وآلة صيدهم ويغتمون منه مغتماً عظيماً فاذا اخذ
الارتفاع في التقص علموا ان هذا الحيوان يريد ان يظهر على وجه
الماء لاجل ان يستنشق الهواء فياخذون في الفرار منه بغاية السرعة
فاذا بعدوا عنه ونظروا رأوه قد ظهر على سطح الماء وغطى مقداراً
من البحر يقرب من ميل ونصف ميل ويرون كثيراً من السمك
يتواثب على ظهر الماء وهو في هياج عظيم واضطراب كثير ويرون
ارجله قائمة مثل اعواد الشراعات وهو في غاية الصلابة والقوة حتى
انه يقدر ان يخنض السفينة بين رجلين من ارجله ويقلبها في قاع
البحر فاذا اراد ان ينزل كان للبحر عند نزوله دوامات وامواج
عظيمة حتى انها لو صادفت سفينة لاغرقتها وقد ذكروا في هذا
الحيوان كثيراً من الغرائب والعجائب وان كان اكثرها لا يخلو
عن بعض الغلو حتى قال بعضهم ان الواحد منه قد يكبر حتى
يكون كالجزيرة

فقال القبطان قد حكى لي قبطان امريكاني حكاية غريبة
تتعلق بهذا الحيوان فقال كنت ذات يوم في بعض سياحاتي في
جهات الهند قريباً من سواحل افريقيا عند جزيرة (سنت هيلينة)
فسكن الهواء سكوناً تاماً فلم يمكن المسير فاقمنا هناك ثلاثة ايام نتظر
هبوب الريح وكان قد مضى على المركب مدة ونحن في غفلة عن
تنظيفها فلما طالت اقامتنا في ذلك المكان نصبنا السقايل على
جوانبها ونزل العمال عليها لاجل تنظيفها واذا بصياح من ناحية

من نواحي المركب فذهبت لاعلم المخبر فوجدت هذا الحيوان قد
 اخنطف رجلين من فوق السقالة باحدى ارجله وانزلها الى قاع
 البحر ومد الاخرى لياخذ بها ثالثا كان قد صعد الى الشراعات
 فاصابته رجل الحيوان عند وصوله الى اول الفماش ولكنها تكلمت
 في حبال الشراعات فلم يأت للحيوان تخليصها وبقي الرجل معلقا
 بها وهو يصيح ويستغيث من شدة الالم فقام من في السفينة الى
 السلاح والسنانير والفؤس والحبال وآلات الصيد وبادر بعضهم
 الى قطع رجل الحيوان المتعلقة بالرجل فسقطت ووقع الرجل
 مغشيا عليه فلم يمكث الا قليلا ومات ثم حمل باقي الجماعة على
 الحيوان بالسلاح والحرايب والسنار فاصابه كثير منها وكانوا كلما
 رأوه ينزل الى قاع البحر يطاولون له الحبال ثم يجذبونه الى اعلى
 واستمروا على ذلك مدة ثم هبط الحيوان دفعة واحدة فانفلت من
 ايديهم وانقطعت منه قطعة عظيمة بقيت في الحبال وقد قاسوا ما
 قطع من رجله فبلغ طوله خمسا وعشرين قدما في غلظ نصف متر
 ونسب ما بقي من رجله الى ما قطع فقدرت على هذه النسبة رجله
 باربعين قدما تقريبا في غلظ متر عند راسها

قال يعقوب فاعتزاني مما شاهدته وسمعت به ما لا مزيد عليه
 من الفلق وبقيت طول النهار في وجل فكنت كلما رأيت موجة
 على بعد ظننتها حيوانا من هذا النوع وانه يجري خلفنا ليدركنا
 فاشتد خوفا وفزعيا وكان الملاحون يضحكون مني ويسخرون لي

لكثرة اغنيادهم على احوال البحر وعجائبه وقلة معرفتي بذلك فكنت
 اتخيل انه ليس في المخلوقات اعجب من هذا الحيوان وصورته
 وكانت صورته مرسومة دائماً في مخيلتي لا تفارقني في ليل ولا نهار
 وربما كنت اراه في النوم فاقوم من نومي فزعاً مرعوباً فلما رأى ذلك
 الساح ما بي من الكآبة رثي لي واخذته الشقة بجالي واخذني
 بجانبه وصار يسلمني ويذكر لي نوادر وحكايات ليزيل بها ما في
 وهي الى ان قال لي الا تعلم ان عجائب البحر اعظم من عجائب البر
 واكثر وما نظرتة او سمعت به ليس شيئاً بالنسبة لما لم تره ولم
 تسمع به

المسامرة السابعة والسبعون

حياة البحر والهائشة

(من حكاية يعقوب)

ومن اعجب حيوان البحر وحيثانه (البال) المعروف بالهائشة
واعجب منه حياة البحر وكل ما في البر والبحر من حيوان ليس
باعجب من نوع الانسان حيث كان بتدبيره وقوة عقله لا يغلبه
شي من ذلك كله مع صغر جثته وضعف بنيته فتراه يحنال على
اعظم حيوان حتى يقع في قبضته ويدخل تحت تصرفه فيفعل فيه
ما شاء متى شاء فقلت له ما هذه الهائشة وما حياة البحر فقال اما
حياة البحر فقد كثر كلام الناس فيها قديما وحديثا ولغرابتها وبشاعة
صورتها كان منهم من يقول بوجودها ومنهم من ينكرها مع انها
مذكورة في كتب كثيرة قديمة وحديثة وقد ذكر لها حكايات غريبة

ونوادير كثيرة واقدم ذلك ما ذكر في التوراة من ان (لييفا طان)
وهو الثعبان البحري له اسنان مفزعة وعلى ظهره قشور كبيرة كالدرق
بعضها فوق بعض وعينه براقتان كأنها يرميان بالشرر واذا فتح
فمه خرج منه هب وكذلك انفه اذا تنفس ظهر منه شرر لم تكن
تؤثر فيه الاسلحة التي كانت مستعملة في الازمان القديمة كالسيف
والمقلاع والنشاب وعند ظهوره يحدث للماء دوامات وتموج عظيم
ويرى الماء كأنه يتلهب وقد وصف هذا الحيوان بعض المؤلفين
بانه يقدر على ان يتلع الفيل واكثر وجوده في بحر الهند ويبلغ طوله
عشرين ذراعاً ويعبر بحر الهند ساجاً واذا مر في بعض سياحه على
بعض الجزائر فرج اهلها منه وخافوا خوفاً شديداً ولم تشتهر معرفته
والعلم بوجوده الا في سنة ١٧٥٢ للميلاد الموافقة لسنة ١١٦٦ للهجرة
بناء على ما نقله السائحون والملاحون عن اهل البلاد الشمالية
كسكان (السكنديناوة) وغيرهم وقد قالوا انه نوعان احدهما لا
يعيش الا في البحر والاخر يعيش في البر والبحر وهذا الاخير يبقى
في البر الى ان يكبر ويعظم جسمه فتعسر عليه الحركة خارج الماء
لثقل جثته فاذا رأى من نفسه ذلك تحول الى البحر ليقيم فيه وعند
ذلك يسمع لمشييه بين الاشجار والغابات صوت من مسافة بعيدة
فيدك كثيراً من الشجر والمباني التي يمر عليها في طريقه الى البحر
وزعم بعض السائحين ان هذا الحيوان يخرج بالليل الى السواحل
الصخرية ويأخذ مما يصادفه من السفن كل ما قدر عليه وحكي

بعض الملاحين انه رأى يقرب بعض الجزائر ثعبانا من هذا الجنس
 يسبح فوق الماء كما يزحف الثعبان البري على الارض ويغير ثوبه
 مثله وان طوله خمسون قدما وجميع ما قيل في هذا الحيوان يدل
 على ان راسه كراس الفرس وانه يقذف من انفه ماء فيرتفع الى
 الجو ارتفاعا عظيما ولا يرى هذا الحيوان في الغالب الا اذا كان
 الهواء ساكنا والجو معتدلا واهل (نرويج) يقولون ان هذا الحيوان
 قد يهجم على السفن فيغرقها بثقل جسمه ثم يلتقط رمم الغرقى من
 الماء وبعضهم يقول انه اذا قرب من السفينة يرفع راسه من الماء
 الى اعلى السفينة ويلتقم بفمه من اراد من يراه على ظهرها وانه يفر
 من رائحة المسك ولذلك يضعون فوق مراكمهم شيئا منه فلا يقربها
 وفي شهر اغسطس سنة ١٨١٧ للميلاد وسنة ١٢٣٢ للهجرة وصل
 الخبير للمجلس العلمي بجهة (ايتازوبي) من جهات امريكا بظهور
 حيوان بحري عظيم الخلقه بشع المنظر يشبه الثعبان في شكله
 وحركته ظهر عندهم على بعد ثلاثين ميلا من ناحية (بوستون)
 فانتدب من الجمعية بعض اعضائها لمشاهدة ذلك الحيوان والوقوف
 على حقيقته وشرح ذلك في تقرير يعرض على المجلس فتوجهوا الى
 تلك الناحية وكتبوا تقريرا بما شاهدوه يتضمن انهم رأوا هذا الحيوان
 فوجدوا طوله مائة قدم وقطره عشر اقدام وحركته سريعة وانه
 تارة يسير على استقامة وتارة يسير بانعطاف ويكون راسه في
 الغالب مرتفعا عن الماء بقدر قدمين وانه يخاف من الآدمي ولم

يعهد منه اذى لاحد ولا ياتي الى البر الا لخلع ثوبه فاذا خلعه عاد
 سريعا الى لجة الماء وفي الجهات الحارة كثير من حيات الماء غير
 هذا الثعبان الهائل وكلها شكله مستدير وله اذيال مفترشة يستعملها
 في سباحته كالمجذاف واما (البال) المعروف بالهائشة فهو اكبر
 الحيوانات على الاطلاق برّيا وبحريا وحشيا وانسيا وهو انواع
 منها ما جلده املس وما ليس كذلك ومنها ما له اجنحة وما ليس
 له ورأس الجميع كبير مستطيل وفيه كعجل متسع مفتوح من الامام
 منطبق من جهة الخلف وفي ناحيتي الفم من اعلاه مكان الاسنان
 صفان من صفائح فوق بعضها قرنية المادة سوداء اللون تفصل عن
 بعضها وتباع لاغراض مختلفة وطرفها الداخل ملتصق بمادة خيطية
 موجودة داخل الفم واما فكه الاسفل فمجرد من الاسنان والصفائح
 وله شفة عريضة سريعة الحركة عرضها بقدر تلك الصفائح فاذا
 كان الفم منطبقا غطت المسافة التي بين الصفيين فاذا تدلت ظهر
 عند ذلك فتحة كبيرة فيدخل فيها جزء عظيم من الماء ومعه بعض
 حيوانات صغيرة ثم يخرج الماء من بين هذين الصفيين وتبقى جميع
 الحيوانات التي كانت بالماء عند دخوله كالسمك الصغير والحمار
 فيكون منها غداوه واما الحيوانات الكبيرة فانها اذا رأت تموج الماء
 الداخل في فمه هربت وبعدت عنه وانفه في اعلى راسه وفيه خروق
 فاذا اراد استنشاق الهواء دخل معه من تلك الخروق مقدار من
 الماء فيجتمع في محل مخصوص من جهة الخلف وحين يكون في

جوف الماء تضيق مجاري حلقه فلا يصل الماء الى رئته فاذا اراد اخراج الهواء الفاسد ضغط على مخزن الماء فيخرج ما فيه من الهوا ومعه بعض ابخرة مائية ولهذا يرى دائماً من جانب راسه خيطان من الماء مرتفعان الى الجوّ كالعامودين ولكون غذائه لا يكون الا من حيوانات صغيرة اقتضت الحكمة ان يكون حلقه ضيقاً بخلاف فمه فانه واسع جداً ومن هذا يعلم انه لاصحة لما قيل من ان هذا الحيوان قد يبتلع الرجل ولكن لا يخفى ان عادة الناس لا تميل الا لسماع المستغربات فكثيرا ما يمزجون المبالغة والكذب بالحقيقة ويخلطون بعضها ببعض ويصفون الشيء الغريب باغرب مما هو عليه وان كان لا اصل له وتارة يجعلون له مقادير فاحشة تزيد غرابته على غرابته وتمخه من الشناعة والفظاعة فوق ما يستحقه باصل خلقته اغراقا في الوصف واغربا في القول فان كان المتكلم ممن يوثق به اخذ الناس قوله بالقبول من غير مناقشة ولا بحث فيجري على الالسن حتى يملاء الارض ويتقل من جيل الى جيل فمن ذلك هذا (البال) فانه لما كان اكبر الحيوانات جعل له اغرب الصور واكبر المقادير فتارة جعلوا طولها تسعمائة قدم وتارة جعلوه اكبر من ذلك حتى قال بعضهم ان سفينة قد سارت بجانبه ثلاثة ايام ما بين راسه الى ذنبه وقال بعضهم ان الدنيا كلها على ظهرهاشة تتحرك بحركتها وتسكن بسكونها وجعل ذلك سببا لوجود الزلازل التي تحدث فيها وبعضهم يزعم ان الشيطان كان لامها على تحملها هذا

الحمل الثقيل فهمت بالقاء الدنيا من فوق ظهرها فامرها المولى
 باستمرارها على ما هي عليه ومن مبالغة الصينيين في شأنها قولهم انها
 اذا تحركت في البحر ظهرت حركتها في اربعائة وثلاثة وثلاثين فرسخا
 بحريا وانها اذا انتهت في الكبر وتقدمت في العمر صارت كالجبال
 العظيمة الشاهقة وقال بعضهم انها تحب من انواع السمك الطوبار
 والبوري والبقر الجري فتتبعها في سيرها فتقع بين تلال الرمال
 عند نزول البحر فلا يمكنها التخلص فاذا تحركت فرقت الرمل وجعلته
 في جنبها كالجبال فيشعر بها اهل تلك الجهة فياتون اليها فيقطعونها
 وزعم بعضهم انها تقصد السفن فتشبهها بين فكها وتاكل ما بها
 الى غير ذلك مما لا يعول عليه ولا يصغى اليه وكذلك قول بعضهم
 انها قد تنقف في جهة من البحر مدة فيتراكم فوق ظهرها كثير من
 الطين والرمل وزبد البحر حتى تكون كالجزيرة فترسو عليها المراكب
 ويقم اهلها على ظهرها اياما وليالي وهم لا يشعرون بها والصحيح من
 ذلك كله ان طولها خمسة وثلاثون مترا ولها اجنحة فوق ظهرها تعوم
 بها ورأسها عظيم جدا وعيناها بالنسبة لرأسها صغيرتان جدا وانها
 لا ترى الا قليلا وفي فكها الاعلى من خمسمائة صفيحة الى ستمائة
 وجلدها صلب املس ليس به قشر وتحمه دهن في سمك قدمها اكثر
 ويعمل من صفائح الفك الاعلى عمد الشمسيات والصدور التي
 تلبسها نساء الافرنج

قال الشيخ ما ذكرت من ان طولها يكون خمسة وثلاثين مترا

على الصحيح يقرب مما قاله الدميري في حياة الحيوان فقد قال ان
طولها يبلغ خمسين ذراعاً وقد قرأت في بعض الكتب المترجمة من
اللغة الانكليزية ان طولها في البحر الشمالي يبلغ نحو تسعين قدماً
وهناك يعتادها الصيادون كل سنة ويصطادونها فاما في المحال
التي تعيش مطمئنة تامة الحجم فينيف على مائة وخمسين وان رأسها
عبارة عن ثلث طولها وعيناها في جرم عين الثور ولكنها في قفاها
فتمكن لها رؤية الاشياء من الخلف والامام وذنبها هلامي فاما لونها
فليس على نمط واحد ففيه اختلاف عظيم ربما كان سببه السم
او غيره ومن طبع هذا الحيوان ان لا يطعم لغير زوجه ولا تمنعه
مخالطته ومجانسته مع الغير عن الاقتصار عليها ثم انه وان يكن
اكبر جميع الحيوانات الا انه اودعها واهدأها جاشاً وبسالته انما هي
في الدفاع عن نفسه وعن ذويه وله اعداء كثيرة تعرض له وتقصده
فقد يلتصق به نوع من السمك صغير له جلد صدي فيرتفع في
شحمه واخر يسمى السمك السائف وهو ايضاً اعظم داهية عليه بعد
الانسان وربما سلم من مكر خصائه المائية باعمال القوة او بالهرب
فاما من ابن آدم المسلط على جميع المخلوقات فهيات له ذلك فانه
يتبعه بحيلة وتصرف ناجح يستخنه على ذلك طمع التجارة فيه او سد
خلة المعيشة وقد علم بالتحقيق انه يتأهب في كل سنة عدة سفن
لصيد هذا الحيوان في شطوط (كرتيلاند) وفي البحر الجنوبي
فينشبون فيه نحو كلاب مربوط فيه حبل فاذا احس بالمرح جرى

مسافة طويلة فيتركونه ريثما يتنفس ما شاء ثم يرمونه بكلاب اخر
الى ان يكمل ويبلغ منه الالم ويسج منه الدم فيؤخذ حينئذ ويقطع
منه دهنه ويوضع في براميل ثم يذاب ويجعل زيتا يدخل في عمل
الشمع واجزاء الدباغة وصناعة بعض الثياب والظاهر ان له مدخلا
عظيما في التجارة

فقال يعقوب كانت التجارة فيه واسعة فيما سبق لكثرة وجوده
اذ ذاك ثم لم يزل يتناقص ويغلو ثمنه شيئا فشيئا الى الآن وكان
المتحصل من هذا الزيت سنة ١٨٥٩ للميلاد وهي سنة ١٢٧٦ للهجرة
الفين وثمانية وسبعين برمبلا وفي التي بعدها الفا وتسعمائة وفي التي
بعدها الفا وسبعمائة فترتب على هذا النقص افلاس شركات
كومبانيات عديدة كانت مقتصرة على التجارة في هذا النوع وهذا
النقص انما حصل من قلة وجود هذا الصنف فقد علم من الاخبار
المحفوظة ان الذي اصطاده الصيادون منه في سنة ١٦٩٧ من
الميلاد نحو الف وتسعمائة وسبعة وخمسين والذي اصطيد من سنة
١٧١٩ الى سنة ١٧٧٨ منه نحو ستة الاف وتسعمائة وستة وثمانين
ومن سنة ١٧٨٤ الى سنة ٢٨٤٠ نحو ثلاثة الاف واربعمائة ومن
هذا التاريخ الى سنة ١٨٥٦ للميلاد وهي سنة ١٢٧٢ للهجرة لم
يضبط الا ثلاثة الاف فقط ومن هذا يعلم السبب في تناقص كمية
هذا الزيت في كل سنة عن السنة التي قبلها وهو السبب في غلو
سعره ففي سنة ١٨٢٠ كانت افة الزيت منه تباع بستين سنتيا

واقفة صفائح الاسنان اذا كانت على حالها الاصلي بثلاثة من صنف
 الافرنك ونصف واذا كانت مقطعة قطعا بعشرة منه وبلغت افة
 الزيت في سنة ١٨٦٢ افرنكا واحدا وثمانية عشر سنتيا وثمان الصفايح
 غير مقطعة ثلاثة عشر فرنكا والمقطعة مثلها ومقدار ما دخل في
 سنة ١٨٦٢ من صفائح الاسنان تبلغ قيمته مليونين من الافرنك
 تقريبا ولحمه يوكل بل هو مرغوب جدا عند بعض سكان الجهات
 الشمالية وبينه وبين لحم البقر قرب في الطعم والعادة ان ينضجوه
 في الماء بعد تقطيعه وجميع اهل اوروبا ياكلونه ولكن على حسب
 ما اعتادوا في ذلك فمنهم من يضيف له الحمص او غيره حين الطبخ
 ومنهم من يقلبه في الزيت

قال يعقوب وحين كنا نخوض في حديث (البال) كان بالقرب
 منا رجل من ضباط المركب عمره يقرب من اربعين سنة وله علم
 باحوال البحر والصيد كان يسمع حديث الساج يتامه فلما فرغ
 الساج من كلامه دنا منا وقال ان اصطياد الهوائش من البحر
 اصعب شي ويحتاج الى عدد واحتراسات وقوة وجرأة وصبر على
 احوال البحر وشدائده وكان يسافر في الزمن السالف لصيد الهوائش
 مراكب عديدة من جميع جهات اوروبا ويجمع منها في الجهات
 الشمالية المتجمدة اساطيل عظيمة وقبل وجود السفن البخارية لم
 يكن الاسفن الشراع فكانت مدة الصيد ذهابا وايابا تبلغ اربعة
 اشهر واكثر اذا كانت سليمة العاقبة وكان كثير من السفن يفقد

بين الصخور الثلجية فيموت ملاحوها وكل من فيها ولا يصل خبرهم
 لبلادهم الا بالاشاعة واما الان فصار السفر على سفن البخار اسهل
 واسرع ولكن لا يسافر لصيد هذا النوع الا سفن قليلة من فرنسا
 والانكليز وامريكا وهولاندة وغيرها لعدم وجوده بكثرة كالاول
 وكانت آلات الصيد رماحاً طويلاً وحراباً كبيرة وصغيرة كل واحدة
 منها عبارة عن قطعة حديد احد طرفيها مركب في نصاب من
 الخشب والطرف الاخر على شكل رقم الثانية من الارقام الهندية
 هكذا (٨) وقد جعلت على هذه الصورة لتنسب في جنم الحيوان
 فاذا دخلت فيه فلا يكاد يتخلص منها ويستصحبون مع هذه الآلات
 حبالاً طويلة يبلغ طول الواحد منها ثمانين قامة فاكثر الى مائة
 قامة وفضلاً عن هذه الآلات لا بد من وجود ستة زوارق او
 اكثر ويكون في كل سفينة نحو اربعين رجلاً غير القبطان
 والضباط والطيب وهم منقسمون الى قسمين قسم يمسك الرماح
 والحراب لاجل طعن الهوائش بها حين رؤيتها وقسم هم الملاحون
 فيستعملون مدة السفر في خدمة السفينة وعند الصيد في اعمال
 المجاذيف لاجل تتبع الهائشة واقتفاء اثرها حين ترى في موضع من
 البحر فاذا وصلت السفينة محل الصيد ووجدت الهائشة تلقي
 الزوارق في البحر وتفرق الرجال بحيث يكون كل ستة او سبعة
 منهم في زورق ويسيرون باستعمال المجاذيف الى ان يكونوا قريباً
 من الهائشة وعند ذلك تقوم الرجال التي بايديها الرماح والحراب

مربوطا بها الحبال فيمسك الرجل المزارق بكلتا يديه ويهزه هزاً
 موزوناً حتى اذا رضى به رمى به الهائشة فيدخل في جسمها على حسب
 قوة الرامي وحذقه فاذا احست السمكة بالجرح غاصت في جوف
 البحر وقد قبض على طرف الحبل المربوط في المزارق رجل من
 الملاحين فيراخي لها فيه فان لم يكف ربط فيه غيره ولا يزال
 يطاولها الى ان تظهر على وجه الماء في جهة من البحر وللصيادين
 من الحنكة والتدرب ما يعرفون به اين تظهر السمكة من الماء
 بعد ان تغطس ويستدلون على ذلك باتجاه ذنبها حين تنزل
 فيسيرون الى قرب الحبل الذي يتعين عندهم انها تظهر منه فتمى
 ظهرت من الماء حملوا عليها بالمزاريق والحرايا فلا يزالون يضربونها
 الى ان تزهد روحها ولا يخفى ان الهائشة من وقت طعنها الى
 ازهاق روحها يحصل منها حركات عنيفة قد توجب احياناً غرق
 الزورق ومن فيه خصوصاً اذا كان المسك للحبل غير مستعد
 لمطاولتها واطلاق الحبل لها بالتدريج الذي يترتب عليه ان تكون
 حركتها هينة وكثيراً ما تضرب الزوارق او من فيها بذنبها فانها
 عند مكابدة طلوع الروح يكثر اضطرابها وهياجها ويكثر ضربها
 الماء بذنبها ويخرج منها دم كثير يتغير به لون الماء الذي حول
 الزوارق ويبقى متغير اللون بعد موتها مدة من الزمن فاذا ماتت
 الهائشة يادروا الى قطع ذنبها ثم يربطونها بحبل الى زورق
 ويربطون باقي الزوارق به ويستحبونها في الماء الى ان يصلوا بها الى

السفينة وترفعها الرجال بالبكرات والحبال ثم يقطعونها ويخلصون
الدهن من اللحم ويذيونه على النار لاستخلاص الزيت ولهم في ذلك
طرق مختلفة

وقد اخترع في أمريكا لصيد (البال) الهائشة جلة ترمى
بالآلات النارية فتدخل في جسمها فتمزق في داخل الجسد فيموت
الحيوان في الحال واخترع اخرون جلة ادخلوا فيها مع البارود
بعض مواد سمية فمتى دخلت الجلة جسم الحيوان وتصعدت ينتشر
فيه السم ويفعل افاعيله فيموت الحيوان في مدة اربع دقائق او
خمس. قال وحضرت الصيد بنفسي وسني خمس وعشرون سنة
فما رأيت في عمري هولاً اكبر منه وينبغي لارباب هذه الصنعة ان
لا يكون للخوف سلطان عليهم بل يكونون بمكانة من الجرأة والقسوة
وقوة القلب بحيث لا يهابون الموت ولا يخشون الاخطار ولا تزعمهم
الاهوال ويلزم ان يكون قائد الزورق مع ذلك حديد البصر
ماضي العزم وان يكون عنده مزيد تبصر وتدبر ومعرفة بما يلزم في
هذه الاحوال بحيث متى نظر الهائشة بادر بمن معه الى اجراء
جميع ما يستدعيه الحال من الحركات والاعمال لحصول الغرض
المقصود بغير اخلال بشي من ذلك فان الهائشة لا يكفي لموتها
حربة واحدة او اثنتان بل كثيرا ما يلزم ضربها عشرين او ثلاثين
مرة بخاطر في كل منها بنفسه ورجاله فانها متى احست بالمرح
والالم هاجت واضطربت فان لم يكن جرحها بليغاً وفي الموضع

الموجب لموتها بالسرعة تاخذ في الطرق المخلصة لها فتغوص في
 البحر بقوة عنيفة يندفع بها الزورق بسرعة عظيمة تفوق سرعة النبل
 وقد يتكرر منها هذا الصنع مراراً عديدة فتظهر على وجه الماء ثم
 تغطس فيه وتعود وهكذا وتجه اتجاهات مختلفة وتقطع في ذلك
 مسافات بعيدة فان لم يكن الصياد متبصراً كل التبصر متديراً كل
 التدبير فربما انقطع الحبل فلا يتحصل عليها او غرق الزورق فانها
 قد تمر بمواضع فيها صخور من الثلج ومحال جمد ماوها فاذا مر
 الزورق بهذه الاماكن متبعاً لها فربما وقع في خطر يؤدي الى
 تلف جميع الملاحين او ضياع ثمرات تعبهم وتخلف مقصودهم وفي
 اثناء هذه الاحوال تسمع اصوات مزعجة بعضها من الهائشة وبعضها
 من ضرب الماء بذنبها مضافاً ذلك الى اضطراب الماء وعدم استقرار
 الزورق فيكون الهول عظيماً والخطب جسيماً فلا بد للرئيس ان
 يكون في هذه الاحوال ساكن الجاش غير مكترث بما يراه من تلك
 الاهوال ولا يشتغل باله الا بقتل الهائشة ويحتاج ان يكون رجاله
 متقادين له مطيعين لقوله متبعين لاشارته مبادرين الى تنفيذ اوامره
 على غاية من السكون والهدوء وكل منهم يشتغل بما وكل له من
 الاعمال مقبلاً عليه بكليته لا يشغله عنه شاغل سواه وكلما بدت
 لهم فرصة لضرب الحيوان انتهزوها ولا يزالون كذلك حتى يروا
 شوبوآبي الماء المقذوفين من خياشيمها قد تغير لونها من البياض
 الى لون الدم الاحمر فيعلمون بذلك ان الهائشة اشرفت على الهلاك

وان علمهم قرب على الانتهاء فيجهمون عليها ويزيدون في جراحها حتى ترفع راسها الى السماء وتنظر اخر نظرة الى الشمس نظرة من يس من البقاء ويخرج النفس الاخير ويدركها المات وتقطع منها الحياة

ثم ان كثيراً من محلات صيد هذا الحيوان في فصل الصيف والخريف يرى لون الماء فيه احمر كلون الدم وسببه ظهور سمك صغير احمر اللون ينتشر في الماء بحيث يملاً فضاء تسير فيه السفن يوماً فاكثرت طول الواحدة منه نحو ميلين اثنين وغلظها نصف ذلك ويتكون من هذا السمك طبقات كثيرة يبلغ طولها مسافات مختلفة فتارة عشرة اميال ومرة عشرين او ثلاثين ميلا وسمكها يبلغ ثلاثة امتار او اربعة والهائشة تحب هذا النوع اكثر من غيره فتمى وصلت احدى هذه الطبقات تسير الهويبا وتاخذ في صيده فتراها تنفتح فاها وتنزل فكها الاسفل فيحينئذ يدخل فيه ماء وسمك بقدر اتساع الفم وقدره سبعة امتار مكعبة وكلما سارت جهة امامها يدخل ماء جديد بما فيه من السمك والماء القديم يخرج من خلال الاسنان وتستمر سائرة هكذا الى ان تقطع نحواً من اربعين او خمسين متراً ثم ترفع راسها وتحرك لسانها لضم السمك الصغير وهي تنفث الماء فيخرج ويبقى السمك على شكل كرة قدر النارنجة فتبتلعها وتبتدىء في العمل كالاول

وهذا الحيوان مع كبر جثته وعظم خلقه في غاية من الجبن

والخور فلا يعتمد في طلب النجاة غالباً إلا على الهرب والفرار
والهزيمة امام العدو

وفي اول فصل الخريف يرى الذكر منه منفرداً عن الانثى
غالباً فيظن انه يبحث عنها وتراه كثيراً في حركات غريبة وتقلبات
عجيبة فتارة يتهرغ ويظهر في الماء صدره ورأسه وتارة يرفع فوق الماء
قريباً من ثلثه فيتموج البحر من هذه الحركات ويضطرب ويرغي
ويزيد وهذه الامور علامة على نداء غيره من جنسه واستدعاء ذوي
نوعه فيجتمع كثير منها ويستمر الجميع على هذه الحركات واللعب
زمناً طويلاً اذا لم يقطعها عن ذلك ظهور مراكب الصيد ومتى
حصل بين الذكر والانثى ائتلاف في هذه الجمعية انفردا عن البقية
وسارا مع بعضها فان اصاب الانثى طعنة من الصيادين ترى
الذكر يحوم حولها ويحاول خلاصها ويكثر منه ذلك حتى انه ربما
حل به ما اراد ان يخلصها منه فيصير كالباحث عن حنقه بظلفه
وهذا كله في ابتداء الصحبة وحادثة المحبة فاذا تقادمت المودة
ومضت عليهما في الصحبة مدة ضعفت علائق الحب والوفاق وصار
ادنى الاسباب موجبا للفراق وهذا النوع يجب الذراري اكثر من
الازواج فترى للام حنواً شديداً على ولدها وتحافظ عليه اكثر
من محافظتها على نفسها ولهذا كان من عادة الصيادين اذا رأوا مع
الانثى ولدها ان يبادروا لصيده اولاً لعلمهم بانها لا تفارقه فيسهل
عليهم بهذه الوساطة صيدها ايضاً فتراها في اثناء مناوشة الصيادين

لابنها تبذل في مساعدته جهدها وتأتي باقصى ما عندها فتارة تدفعه
 باجنتها وتارة تدفعه بصدرها فان لم تجد فيه قوة على الهرب حملته
 على عائقها وغاصت به في الماء فان لم يتبعها لما اصابه من الجراح لا
 تتركه بل تستمر على محاولة انقاذه باقصى وسعها وغاية ما عندها
 فتارة تجذبه ومرة تدفعه وتارة تحوم حوله وتحنه على الفرار والهرب
 ويرى عليها في اثناء ذلك من اثار الكآبة والحزن ويسمع لها من
 شدة النفس والصوت ما يدل على شدة تألمها وهول مصابها وتنسى
 نفسها في اثناء هذه الاحوال بالمرة حتى يكون ذلك سبباً لهلاكها
 وتقع فيما كانت تخلص منه لولا فرط حبها لولدها وانها كما على
 مساعدته وتخليصه وتبلغ زنة الواحدة من هذا النوع مائة وخمسين
 قنطاراً تقريباً ان كان طولها عشرين متراً فان كان ثلاثين متراً
 كان الوزن على حسبه وطول راسها ثلث طولها كما ذكرت
 ويختلف عرض فكها من اربعة امتار الى سبعة وطول سننها
 يختلف من متر الى خمسة امتار بالنسبة لنعها وقوتها عظيمة
 جداً بحيث يمكنها قذف الزورق بمن فيه في الجوا الى غاية عظيمة
 ويوجد على جلدها بعض محار وحيوانات مائية صغار وتلد عادة
 فرادى ومثنى وولدها حين الوضع يبلغ طوله ستة امتار تقريباً ومن
 حين الولادة تنصب عليه رواق الحنو والشفقة فترضعه وتحضنه
 وتعلمه السباحة

المسامرة الثامنة والسبعون

كاشالو او العنبر

(من حكاية يعقوب)

وفي الحيوانات البحرية نوع هائل يسمى بالافرنجية (كاشالو)
وهو العنبر يقرب من الهائشة في الصورة الا ان بينها في بعض
الاعضاء اختلافا لان هذا الحيوان يوجد في فكه من الجانبين
انياب اسطوانية او مخروطية وفي الفك الاعلى انياب غيرها صغيرة
جدا لا تكاد ترى من اللثة فاذا اطبق الحيوان فمه دخلت انياب
فكه الاسفل في تجاويف مقابلة لها في الفك الاعلى وطول راسه
قريب من نصف طول جسده وارتفاعه يبلغ مترين تقريبا
ويستخرج منه مادة بيضاء زيتية تجهد انا بردت وهذه المادة
في اوعية براسه متصلة باخرى في البدن متوزعة فيه فيستخرج مما في

سائر جسده اكثر مما تخنويه الاوعية التي في الراس وقد ما يستخرج
من الحيوان الواحد نحو من اربعة وعشرين برميلا من الزيت
وكل برميل يسع مائة واربعاً وعشرين (نبادية) والنبادية مكيال
كانت الفرنسيس تستعمله في كيل المائعات ومقداره مائتان
واربعون درهما مصريا تقريباً وهذا الحيوان يقيم على سطح الماء اكثر
من الهائشة وفي جوف الماء مدة طويلة كذلك ويستخرج منه ما عدا
المادة الزيتية المذكورة دهن يذاب ويستخرج منه زيت مثل زيت
الهائشة ولكنه قليل واذا كان هذا الحيوان مريضاً يخرج منه الطيب
المشهور بالعنبر فليس هو الاً من ابرازات يخرجها عند مرضه
فتكون فوق الماء او على الساحل قطعاً تقرب القطعة من خمس
عشرة افة والصيدون يعرفون مواضعه فيخرجونه منها بمذاري
طوال معدة لذلك وقد اخبرني رجل من الامريكانيين ان بعض
الصيدان عثر بقطعة من العنبر بلغ وزنها خمسا وستين افة وليس
في ذلك مبالغة منه لان هذا الحيوان يبلغ طوله خمسة وثلاثين متراً
ويتغذى هذا الحيوان بالحيوانات الصدفية والحيوان ذي الثانية
الارجل وفيه من الجرأة والبطش ما ليس في غيره فلا يهرب شيئاً
من حيوانات البحر الكبيرة ضعيفة او قوية ولا يترك شيئاً يصادفه
في طريقه سواء كان انساناً او حيواناً فاذا احس بجربة الصيد في
بدنه قصد الزورق مع كمال الشهامة والسرعة ويرفع راسه اليه
ويجمل عليه فان لم يجمل الصيدون في خلاص انفسهم في الحين

هشم القارب ومن فيه من الملاحين بين انيابه الخمسين ولهذا كان
 اصعب حيوان يتقرب منه الصيادون وكل من يروم صيده يلزمه
 استعمال كثير من الحيل والتدابير للسلامة من خطره ولهذا
 الحيوان في السير سرعة عظيمة بحيث يقطع في الساعة الواحدة اثني
 عشر ميلا واكثر ونفخه متتابع بين كل نفخين ثانية من دقيقة وعدد
 النفخ خارج الماء يخلف فتارة ينفخ خمس عشرة مرة وتارة عشرين
 واخرى ثلاثين ثم ينزل في الماء

المسامرة التاسعة والسبعون

تتمة قصة يعقوب

ثم قال يعقوب فهذا ما حضرني الان مما سمعت في هذه
 الحيوانات واعود لتمام حديثي في السياحة حسب اقتراح سيدي
 الاستاذ فاقول قد اقمنا في السفينة التي قدمنا ذكرها عائدتين الى
 بلادنا ثلاثين يوماً لم يكن لنا فيها شغل سوى اشغال المركب
 وحديث بعضنا مع بعض والنظر الى الماء والجو وكنت اميل كل
 الميل لسماع ما يقال حولي من الاحاديث واذا سمعت شيئاً كتبته
 وحفظته عندي خوفاً عليه من الضياع وقد جمعت من ذلك شيئاً
 كثيراً في كراريس عديدة وهي الان عندي مصونة عندها من
 خير الذخائر اذكرك بها ما مر عليّ من الحوادث ومن اجتمعت بهم
 من الناس واذكر بها من احسن اليّ ومن اساء عليّ فهي بالنسبة

لي احسن ثم اجنبيه واثن متاع اقتنيه لان طول هذه المدة لم
 يساعدني الدهر فاكون من ارباب المناصب العالية ولا اكتسبت
 مالا يقيني نكبات الايام العادية وقد بلغت خمسا واربعين سنة من
 العمر وانا لا املك شيئا غير ما تراه علي من الثياب وثلاثين جنيا
 انكليزيا اجرة ثلاثة اشهر كانت لي عند القونانية اخذتها حين
 لحقت بمحضرتكم وكل ما اكتسبته في الايام السابقة ضاع وذهب
 سدى فمنه جزء ضاع في مصر وجزء عظيم كنت اودعنه عند واحد
 من الناس فادعى انه سلمه الي بالزور والبهتان واقامت بيني وبينه
 قضية كانت له علي فيها الغلبة لمعرفته بكثير من الناس امكن له
 بواسطتهم غش المأمورين بالتحقيق فحكموا له علي فتخلص وضاع
 المال علي ومع ذلك فانا احمد الله على هذه القسمة ولست متأسفا
 على ما فات ولا متكدرا بما صرت اليه من الحال في هذه الاوقات
 ولا نبالي انا ارواحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نسب
 فلما انقضت مدة هذا السفر ودخلنا سواحل بلاد الانكليز
 احاط بجميع من في السفينة مزيد الفرح والسرور والانس والحبور
 لان كلا منهم كان يترقب الاجتماع باخوته وقرابته واهله واجبته
 وصار كل يعانق صاحبه ويهشه بالسلامة ويعده بالاجتماع في
 اماكن معينة وعلى ذلك وصلنا مينا لوندرة فلبس كل واحد انظر
 ما عنده من اللباس وتهيأ للخروج وانا كذلك في جملة الناس
 تهيأت للخروج فاحضرت خرجي واحتملته على عاتقي وارتيت ان

اخرج واذا بصاحبنا السائح الذي كنت معه حضر لدي وقال لي
 ماذا تصنع فقلت اريد الخروج الى المدينة فقال انت رجل فقير
 ولا تعرف الناس ولك اخت فقيرة محتاجة كل الاحنياج واخشى
 ان تستهلك ما عندك من الدراهم في الصرف على نفسك وتبقى
 صفر الكف فقلت له وما الرأي فقال الراي عندي ان استحسنته
 ان تكون معي في منزلي فهو خير لك فشكرت صنيعه وحمدت الله
 سبحانه حيث جعل لهذا الرجل العظيم الحنو والشفقة علي ثم اكرهنا
 عربة وضعنا بها ما لنا من المتاع وركبنا معاً وتوجهنا سائرين وبعد
 توطني اخذت اسأل حتى عرفت محل اقامة زوجة القبطان المتوفي
 التي كنت جعلت عندها مائتي جنيه فسرت اليها فلما رأته قابلتني
 بمزيد البشر والفرح والطلاقة وقالت لي بعد برهة يسيرة اني لما
 وجدت غيابك قد طال ولم يصلني من اخبارك ما يوقيني على
 حقيقة الحال جعلت وديعتك التي استودعنتها في احد بيوت
 الصيارفة لاجل الثموت تجد اذا حضرت اكثر مما تركت ثم قامت
 وفتحت خزانة عندها واخرجت منها سند الاستلام وحسبت الربح
 فوجدته يبلغ مائة جنيه تقريباً ففرحت بذلك وشكرتها على معروفها
 وحسن تدبيرها ودعوت لها ولما اردت الانصراف ابت الا ان
 اتغذى معها فاجبت دعوتها وصرنا نتحدث معاً قريباً من ساعتين
 سألتني فيها عن سبب طول الغيبة فانابأتها بقصتي وبما صار لي
 ولما كان معي وكيف نجوت من الغرق ووقعت في يد سكان

افرقة فبكت على ما نابني من المصائب والمصاعب وقالت هكذا
 حال الدهر ثم انها قامت واخذت بيدي وتوجهنا الى الصيرفي
 واطهرنا له السند فقال الدراهم عندي حاضرة ان شئت اخذتها
 وان شئت ابقيتها للرجل فشاورتها في ذلك واخبرتها ان لي اخناً
 يتيمة فقيرة تركتها في خدمة خاتون بمدينة (بورك) ومن حين
 انفصالنا لم يصلني من اخبارها ولا وصلها من اخباري شي ولست
 اعلم اأمات ام هي في الحياة واريد ان امضي اليها لانظرها فان
 وجدت ارسلت لحضرتك خطاباً اعلمك فيه بما يظهر لي في شان
 الدراهم فاستحسنت رايي وقالت انت عندي في مقام ولدي فلا
 تتاخر عن طلب ما يعرض لك من حاجة فستجد مني المساعدة
 الى اعانتك بكل ما قدرت عليه اكراما للمرحوم فعند ذلك قبلت
 يدها وغيّرت السند باسمي وتركت الدراهم عند الصيرفي وصرت
 معها حتى وصلت لمنزلها ثم توجهت الى السائح واخبرته بقصة الدراهم
 واستشرته في الذهاب الى (بورك) لاعلم حقيقة خبر اختي وعرفته
 رغبتني في السفر اليها فوافقتني على ذلك وقال لي ان طاب لك
 المقام ولم ترد ان تعود الى لندرة فاعلم اني لك صديق محب على
 البعد والقرب فسئلني عن كل ما بدالك ولا تقطع عني اخبارك
 وان اردت الرجوع الى هذه الجهة فاناً على ما تحب فشكرته على
 ذلك وبقنا ليلتنا فلما اصبح الصباح تاهبت للسفر فذهب معي الى

موقف سكة الحديد وبقي معي حتى ركبت العربية ثم ودعني
وانفصلنا

المسامرة الثمانون

سوق في باريس

قال ناقل الحديث فبينما هم كذلك حضر الانكليزي وقرع
الباب فقام يعقوب وقال في وقت اخرا تم لك سياق الحكاية ودخل
الانكليزي فتلقاه الشيخ وولده بالتحية والاكرام واخذ يعتذر لهم عن
تاخره ويشرح لهم الاسباب التي عاقته ثم سألم عن حالهم وصحتهم
فشكروا الله واثنوا عليه ثم قال الشيخ انا قضينا هذه المدة مع يعقوب
في حديث ما جرى له وما رآه في البحر من حين سفره الى عوده

لبلاده فقطعنا الوقت في لذة الحديث واخبره بما رآه برهان الدين
 بالامس وقال له انا سألتنا يعقوب عن تاريخ باريس وطلبنا منه
 ان يقص علينا اخبارها فاحال عليك واعتذر بقله ما عنده في
 ذلك فقال الخواجا حبا وكرامة وسنجعل مسامرتنا بعد العود من
 الفسحة في ذلك لاني احب ان تقضوا ايام الاقامة بهذه المدينة في
 لذة وطيب خاطر واريد ان اكون دليلكم في الذهاب والعود
 لاطلعمكم على بعض ما لهذه الحاضرة من المآثر الفاخرة والان وقت
 الطعام فان شئت تطلبه فقال الشيخ لا بأس ثم امر الانكليزي
 باحضار الطعام في مكانه المعد له وقاموا فاكلوا وركبوا عربة
 وداروا في نواحي المدينة يفرجون فاعجب الشيخ بانتظام طرقها
 وسعتها ونظافتها وحسن اشكال ما فيها من البيوت وما لها من
 اتقان الصنعة وتناسب الاوضاع واختلاف الصور وزيادة ارتفاع
 الاماكن وصار كلما ابصر شيئا واعجبه سأل عنه الانكليزي فيصفه
 له ويذكر ما حضره من خبر يتعلق به او نادرة تؤثر عنه ويبين
 له ما طرأ عليه من صروف المحدثان وتقلبات الازمان وتقلباته
 من حال الى حال الى ان آل امره الى ما آل ولم يزالوا على ذلك
 حتى انتهوا الى مكان واسع فيه خلق كثير من نساء ورجال في
 ازدحام واشتغال ورأوا سقاييف من حديد مرفوعة على اعمدة منه
 وكلها في ازدحام عظيم من كثرة الناس الواردين من المدينة من
 كل جهة والمنصرفين بعد قضاء اغراضهم فكان الشيخ يرى الناس

في كثرة حركاتهم واختلاف تنقلاتهم، وتقاطع مسالكهم اشبه شي
 بتيارات مياه مختلفة الاتجاه فاعجبه هذا الموضوع زيادة عن غيره
 فاحب معرفة امره وسأل الانكليزي عنه وعن الغرض منه فقال
 له قبل ان ندخل في شرح هذا المحل لمجلس برهة في احد مواضع
 القهوة لنستريح ونزل الانكليزي ومعه الشيخ وولده ويعقوب فدخل
 بهم الى قهوة لطيفة الشكل واسعة الارزاء كثيرة الزينة والزخرفة
 في جميع جهاتها مبلطة بالمرمر وهي تشمل على عدة اماكن يوصل
 بعضها للآخر وفي كل مكان منها موائد (ترايبنات) بعضها من
 الحديد وبعضها من الرخام وحول كل واحدة منها جماعة من
 نساء ورجال بعضهم يقرأ اوراق الاخبار وبعضهم يلعب باوراق
 القمار وبعضهم يلعب النرد وغير ذلك من آلات اللعب وبعضهم
 يشرب قهوة وبعضهم يشرب غيرها من انواع المشروبات فاخذ
 الخواجا مكانا خاليا في احد الاركان وجلسوا فيه جميعا ثم بعد ان
 جلس كل منهم في مكانه واحضر خادم القهوة جميع ما طلبوه
 قال الانكليزي ان هذه السقائف العالية والابنية الخالية معدة
 لبيع جميع انواع المأكولات والاسماك واللحوم والفواكه والخضراوات
 ولم تكن قبل هذه الايام على ما هي عليه الان من الحسن والانتظام
 الذي تراه بل كانت في غاية الضيق والوخامة من عدم التفات
 المحكام وازباب الرعامه فكانت من كثرة العالم الذين يشترون
 ويبيعون بها يقع ازدحام يضر بالمارين لضيق دروبها وكانت احوالها

ليست مضبوطة وامور الصحة بها مهملة غير مربوطة فكانت تتراكم
بها القاذورات وتتعفن منها الطرقات وربما اضررت بصحة اهل
الازقة والحارات المجاورين لها فكثير التشكي من سكان تلك
الاماكن حتى من اصحاب البضائع واموري الضبط والصحة لعدم
تمكنهم من اجراء ما تقتضيه المصلحة فلوراجه وهو على ما كان اولاً
عليه لانفت نفسك من النظر اليه ولكن لما كانت هذه المدينة
بسبب كثرة توارد الناس اليها آخذة في اتساع البناء تكلم ارباب
المجالس في هذا الشأن فاستقر رأيهم على ازالة ذلك الضرر ثم
عرضوا ذلك على ارباب الحكومة فصدقوا عليه وصدر الامر
للمهندسين بامضائه وعمل رسم بما يقتضيه التنظيم فرسموه وكتبوا
معه ما يلزم لمصلحة البلد وصحة اهلها في الحال والاستقبال وقدموه
ولكن لم يظهر لذلك اثر الا في عهد قريب لانه لم يبدأ في اساسها
الا في سنة ١٨٥١ للميلاد مع ان التشكي والامر بازالة الضرر كانا
قبل ذلك بنحو اربعين سنة وقد تم في سنة ١٨٥٦ وهذا الميدان
كله عبارة عن عشر سقائف مغطاة بالواح من التوتيا مرفوعة
على عمد من الحديد ومساحتها بما فيها من الخانات والطرقات تبلغ
ستين الف متر مسطح عبارة عن اربعة عشر فداناً مصريا ونصف
فدان تقريباً وتحت كل سقيفة من هذه السقائف ثلثائة وخمسون
دكانا وهي كما رأيت منقسمة الى قسمين كبير وصغير يفصل بينهما
شارع عرضه ثلاثون متراً فالقسم الكبير تبلغ ارضه عشرين الف

متر والصغير عشرة الاف والباقي وهو ثلاثون الف متر مساحة
 الطرق والميدان والجنيينة التي رأيتها فبسبب هذا الاتساع صار
 هذا المحل من احسن ما يرى والطفه فهو وان كان معدا لبيع هذه
 الاصناف الا انه صار معدودا من المحلات التي تهرع اليها الناس
 وتجمع بها للتفسيح والاستئناس وتمت هذه الستف جميعها دور من
 البناء كله مخازن في اعلا كل مخزن فتحة للاستضاءة ودخول الهواء
 وبين تلك المخازن وبعضها طرق عليها قضبان من الحديد
 موصلة الى السكة العمومية فترى العربات تسير في باطن الارض
 بانواع البضاعة ولا يشعر بها احد ممن هناك من الباعة فهذه
 الوسائل كثر ورود جميع اصناف الماكولات من غير ان يترتب
 على ذلك ادنى ازدحام ولا نوع ايلام وصار اهل المدينة على ثقة
 من وجود ما يحتاجون اليه لوروده في وقت معين من جمع
 الجهات وكذلك اهل البضائع صاروا في امن على بضائعهم من
 العوارض التي كانت تعرض لها قبل ذلك هذا خلاصة ما يتعلق
 بذات المكان قديما وحديثا واما ما يباع فيه في كل سنة من البقول
 ونحوها فشيء كثير وقد احصي ما يبيع فيه سنة ١٨٥٦ من الميلاد
 فكان مقدار ما يبيع من صنف سمك البحر خاصة ٢٢٠ ٨٧٨٥
 كيلو جرام والكيلو جرام عبارة عن اربعة اخماس اوقية مصرية اعني
 ثلاثمائة وعشرين درهما ومن سمك الماء العذب ٩٠٨٢١٢ كيلو
 جرام ومن الزبد ١٧٦٠٢٢٢١ كيلو جرام ومن صنف البيض ما

بلغ ثمنه ٨٦٠٨٦٧١ من الافرنك ومن اصناف الخضراوات ما بلغ
ثمنه اربعين مليوناً من الافرنك ومن اللحم ٤٧٢٤٣٦١٣٦٢ كيلوجرام
ومن النبيذ المباع في براميله على اختلاف اجناسه مليونين من
اللترات واللترا رطل انكليزي فبلغ ثمنه نحو خمسين مليوناً من
الافرنك وما من سنة الا وتزيد على ما قبلها

فقال الشيخ كذلك يجب ان تكون المدن التي وضعها على
ان تكون مسكونة باهل الصناعات واصناف التجارات يرد اليها
الترويون والغرباء بانواع الحيوانات الموقرة بالبضائع المختلفة وهذا
من الامور المعقولة التي تضطر اليها طبيعة الاجتماع البشري فكما
مست الحاجة لسعة الطرق لزم ان توسع حتى تندفع الحاجة ويا من
الناس من الاصطدام والاصطكاك ويسلموا من اذى الازدحام
فعند ذلك نظر الى الشيخ صاحبه كانه يذكره امر مصر فقال سألت
بعض المعمرين بمصر عن الاسباب التي دعت اهلها لتضييق الطرق
فقال حدثني بعض اسلافنا بما عاينت طرفاً منه وهو ان مصر كانت
مسكونة بامم مختلفة الطباع متباينة الاخلاق لا تزال العداوة بينهم
قائمة والشورور محندمة فكان من عرف نفسه بالقوة متسلطاً على
الضعفاء بالنهب والسلب مجاهرة يجوسون خلال الديار ويسورونها
فراى الناس مدافعة تلك الشورور بتضييق الطرق حيث لا يمكن
للكثير ان يروا بها جملة واحدة واذا دخلوا اوزاعاً تمكن الناس
ان يحدفهم بالاحجار قتل النهب من داخل البلد وبقيت كثيرة

في الاطراف وبذلك السبب كان المصريون يتخذون ابواب
 الدروب صغيرة مستورة الوجه بالمسامير المفرطة الروس لتكون
 لها بمنزلة الدروع فلما هدأت الفتن وعم الامن وغلبت السلامة
 اخذت مصر في محاسن الاحوال ولطائف الاشكال من طرق
 بالغة في السعة وابنية متراصفة متناسقة تؤمن فيها غوائل المرور
 ويطيب الهواء وتصلح للاقامة وذلك من حسنات الدولة القائمة بامرها
 حرسها الله وكان لها رداء معيناً وركناً حصيناً فانها لم تنزل ناظرة
 في اسباب العمران واتساع دائرة الامن والرفاهية وحسن تعاون
 طوائف الناس بعضهم لبعض وشواهد الاحوال ناطقة بان ذلك
 لا يزال على احسن غاياته فالناس مقبلون على تعلم الالسنه وقرآه
 الكتب واجناء ثمرات العلوم ومن العادة ان الانسان اذا ترك
 حالة الى احسن منها بذل جهده في تغييره ما لا يرضاه فابن مصر
 الآن ما كانت عليه ولو بعد بقايا كثيرة من ضيق الطرق واختلاف
 الابنية بالدخول والخروج وسوء الوضع الموجب لوخامة الاهوية
 واضطراب الامزجة وتزاحم الناس واشتغالهم بما يقل نفعه ويكثر
 خسارته ثم ما احسن اتخاذ مثل هذا الميدان فانه ربما كان سبباً
 لكثير من المرافق كسرعة عود ذوي الاشغال الفلاحية الى اشغالهم
 بعد فراغهم من شان منقولاتهم وكضبط الاسعار وقلة التغاين فان
 الفلاح يبيع بضاعته جملة ثم اهل التجارة فيها يوزعونها حسب
 طلب الجهات بخلاف ما اذا كان الفلاح يتولى توزيعها بنفسه

عطلته زمناً طويلاً وربما بارت عليه وبالجملته فاتخاذ الطرق
 لتسهيل المعاملات بحسب الامكنة والازمنة امر لا شبهة في حسنه
 فقال الانكليزي هو كما قلت لا سيما اذا كانت الامة مراعية
 للشركة العامة والمصالح الشاملة غير مهتمة لها وقتاً ما ثم قاموا
 سائرين وهم يتحدثون فيما يبرون عليه الى ان وصلوا محلهم فاجتمعوا
 جميعاً في غرفة الشيخ فطلب برهان الاذن من والده بالتوجه مع
 يعقوب الى البالو فاذن له وبقي الخواجا مع حضرة الشيخ

المسامرة الحادية والثمانون

باريس

فقال الخوaja قد طلبتم مني ملخص تاريخ هذه المدينة واصل
 وضعها فقال له الشيخ نعم فقال لا يخفى ان حالها الآن ليس كحالها
 في غابر الازمان بل لا نسبة بين الحالين لان جميع ما تراه من
 الابنية الحسنة والشوارع الواسعة المستحسنة وان كان كله من
 نتيجة افكار المتقدمين الا انها لا يوجد بها الآن اثر من الآثار
 الاولى لان كل جيل اتى يغير من اثار قبله فبتداول الازمان على
 هذه المدينة وصلت الى هذه الدرجة التي صارت بها منفردة بين
 المدن وبلغت من افخر الغاية ومن الشهرة النهاية حتى شهد لها
 غيرها من سائر المدن انها فازت بجميع انواع اللطائف وحازت
 اصناف الزخارف ومع ذلك فلم تنزل كل يوم تتقل من حال

الى احسن وتجدد بها من انواع الحسن في كل يوم ما لا يتجدد
 بغيرها في زمن فهي في الثروة ليس لها مثيل وما تبلغه في زمن قليل
 لا يصل اليه غيرها في زمن طويل وهلم جرا وكل من رآها في
 سنة ثم رآها في اخرى قال انها تغيرت الى شكل احسن مما كان
 وليس في الامكان حصر ما بها من الغرائب ولا ضبط ما يحدث
 فيها من العجائب فان الانسان ولو اطال بها المقام واتخذها وطناً
 مدة من الاعوام لا يمكنه حصر بعض ذلك ولا الوقوف على ما
 يحدث فيها كل يوم من البناء والمسالك ومع ذلك فاني اذكر
 لحضرتكم ما يحضرنني من تاريخها فاقول لا يخفى ان بين كل مملكة
 وكرسیها ارتباطا كارتباط الجزئيات بالكلية لان كرسي كل
 مملكة اصل في حوادث مملكته وحوادث كل مملكة راجعة الى
 كرسيها سواء كانت الحوادث دينية او دنيوية فمن اراد التكلم على
 احدها اضطر الى التكلم على الاخرى وشرح الكلام في هذا يطول
 فلا نذكر الا ما هو ضروري فنقول

من المعلوم ان الجزء اصل للكل وان الفردية سابقة على
 الزوجية وان العدم سابق على الوجود وان اصل الاعداد الواحد
 فاذا تمهد ذلك فلا مانع من ان يكون اصل كل مدينة او قبيلة
 ناس قليلون ثم يتزايدون شيئاً فشيئاً اما من نسلهم او من ياتي
 اليهم طمعا في ارزاقهم او احتوائه بهم فهذا هو اصل اتساع المدن
 والقبائل وكثرة اهلها

فقال الشيخ هذا كله مقبول ومعقول وقد اصابوا فيما فعلوا
 حيث تخبروا هذا الموضع وجعلوه مقرا لم فقد وجد فيه ما ذكره
 في اتخاذ المدن حيث قالوا يجب في كل موضع اريد اتخاذه مدينة
 ان يكون مشتتلا على ما بقي من المضار وتسهل به المنافع والمرافق
 فاما ما بقي من المضار فبان يدار حولها سياج الاسوار وان يكون
 وضعها في ممتنع من الارض اما على جبل ليصعب على العدو
 صعوده واما ان يحيط بها بحر ليصعب عليه عبوره وكذلك مراعاة
 الوقاية من العوارض الجوية بان تكون طيبة الهواء لان الهواء اذا
 كان خبيثا بان كان ساكنا او مجاورا لمياه فاسدة او لمنافع متعفنة
 اضر بما حوله من انسان وحيوان كما هو مشاهد واما ما تسهل به
 المنافع والمرافق فامور منها وجود الماء العذب والمرعى وقرب المزارع
 والاشجار منها للاخطاب والبناء لان قرب ذلك يسهل على
 الساكن مرافقه ومنها قربها من البحر لتسهيل الحاجة القاصية من
 البلاد النائية فاذا لم تراعى هذه الامور في المدينة قبل اخطاطها
 اسرع اليها الخراب كما وقع في بعض مدن العرب التي اخططوها
 بالعراق وافريقية والكوفة والبصرة والقيروان حيث لم يراعوا فيها
 الا اهم عندهم من مرعى الابل وما يلزم لهم من الشجر ولم يراعوا
 الماء العذب ولا المزارع ونصوا ايضا انه يجب في المدن الساحلية
 ان تكون في جبل او بين امة موفورة العدد والعدد للاستنصار
 بها اذا دم العدو لان المدينة اذا لم يكن بقربها عمران ولا طريقها

وعراً كانت طعمة لكل من ارادها واظن ان هذه الامور جميعها كانت متوفرة فيها حين وضعها

فقال الانكليزي لاشك ان معظم هذه الامور متوفرة في هذا الموضع لان النهر موجود فيه وكذلك هواؤه خالص تقي والحجر عندهم كثير للبناء به بدل الخشب فهذا هو السبب في اختيار هذه البقعة والاقامة بها وكان ابتداء وضعها حين كانت الارض كلها سائلة وتفرق الخلق عن سطحها وعذرم في عدم استيفائهم بجميع شروط الاخطاط ما ذكره المؤرجون من ان هذه البقعة وغيرها قبل ان تسكن لم يكن بها الا اكام وصحارى مملوءة بمياه ملحة واستدلوا على ذلك بوجود اجزاء حيوانات بحرية واسداف عثروا بها خلال اجزاء الاحجار والظاهر ان محل باريز قبل ذلك وبعده بزمان طويل كان مغموراً بالماء وفي صورة خليج وان كان مدن (منت . ودروه . وفوتينبلو . ونومور . ومونتر) وغيرها كانت على شواطئه وكان وسط الماء اماكن مرتفعة كالجزائر وكانت سواحله خالية من النبات والمخلوقات ليس بها الا الصدف وميتة السمك ونحوه من الحيوانات البحرية وبعد انقضاء تلك الايام صار الماء ينحسر والارض تجهد شيئاً فشيئاً فكان كلما انحسر الماء عن موضع كسي بالنبات والشجر حتى كثر ذلك فاوجد الله بين تلك الاشجار انواعاً من الحيوانات فظيعة المنظر مهولة الخلقة فصارت تتناسل وتنتشر في جميع البقاع وبقيت هذه البقعة على حالها الى ان

جاء طوفان نوح عليه السلام وكان خروجه من الجهة الجنوبية
 الشرقية فقلع الأشجار والنبات وغرق أكثر ما على وجه الأرض
 من الحيوانات ولم ينج منها إلا القليل فاختلط بعضه ببعض وتناسل
 حتى ملأ الأرض فلما قضى الله ما أراد من الخراب وسكنت الأرض
 بعد الاضطراب وعمرت بما بقي من نوع الانسان تفرق الخلق في
 أرجائها وعمروا نواحيها فكان منهم طائفة وهم على ما حققه المورخون
 قوم من اهل الصين ذهبوا الى تلك الجهة وكان مأواهم حين
 نزولهم بهذا الموضع الخيام كعرب البادية فلما سكنوا بها وعمروها
 سمو جال اي زراع الأرض وكانوا قبائل وعشائر ولكل طائفة
 رئيس يحكم فيها وينظر في دعاويها ويقودها في الحرب وكانوا
 يصدقون بوجود الخالق ويسمونه هوذا ومعناه الخالق الأكبر المؤثر
 في الكون ولكنهم كانوا يعتقدون ان معه الهة اخرى وان كل اله
 موكل بقوة من القوى المؤثرة في تدبير الكون وهذا الاعتقاد يشبه
 اعتقاد اليونان فانهم يقولون بعدد الآلهة وان منها ما هو موكل
 بنار الدنيا وما هو موكل بالرعد وما هو موكل بالانهر والتلجان الى
 غير ذلك وكانوا يزعمون ان ديانتهم ماخوذة عن توت اي ادريس
 عليه السلام وانه الاصل في جميع الفنون والصنائع والمزارع وكانت
 اعيادهم وقت دخول الفصول في بعضها فيكثرون فيها من شرب
 المسكر وتعاطي المنكر ويقربون من الادميين لآلهتهم قربانا ولم يزالوا
 كذلك الى قبيل ظهور الديانة المسيحية بنحو سبعمائة سنة فهاجر من

جهة اسيا الى حدود البحر الاسود عدة قبائل فوجدوا هناك قوماً
يسمون كيرميس فازعجوبهم من مساكنهم وسكنوا مكانهم فرحل
الكيرميس الى جهات نهري الطونه والرین واقاموا بارض الجول
التي هي الان فرنسا فتدينوا بديانتهم ورفضوا الديانة القديمة ثم
انتشروا في بلاد الانكليز وهولانده وسكان بلاد الجول اي فرنسا
الى الان يتكلمون بلغة الكيرماسيين فلما ارتحل الكيرماسيون الى
ارض الجول تخيروا منها موضعاً وبنوا به مدينة سموها (دروه)
وجعلوها مركزاً لاهل ديانتهم كمدينة رومة الموجودة الآن لاهل
الديانة المسيحية وكانت تسمى هذه البقعة بالارض الوسطى ومركز
الديانة العامة ومقر العلماء والمحبين لازميس وما قدمناه في شانهم
من الاعتقاد انما هو معتقد كهنتهم ومن تبعهم

واما عوامهم فكان اعتقادهم مجرد اوهام وتلبيسات تلقيا الهم
كهنتهم فكانوا يكتبون عنهم عقائدهم التي يعتقدونها ليمتازوا بها
عنهم ومن جعلتها اعتقاد وحدة الاله وانه الذي لا نهاية لعلمه وان
كل ما اراده في الكون من خير او شر لا بد ان يكون وانه الخالق
لكل شي الذي يهيء كل ما خلق لما خلق له فيرفع اهل السعادة
الى الدرجات العلى وهي دار النعيم ويخفض اهل الشقاء الى الدرك
الاسفل وهو محل العذاب المقيم والدرك الاسفل عندهم عبارة عن
الفراغ المطلق والدرجات العليا عبارة عن المحل الذي تقيم فيه
الارواح المنعمة وان الانسان اذا ارتكب خطيئة او ذنباً ثم مات

نزل الى الدرك الاسفل اعني الفراغ الذي خرج منه وان كان
 جاريا في عمله على مقتضى علمه لا يرجو به حصول ثواب ولا فرارا
 من عقاب كان مآله النعيم المقيم وان كل من فترت عن الطاعة
 قواه اهبط الى الدرك الاسفل وكان قرينه الشيطان الذي اضله
 واغواه واقام في دار الشقاء والندامة وحرّم من انواع اللذة والكرامة
 واما من صعدت روحه الى ارواح الابرار فانه لا يجد ما يؤلمه في
 تلك الدار بل يكون دائما في عز وصيانة آمنا من الوقوع في الذل
 والاهانة متخليا بجميل الصفات كالراحة الدائمة وحسن الافعال
 ونور الذات متخليا عن سائر الرذائل اقلها المذلة والخوف من القلة
 ومن الكبر ماسيين قبيلة تسمى البلج وم معناها في الاصل المحاربون ثم
 اطلقت على سكان مملكة البلجيقا وتسمى عند مؤرخي العرب بالفلمنك
 تحولوا من شاطى نهر الرين الى جهة الجولانين وهم القاطنون
 بشواطى نهر الوان فاذنوا لهم في المقام معهم واخنلطوا بهم ومن ذلك
 الوقت سمو بالباريزين اي سكان الوان هذا ما يحضرنى الان
 من خبر هذا الموضع وسكانه واما طباعهم فكانت وقت ذاك وحشية
 واجسامهم عارية وعوراتهم بادية وكانوا يسمون اجسامهم ويتركون
 شعر رؤسهم حتى يصل الى اكتافهم وكانت القبائل التي حولهم
 تشهد لهم بالقوة وتخشى باسهم وكانوا اذا خرجوا للحرب وقتلوا احدا
 علقوا راسه في عنق الخيل للفخر وجعلوها آنية يشربون بها الماء
 والنخمر وكانت الارض التي نزلوا بها اذ ذاك ضيقة لان الجوليين

محيطون بها من كل جانب فلما استقروا فيها اخذوا يرتادون محلا
 يجعلونه مركزا لحكومتهم فاخاروا موضعاً جهة نهر السين كان به
 سبع جزائر يقرب بعضها من بعض فبنوا فيه مدينة جعلوها مقر
 التخت وسموها لوتيس وكان ذلك قبل هجوم الرومانيين على ارض
 الجول واستيلائهم عليها بمدة كبيرة فهذه المدينة التي تراها ويعجبك
 ما فيها من المباني الفاخرة وزيادة ثروة اهلهما قد عوضت لوتيس
 القديمة بعد استيلاء الرومانيين عليها وكان بناء لوتيس من خشب
 واغصان شجر ومساكنها ضيقة منخفضة ليس بها منافذ ولبرودة ارضها
 كانوا يستعملون تنانير كاهل ريف مصر وكانت خالية من المعابد
 فاذا ارادوا ان يجتمعوا وقت الاعياد والمواسم خرجوا الى صحراء
 قريبة منهم فيجتمعون بها وكانت معائشهم من الزروع وكانوا
 يزرعون فيدخرون مؤنتهم وينجرون فيما فضل عنها ولخصوبة
 الارض وحسن منبتها كانوا في ثروة وطيب عيش ثم حصل لهم بعد
 ذلك اضطراب فتضعع حالهم وآل امرهم الى الخراب وسبب ذلك
 ما قرأته في بعض الكتب وهو ان الرومانيين في تلك المدة بعد
 تخريبهم لبلادهم واستيلائهم على لوتيس مقر تختهم كما قدمنا كان
 تحت قبضتهم قبائل من الجبال خرجوا عن طاعتهم ورفعوا لواء
 العصيان عليهم فلما رأى الروم ذلك وكانت عساكرهم متفرقة في
 الحرب الى جهات متعددة وليس فيهم كفاية لمقاومة الجميع دبر
 قيصروهم في اتباع الفتنة بين تلك القبائل وقال لاهل مشورته انا

لا تتمكن منهم الا اذا وقع الخلف بينهم فارسل اولاً اليهم يطلب
منهم مددا فابوا جميعاً فطلب منهم خيلاً فمنهم من اجاب ومنهم من
امتنع ووقع الخلف بينهم فتمت حيلته وتوجه بعسكره اليهم فحرب
مدينتهم لوتيس مع جزائرها السبع وقتل من قتل وأسر من أسرو ومن
ذلك الوقت غيروا اسم لوتيس بباريز واشتهرت بهذا الاسم الى الان
وهذه الحادثة كانت قبل ظهور المسيح بخمسين عاماً ومن ذلك الوقت
اخلط الرومانيون بالباريزيين وصارت ديانتهم واحدة ومكث
الباريزيون واهل فرانس تحت حكم الرومانيين نحو الف سنة فكان
القبصرة يتوارثونها قبصراً عن قبصر ولم يزارهم احد منهم في ديانتهم
فبنوا بالمدينة معابد وهياكل واعلوا بنيتها ونظموا شوارعها ووسعوا
اسباب متاجرها ومزارعها وما زالوا كذلك الى سنة ٢٤٥ ثم لما
ظهرت بها الديانة العيسوية كان كلما كثر اهلها تفقر حالهم ولكن
بقيت اهل الديانة العيسوية الى القرن الثامن من غير رئيس ومع
ذلك فكانت الديانة العيسوية هي الغالبة فلما حصل القول بباريز
بربوبية عيسى عليه السلام حدثت الكنائس ورتبت القسس
فتفرقوا في مواضع كثيرة فكان العيسويون بشاطيء نهر السين
وان واما المتمسكون بالديانة القديمة فكانوا متفرقين في مواضع
كثيرة ولكل طائفة رئيس منها يسوسها ويحكم فيها الا ان طائفة
الفرنج وان كانت قليلة العدد كانت تميل الى السلب والنهب
فكانت الحرب بينها وبين من جاورها من الباريزيين وغيرهم لا تنقطع

وكانت جميع القبائل تحسب حسابها وتهياب حربها وذلك لانها
 التقت مرة مع جيش الرومانيين فهزمته وكانت لا تبلغ اربعة الاف
 وجيش الرومانيين اكثر من ذلك باضعاف فمن ذلك توهموا
 شجاعتها وهابوا سطوتها الا ان الباريزيين عرفوا كيف يتخلصون
 من شرها ويامنون من ضررها وذلك انهم استمالوا قلوب الفرنج
 حتى ادخلوهم في ديانتهم وزوجوا اميرهم بتا من بنات ساداتهم
 وملكوه عليهم فعدل فيهم واحسن سياستهم وذب عنهم من ناوهم
 حتى خلصهم من ذل الفرنج وقبضة الرومانيين وحكمهم عليهم وكان
 ذلك سنة ٤٧٥ من الميلاذ فامنوا على انفسهم واموالهم وزادت
 ثروتهم وحسنت عيشتهم وملأت المعمورة شهرتهم ولاجل تاكيد
 الائتنام والائتلاف ودفع توهم العود الى ما كانوا عليه من الخلف
 بنى ذلك الملك كنيسة باسم الحواريين اي انصار عيسى وهم بولس
 وبطرس واوصى ان يدفن فيها اذا مات ففعلوا وكان اسم من
 زوجته بنتهم كلوفس وهو الذي قتل جميع اقاربه وكانوا ملوكا
 فاستخوذ على مالكمم وخلف من الذكور اربعة فلما مات قسموا
 المملكة بينهم فتملك اقدم على باريز والثاني على ستير والثالث على
 سواسون والرابع دليان ثم مات ملك دليان وخلف ثلاثة من
 الاولاد فاتفق ملك باريز وملك سواسون على قتلهم وقسمة مملكة
 ابيهم بينها فارسلا الى والدتهم رسولا يخبرها بان ترسل الاولاد الى
 عمامهم ليربهم ويعلموهم السياسة الملوكية لانهم سيصيرون ملوكا

فتوجه اليها الرسول واخبرها بما قالوه فصدقتهم وارسلت الاولاد
الى اعمامهم ثم ارسلوا اليها رسولا ومعه سيف ومقص وقالوا له مرها
ان تختار ايها شأت وبخبرها انها اذا اخذت المقص فلا حق
لاولادها في الملك واذا اخذت السيف فلا بد من قتلهم فلما
وصل اليها واخبرها بما قالوه قالت اخذت السيف وقتلهم اسهل
عندي من بقاءهم محرومين من حقوقهم فرجع الرسول واخبر اعمام
الاولاد بما قالته امهم فقام احد اعمامهم وضرب احد الاولاد بمخبر
فخر ميتا والتجأ الثاني الى عمه الثاني فلم يمكنه حمايته من اخيه وخلي
بينه وبينه فقتله واما الولد الثالث ففر من بينهم ولم يوقف له على
خبر ويقال انه دخل ديراً ولم يخرج منه حتى مات وفي ايامهم
حسنت حال اهل هذه المدينة وتقدمت الملة العيسوية الا ان
ملكهم مات ولم يعقب الا ولداً واحداً فتملك بعده ولم تطل مدته
بل مات ايضاً ولم يخلف سوى بنتين فاتفق عماه على ان يتقسما
مملكة باريز وان لا يجعلها مقراً وان لا يدخلها احدهما الا ومعه
الاخر فمضى الامر على ذلك وهجرت باريز ولم يبق فيها الا اهلها
ولما كانت سنة ٥٨٤ من الميلاد خطب ملك الاندلس لابنه ابنة
ملك سواسون فاجابه وجهزها له وارسلها في موكب عظيم جمع
فيه اولاد امراء باريز واعيانها وامر ان يبروا بالموكب من وسط
المدينة ففعلوا ومات اكثرهم في الطريق لبعده المسافة الا انه لم تطل
ايامه بل عجل له حمامه ولم يعقب الا زوجة وولداً رضيعاً وكانت

امه مالات قوما واغرتمهم على قتل ملك ميتر فلما لم يتم ذلك خافت
 على نفسها منه فاخذت ابنها وذهبت به الى باريز وكان رئيس
 الديانة بها يومئذ رجل من ذوي المروءة والقنوة المشهورين بالشجاعة
 والقوة واجتمعت به فانزلها عنده واكرم نزلها وكانت الحرب في ذلك
 الوقت قائمة وعيون القن مستيقظة غير نائمة والفرنج منقسمة قسمين
 كل قسم منعزل بموضع والعدوان من بينهم لا ينقطع لكن كان
 القسم الغربي يميل الى السلم ويغلب عليه طبع الحلم لما عنده من
 عوائد المتدينين حتى كان يعد من الرومانيين واما القسم الشرقي
 فكان يغلب عليه طبع الخشونة والتوحش ثم ان تلك المرأة بعد
 ذلك ذهبت بابنها الى ملك البرجون واستغاثت به في ابقاء ابنها
 في ملك ابيه فشمرك ذلك الملك عن ساعد الجدد وشدد منها العضد
 واخذها وذهب بها الى باريز فصادف دخوله يوم الاحد وهم
 مجتمعون للصلاة فدخل الكنيسة وتلا عليهم مقالة حثهم فيها على ان
 يساعدوه على ملك ميتر وان يمنعوه عن باريز اذا قصدتها فاجابوه الى
 ذلك فلما جهز ملك ميتر جيوشه واتى بها الى باريز لم يتأخر من اهلها
 احد بل قاموا جميعا عليه وقاتلوه حتى ارتد بجيوشه خائباً وصار مطلوباً
 بعد ان كان طالباً وامنت باريز من ذلك الوقت من طروق
 الحوادث ولم تمتد اليها يد غادر ولا عابث الى سنة ٨٢١ انما كان
 يحصل بها احياناً بعض حوادث ككحط ووباء ومرض وغلاء ومع
 ذلك كان اهلها يزايدون الى ان كانت سنة ٨٤٥ للميلاد فاغار

الجرمانيون عليها وهي اول غارة اغاروها على فرنسا فقتلوا رجالها
 ونهبوا اموالها واستولوا على ارضها وكان ملكها وقتئذ شارل الاصغر
 فلما عجز عن مقاومتهم ويثس من الخلاص من يدم طلب الصلح
 معهم فصالحوه على ان يدفع لهم ٧٠٠٠٠ ليبرا فاعطاها لهم فاخذوها
 ورجعوا الى بلادهم ثم بعد عشر سنين رجعوا ثانيا فاعطاهم كذلك
 فلما علم الجرمانيون ضعف الفرنسيين وعدم مقاومتهم لم لم يتنعوا
 بالمال بل طمعوا فيهم فصاروا ياتون كل عام لنهب اموالهم وسبي
 ذرارهم وقتل رجالهم وهدم معابدهم وهتك حرمة مقدسيهم ولكن
 لمحافظة الفرنسيين على حرمة مقدسيهم كانوا اذا استشعروا بقدم
 الجرمانيين يقدمون مواراة المقدسين على محافظتهم لانفسهم وفي سنة
 ١١٨٥ اغاروا على المدينة غارة كبيرة فدافع عنها اهلها مدة ثم حاصرها
 الجرمانيون وضيقوا على اهلها وقتلوا من عثروا به في ضواحيها من
 نساء ورجال واطفال والتوا رمهم في الخنادق وطال الحصار
 فحصل لاهل البلد ما لا مزيد عليه من الكرب لثقل الزاد وتعذر
 وصول الميرة اليها فجاء الملك شارل ودخلها بعد محاربة جرت
 بينه وبين الجرمانيين ولكنه رأى من الصواب ان يصطلح معهم على
 ان يدفع لهم مبلغا فاخذوه وانصرفوا ولكن كان النهب في البلاد
 الاخرى لم يزل واقعا واذا سالوهم عن فوائد الصلح يقولون لم ان
 ما اخذناه وجرى عليه الصلح انما هو عن باريز خاصة فزاد كرب
 الاهالي من هذه الافعال الشنيعة التي هي من اثار توحشهم

وخشونتهم وقسوة قلوبهم ولما رأى اهل باريس ان ذرية مينار وهم
 ابناء ملك مينار قد غلب الجبن على طباعهم ونزلوا في الهمة الملوكية
 عن اوضاعهم وتغير شعارهم وكادت ان تخرب من القتل والسلب
 ديارهم وان استمرار الجرمانيين على هذه الحال مما يزيد في امرهم
 الاختلاف اجتمعوا امرهم على ان يجعلوا لها ملكا وان تعود باريز الى
 ما كانت عليه من الاستقلال فولوا عليهم رجلا يسمى اود ورضوا
 حكمه فعمل لم قوانين مشوا عليها ثم ان القرال الاكبر المسمى اشيل
 وكان مقره اذ ذاك مدينة ايكس انكر على الباريزيين امرا حصل
 منهم فخرج اليهم بجيوشه وقتل رجالهم ونهب اموالهم وتغلب على مملكة
 باريز ولكن لم تطل مدته ولم يوجد من يقوم مقامه في مملكته من
 ذريته واهل دولته فولوا مكانه رجلا اسمه هوج كاي فسار فيهم
 احسن سير ودبر لهم كل ما فيه خير وجددهم مصانع ومعالم ظهوروا
 بها بعد خمولم بين العالم وقويت في ايامه شوكة الدولة الفرنسية
 وصار لها شهرة بين الامم وشهد لها جميع الدول التي حولها من
 انكليز وعجم وجدد بها مدارس وورد اليها من اصناف التجارة ما
 لم يرد في ايام من قبله وضم اليه من اهل المعارف من ساعده
 وقوى في تدبير المملكة ساعده وكانت بيوتهم دورا واحدا من
 خشب فلما اتسعت عليهم الارزاق وانتمت التجارة من سائر الافاق
 بنوها بانواع الاحجار وجعلوها ثلاثة ادوار الدور الاول معقود
 كالقبة والذي فوقه مسطح ومرصص بالخزف واللبن وفتحوا في

الثالث شبابيك ووجد بالمدينة كل ما يلزم لاهلها من سلاح وملبس
 وطعام وكثرت بها العمارات والحوانيت في تلك الايام وثارت في
 ايامه فتنة بينه وبين الامراء القاطنين بالارياض وكان من حزب
 الملك الاشراف فحسم امرها واطفأ شررها وكانت احكام الديانة في
 ايامه تؤخذ بالتقليد المحض والنقل البحت سواء كان المنقول صحيحاً
 او غير صحيح ومعقولاً او مخالفاً للعقل

واستمروا على ذلك الى ان بنى بطرس ابيار وهو احد اغنياء
 الامراء اذ ذاك مدرسته بجبل المتدسة ودرست فيها الفنون
 فانطلقت السنتم واتسعت دائرة معارفهم وكان اهل هذه المدينة في
 ذلك الوقت يبيعون ما كولاهم في اماكن متعددة غير منتظمة ولم
 يكن بها معرض عمومي كالذي رايته وكانت عرضة للحوادث السماوية
 كالظن والشمس الى ان كانت ايام الملك فيليب اوغست فامر بعمل
 ستائف وعين لكل سقيفة نوعاً يباع تحتها ويستظل اهله بها وهو
 الذي بنى سراية اللوفر وفرش شوارع المدينة بالحجر واول من بنى
 خانات للفقراء وابناء السبيل وعمل اسواراً حول المقابر وتقدمت
 في مدته الفنون والصنائع فكانت ايامه كلها منافع لكن كانت ادارة
 البلاد محالة على مشائخها فظلموا اهلياً وامتدت ايديهم الى اخذ
 الرشوة في الحكم وكانت المناصب تباع وتشترى ولا يولى فيها الا من
 بذل لاجلها المال او كان من اقارب شيخ البلد او اهله فحصل
 لاهلها من الذل والاهانة ما لم يسمع بمثله وخربت البلاد وتفرق

اهلها الى ان هلك فيليب وتملك بعده سنلويز وكان يميل لاهل
 الديانة والانصاف وبجب عمارة البلاد وينفر عن الظلم واهله فنشر
 عليهم الوية عدله وامر بابطال ما فيه شائبة ظلم من اصله ورتب
 للمأموري الاحكام مرتبات من طرف الدولة وانتخب من اهل كل
 بلد رجلا معروفا بالصدقة وواه عليها فعمرت البلاد وتراجع اهلها
 وزادت عدتهم ورجحت في ايامه تجارتهم وعمل قوانين ونشرها في
 مملكته فيها بيان ما يجب على المحترفين في حرفتهم جزاء ارباب
 الجنايات ومن احكامها ان يكون اداني الناس واسافلهم في جهة
 مخصوصة وقد كانوا منتشرين في البلد لا يتميز ذو الشرف من
 الوضع ولا الدعي من ذي النسب الرفيع ورتب مجلسا للنظر في
 تنظيم البلد وجعل على ارباب الحرف اموالا تصرف في ذلك
 وقدر للباريزيين اوقاتهم بضرب الدفوف فكانت تضرب وقت
 الفجر لا يقاظهم من نومهم ووقت الزوال لغذائهم واستراحتهم من
 اعمالهم وجعل في الكنائس نواقيس تضرب وقت العشاء فاذا ضربت
 امتنع عليهم الخروج من منازلهم الا من كان معه اذن من ضابط
 البلد او شيخها ووضع على ابواب الدروب سلاسل باقفال فكانوا
 اذا جاء الليل قفلوها فلا تفتح الى طلوع الفجر ورتب على ارباب
 الصنائع خفرا يدور بالليل حول البلد وداخلها وعليهم مفتشون
 فاذا حدث امر كتبوه وعرضوه على الملك والمأمورين واصدر امره
 ان لا يعاقب من الخروج الى الخفر الا ارباب الديانة وذووا

العاهات والزمانة وطائفة المعمار والضربخانه وروساء الحرف وجعل
على كل من لزمه الحفر ولم يخرج له مائة وخمسين فرنكا في كل
سنة الا ان بعض الناس كان يحسب ببعض الامراء فيتخلص بهم
من اداء ما يجب عليه وربما وزعوها على غيرهم فاشتكت الفقراء
ذلك اليه فصرفها عنهم والزم بها اهل الحرف خاصة وقتئذ وكان
عدد اهالي باريز ١٦١، ٢١٥ نفساً وعدد كنائسها ٣٦ لكن لم يبق
الان منها واحدة على حالها بل منها ما هدم وبني ثانياً ومنها ما
ازيل بالكلية وفي زمن فيليب اشتدت رغبة الناس في سكنى باريز
فاشترط انه اذا اراد احد درج اسمه ضمن عدادها لا يجاب الى
ذلك الا اذا توجه الى شيخ البلد واشترى قطعة من ارضها وان
يتم بناءها في سنة وان لا ينقص قيمته عن ثلاثمائة فرنك ويشهد
عليه بذلك شاهدين ويشترط عليه ايضاً ان يحضر اوقات الاجتماع
كالمواسم والاعياد ومن ذلك الوقت صار اهلها درجات
الاولى اهل الديانة وهي التي لها الكلمة على اهل الملة ورئيسهم

منهم

الثانية الامراء ووجوه الناس والاعنياء

الثالثة اصحاب الاملاك والمتوسطون من الاعنياء ورئيس

هاتين الدرجتين الملك

الرابعة الاغراب

الخامسة رعاة الناس واحادهم ودرجة هاتين الطائفتين

كدرجة الارقاء فلا يخرجون من يد الأ وقعوا في اخرى وحدث
 في ذلك العهد شقاق بين الملك والبابا في شان ارض فرنسا لان
 البابا كان يقول ان جميعها من حقوق الكنيسة والملك يمنع ذلك
 فاجتمع ارباب الحكومة واجمعوا على حسم هذه المادة واتفقوا على عقد
 مجلس مشتمل على ثلاثة عشر من الاشراف ومثلهم من رؤساء
 الديانة ومثلهم من اعضاء مجلس المدينة وسموا ذلك المجلس مجلس
 النواب لان كل صنف من رجاله نائب عن طائفة وعينوا لم
 موضعا يجتمعون فيه ووضعوا على بابه صورة اسد رافع راسه الى
 اعلى وباسط ذراعيه اشارة الى انه يلزم كل من يريد الدخول
 في هذا المكان الاذعان للحق كيف كان وكان عقد هذا المجلس في
 سنة ١٢٠٢ والذي انخط عليه رأهم هو ان الارض وما عليها لله
 سبحانه وتعالى وان الخليفة عنه فيها ملكها وان لا حق للبابا فيما
 يدعيه فلما اعلنوا ذلك كثرت المنازعات الدينية واخذت الحكومة
 ودخل بين رجالها الغش والنقص فيما يتعاملون به من النقود
 حتى ضجر الاهالي وشكوا فلم يسمع منهم فقاموا على رجال الحكومة
 ووقع بين الطائفتين قتال شديد مات فيه كثير منها واسرت
 العساكر بعض الاهالي وقبضوا على نحو عشرين رجلا منها وقتلوا
 وصلبوا على ابواب المدينة وكان في هذه المدة ضربت نقود جديدة
 فامر بابطالها والمعاملة بالتقدمة فتوقف الباعة وارباب العقارات في
 اخذها وحصل بين الناس ورجال المملكة مثل ما حصل

اولا وكثرت الجرائم وتفتحت ابواب المظالم وغلت القنود غلوا لا
 يطاق وضجت الخلق واشتد الامر واتقد في قلوبهم الجهر لاسباب
 اعظمها الانكباب على الترفه والزهو والاكتثار من اللعب واللهو
 حتى قامت الاهالي على الحكومة سنة ١٢١٢ من الميلاد فرفعت
 عنهم المظالم فلم يكفهم ذلك بل طلبوا اخراج اليهود من المدينة
 لانهم السبب في فقرهم وذهاب اموالهم فلم تمكنهم الحكومة من ذلك
 فقاموا جميعا دفعة واحدة على بيوت الصيارفة واليهود ونهبوها
 وقتلوا من وجدوه فيها وحرقوا دفاترهم وصاروا يتبعون اثر اليهود
 فلم ينج منهم الا من الحق نفسه بالعسكرية او آوى الى ركن شديد
 وبعد ان اخذت نار هذه الفتنة عمل الملك لولده فرحا زينث له
 المدينة واوقدت الشوارع بالشموع وفرشت الطرق وساق اهل
 المدينة الى الملك هدايا جسيمة واوقدت الشموع نهارا في محلات
 الوليمة وكانت براميل الشراب على عربات والناس يشربونه من
 حنفيات ومكث الفرح كذلك اياما وبعد انتهائه امر بموكب ضرب
 لاجله من النواقيس ثلاثون الفا حتى تعجب الناس من وجود هذا
 القدر في مدينة واحدة وفي سنة الف وثلاثمائة واربعة عشرة
 اتهمت الملكة واختها وامراة معها بالزنا فحكم على الملكة بالحبس
 سبع سنين وقتل الاخرين وكذلك ادعي على كثيرين بان لم
 دخلا في هذا الامر فقتلوا جميعا ولم يكن اشد على الامراء والاهالي
 من ايام فيليب السادس لانه من حين جلوسه على التخت انفتح

عليهم من المصائب ابواب وضافت عليهم الرحاب فمن قسوته وعنفه
 قتله للامراء والاعيان سنة ١٢٤٢ واعتقب ذلك وبناء عظيم مات
 فيه اكثر اهل المدينة فلما اتت سنة ١٢٥٠ الزم اهل المدينة باموال
 جسيمة ليستعين بها في حرب الانكليز فادوها اليه بالرغم ولما خرج
 لحرب الانكليز لم ينجح له سعي بل غلب واسر كما هو شان مثله من
 اهل البغي فولي الحكم من بعده ولي عهده فكان اقبج منه سيرا
 واعظم ضررا وشرا ووقع بينه وبين اهل المدينة اختلاف في الاراء
 فقدمت اليه صكوك من جميع الامراء يرجون فيها رفع المظالم وكل
 مستخدم في وظيفته لا يلقى بها فلم يلتفت الى ما قالوه بل جمعهم وتلا
 عليهم مقالة تمثها على حسب عقله فلم يقبلوا شيئا منها وقاموا جميعا
 الى بيوت الامراء ونهبوها وقتلوا من وجدوه منهم وكذلك فعلوا
 باتباعهم وكل من ينسب اليهم فعظم الخطب واشتد على ولي العهد
 وحاشيته الكرب فكان تارة يلين جانبه ان راى حزبه مغلوبا وتارة
 يرجع الى طبعه وعادته ان رآه غالبا ولم يزل الخلاف بينهم وبين
 اهل البلد يزداد لا الاها لي تمثل لحكمه ولا هو يتقاد لرايهم ولما لم
 يدرك منهم اربا فر هو ومن تبعه هربا وكان راس العصبة التي
 قامت عليه شيخ المدينة فقال في نفسه اني لا يسعني الا الصلح مع
 ولي العهد والائتماء اليه وارسل له سرا يعهده بفتح باب من ابواب
 المدينة ليدخل منه هو ومن معه وعين له الباب والليل والساعة
 فلما وصل الرسول الى ولي العهد واخبره بذلك صدقه وجاء بن

معه في الوقت الذي عين له فلما احس شيخ البلد بحجته امر رئيس
 الحرس ان يفتح الباب فامتنع وقال له انت تريد خيانة الاهالي
 فاغلظ شيخ البلد عليه في الكلام فضربه ببلطة كانت بيده فخر ميتاً
 وشاع الخبر في المدينة بان شيخها كان مقصوده الخيانة فكانوا لا
 يرون احداً من اصحابه الا قتلوه فقامت البلدة على ساق وتعطلت
 فيها الاسواق ودخل الناس بيوت الاغنياء فنهبوا ما فيها ولولان
 ادركهم اهل المجلس هلك الاغنياء جميعاً وبقيت باريز محاصرة تدافع
 ولي العهد الى ان دخلها عنوة لكنه الان لم بعد ذلك جانبه وعاملهم
 بالانصاف وتبع اهل التعصب فقتلهم واعطى بعض اهل المدينة
 علامات شرف واحتمهم بالديوان وانشأ بالمدينة مباني فاخرة
 ورخص شيخ البلد وارباب المجلس في الحضور الى مجلس النواب
 لسماع ما يتعلق باستحقاق ولي العهد للملك اذ بلغ عمره اربع عشرة
 سنة وكان رشيداً ولما اتسعت التجارة وكثر اهل المدينة امر بتوسيع
 الدروب وكان الناس يصورون منازلهم بصور حيوانات ويكتبون
 على ابوابهم بعض كلمات وكثر في ايامه اللعب بالنرد والكرة
 والمنقلة وسائر الملاهي ما عدا الورق فانه لم يظهر حين ذاك فكانوا
 يصرفون في ذلك دراهم كثيرة فامر بابطال ذلك كله وقال انها
 تفسد الاخلاق وتضيق الارزاق ورخص في اللعب بكل ما فيه
 صحة للجسم وفائدة ولما مات حل بالاهالي ما ساءهم لان جميع ما
 كان مدخراً في خزائنه مما كان حصله ايام ظلمه وعدوانه واسائه

وطغيانه لم يف بمصروف ولده الذي خلفه في الملك وهو شارل
السادس الذي استولى بعده لانه كان مكباً على السكر وانواع
الملاهي في جميع اوقاته صارفاً ليله ونهاره في لذاته لا يخلو مجلسه
من الرقص والغناء واللات الطرب ولا يلتفت الى الحكومة وبالجملة
كانت اوصافه كلها مذمومة وكان قائماً حينئذ بتدبير الملكة وكان
امر الملكة في ايامه بيد امرائها فمدوا ايديهم الى واردات الحكومة
وتصرفوا فيها بما يعود على الناس بالضرر وكثرت المظالم وزادت
الجرائم وعلا من الاهالي الخيب واستغاثوا فلم يجدوا من يجيب فلما
رأوا انهم لم يسمع لهم شكاية قاموا على الملك ورفعوا ألوية العصيان
ودخلوا بيوت اليهود فنهبوها فلما رأى الملك منهم ذلك عاملهم
بالحلم ورفع عنهم الظلم حتى خمدت نيران فتنتهم وهمدت شوكة
صولتهم ثم رجع الى سيره الاول وعاد ظلمه الى ما كان فقاموا ثانياً
فقبضت الحكومة على بعضهم فسجنوا اياماً ثم وضعوا في غرائر واخرجوا
ليلاً ورعى بهم في نهر السين والزمت الاهالي بغرامة باهظة فازدادوا
ضنكاً على ضنك وكان لهذا الملك افعال لا تليق بالملك بل
لا يقبلها على نفسه صعلوك منها انه لم يفتح بسراريه وحسان جواربه
بل تهتك وعربد وتبع لنساء البلاد فما اعجبه منهن حازه ولم يقتصر
على ذلك بل كان يطوف البلاد وكلما حل ببلدة فعل بها مثل
ذلك حتى اخل عقله وجفاه رجاله فخلا الجو لزوجنه واتحدت مع
النساء اللاتي كن في حوزته وخرجت عن حدها وارتكبت ما

اوجب هتك عرضها ومكنت الامراء من اغراضهم فساروا في المملكة
 اقبج سير لا يصدر عنهم الا ما يعود على الرعية بالضير وتقساموا
 ايراد الحكومة قسمة الغنائم ولم يولوا فيها الا من كان معيناً لهم على
 المغارم والمظالم وتطلعت اعين بعض عائلة الملك للملكة وتطلع
 لها اخرون كل ذلك والملك في مرض الجنون فكان اذا افاق
 وبلغه شي من هذه الامور ندم على ما فعل وربما بكى بكاء الاطفال
 فلما اشتد ضرر الاهالي اجمعوا رايهم على ان يولوا رجلا منهم وعينوه
 ثم قاموا على محل الملك فوجدوه جالسا مع زوجته واخيها وبعض
 الامراء المتخدين معها وطلبوا ان يسلموهم زوجة الملك وخمسين رجلا
 عينوا اسماءم ليقتصوا منهم فطلبت زوجة الملك مهلة ثمانية ايام فلم
 يجيبها احد منهم فلما لم يجد اخوها حيلة غير التسليم قام وسلم نفسه
 لهم فغضبت اخاه ما فعل ثم هلكت بعد ايام قليلة ثم انهم تحصلوا
 بعد ذلك على امر من الملك برفع عوائد الاملاك وما كان عليهم
 من المغارم وكانت السنة الثالثة عشرة بعد الاربعمائة والالف ايام
 شارل السادس مشتملة على حوادث فظيعة من قتل ونهب وافعال
 شنيعة ومات في ذلك عريف البلد فنصب بدله الكونت بيديار
 واحيل عليه نظارة المالية فسلك طريق الظلم واكثر من الجرائم
 وضاعف على الناس المغارم حتى ضاق بهم الحال وحل بهم
 الويل فاضمروا قتله فلما بلغه ما اضمروه قبض على كثير منهم فمتمهم
 من صلبه ومنهم من احرقه ومنهم من قطع راسه ومنهم من اغرقه

فاخذ الكرب عند ذلك نهايته واشتد البلاء بالناس فعول كثير
 منهم على ان يكونوا من حزب الدوك دوبرجونيا فانضموا اليه
 وصارت البلد فرقتين فقامت كل فرقة على الاخرى فمن وجدوه
 ليس منهم قتلوه ثم حضر الدوك دوبرجونيا بعسكره فقابله الحزب
 الذي كان التجاء به وذهبوا جميعا الى منزل عريف البلد فقتلوه
 مع جميع قرابته وحزبه واحبته وقطعوهم قطعاً ورموا بهم في
 الدروب فكانت تحوم عليهم الطير وتعبث بهم النساء والصبيان
 ويلعنهم اللاعنون على سوء سيرتهم فاستقامت احوال البلد بعد
 ذلك وافاق اهلها مدة غير طويلة ثم عاد عليهم الجور والذل بما
 نغص عيشهم وازعج نفوسهم حتى كادوا يهاجرون من وطنهم
 خصوصاً وقد كتب ولي العهد في ذلك الوقت الى ملك الانكليز
 يعزم عليه ان يجيء باريس ليفوض زمام المملكة اليه فلما اتى اليهم
 عملوا له يوم قدومه مهرجاناً عظيماً زينوا فيه البلد واخترعوا لعبة
 لم تكن معروفة قبل ذلك وذلك انهم اتوا بخشبة اطول ما يكون
 وطلوها بالدهن والصابون حتى صارت ملساء وجعلوا في احد
 طرفيها مبلغاً من النقود مع بعض طير غالي القيمة حسن المنظر ثم
 رفعوها وابعادوا ذلك جميعه لكل من وصل اليه فاستمر الناس
 يوماً كاملاً يعانون صعود تلك الخشبة واحداً بعد واحد لاخذ
 ما عليها فلم يصل اليه الا واحد اخذه ونزل به ومن ذلك الوقت
 صار الباريزيون تحت حكم الانكليز فلم يخرجوا عن حكمهم الا على

يد جان دارك المعروفة بالبكر وكانت اميرة على جيش فما خرجت
 في حرب الا عادت منصوراً مظفرة فهي التي اخرجت الانكليز
 واجلست شارل السابع على التخت وذلك سنة ١٤٤٦ من الميلاد
 فسار فيهم سيراً حسناً الى ان امن شرهم وتمكن منهم ثم بغى عليهم
 واصدر اوامر ظلمه اليهم فالزمهم باموال يؤدونها اليه لا يستثنى منها
 احد وجعلهم ثلاث درج

الدرجة الاولى من اربعة الاف فرنك الى الف وخمسمائة

والثانية من ستمائة الى مائة وخمسين

والثالثة من عشرين الى عشرة

ولم يقتصر على ذلك بل طمع نظره الى ما في الكنائس من النقود

والحلي فاخذ جميعه وصرفه في لذاته وقضاء اوطاره الفاسدة

وبسبب انكبابه على حظوظ نفسه وغفلته عن تدبير امر

الحكومة امتدت ايدي عساكر الانكليز الى البلاد فوقعت بينهم

حروب تعطلت بسببها المزارع وكثر عندهم القحط والوباء فكان

من مات من المدينة خمسة واربعين الفا وخرب من البلاد ما لا

يعد ولا يحصى ومع هذا كله لم يتحول الملك عن سبيء حاله بل

ازداد سفهاً وترك المملكة للمتصرفين فيها بالفساد

وبالجحيلة لو اردت حصر احوال هذه الالهوال وما لحق المدينة

واهلها من الاضمحلال لطال الشرح واتسع مجال المقال ولم يزالوا

كذلك الى ان هلك الملك فملك بعده لويز الحادي عشر سنة

١٤٦١ فزيهت له المدينة وعملت الولايم وفرح الباريزيون به فرحا
 شديدا وعملوا له موكبا لم يعمل مثله لمن قبله من الملوك فكان مما
 ابتدعوه في ذلك الموكب ان صوروا رجلا امام الملك على صدره
 صورة مركب من فضة يعنون بذلك باريزو خلف ذلك الرجل
 خمس نساء هدية للملك على صدر كل واحدة منهن حرف من
 حروف باريزو وضعوا على الباب الذي دخل منه الموكب مركبا
 فيها ثلاثة الوية لون كل لواء غير لون الاخر اشارة الى طوائف
 الملة الثلاث ورسوموا صورة الملك بين عمودين متساويين في البعد
 اشارة الى العدل ورسوموا امامه صورة ملكين يقودانه الى الحق
 ويحفظانه من كل امر ذميم وجعلوا في صدر الموكب رجالا ونساء
 عليهم ثياب المتوحشين كأنهم يقتتلون ومن خلفهم ثلاث بنات
 متجردات يغنين بالحن الآلات وخلفهن عربات عليها شي كثير
 من المشروبات يشرب منها كل من اراد وما كان في هذا الموكب
 صورة المسيح وامه وصورة روح القدس والشهوات النفسية وطائفة
 في هيئة الصيادين بشباكهم وكلابهم وكأنهم يعانون الصيد وقوم
 في هيئة الانكليز كأنهم يجاربون رجال الملك وكأن رجال
 الملك غلبتهم واسرتهم وبعد ذلك كله طير مختلفة الانواع متشكلة
 باشكال غريبة الابداع ولم يزل الموكب سائرا امامه حتى ادخله
 الكنيسة على العادة ليؤدي ما يجب على امثاله من العوائد والعبادة
 ولم تحضر الملكة زوجته الا في سنة ١٤٦٧ وكان سيرها في البحر فلما

بلغ اهل المدينة قدومها خرج لملاقاتها الامراء والاعنياء في زوارق
 وكرموا غاية الاكرام وصنعوا معها ما لا مزيد عليه من الاحترام
 وادخلوها بموكب عظيم وعملوا لها فوق ما يليق مثلها من التعظيم
 وكانت سيرة هذا الملك جميلة وهمة عالية جليلة ومحبة الباريزيين
 له صادقة والسنتهم بالثناء عليه ناطقة يبذلون في رضاه انفسهم
 واموالهم ويتركون لرأيه اراهم واعمالهم ولذلك لما وقع بينه وبين ملك
 الانكليز ما وقع سنة ١٤٦٧ خرج معه منهم سبعة وثمانون الف
 مقاتل بسلاحهم ومؤنهم فلما رأى الملك منهم ما رأى شكر فضلهم
 وامر بشراب لهم سروراً بهم ومن مبتدعاته الحسنة مدرسة الطب
 التي بالمدينة فانه اول من احدثها وكذلك النور الذي بالشوارع
 حتى انه امر اصحاب البيوت والخانات ان يضع كل واحد منهم على
 باب خانه او بيته قنديلا وكان رأوفاً بالضعفاء شديداً على الامراء
 يجلس للناس من غير حجاب ولا يمنع من الدخول اليه احد وكان
 حميد السيرة الا انه كان اذا امر بشي لا ينزل عنه وكان مولعاً بحب
 الطير والحيوانات الغريبة ومن شغفه بها كان اذا اعجبه شي منها
 كتب اسمه وخاصته والجهة التي جلب منها والكلمة التي يحكيها
 بصوته ومع ذلك لم يغفل عن تدبير الحكومة ولم يرتكب لسببه خصلة
 مذمومة بل عافى الناس من عدة ضرائب واعان ارباب الصنائع
 فيما يعود نفعه اليهم فمن ذلك ترخيصه في فتح دار الطباعة ولم تكن
 موجودة من قبل واول من فتحها بباريز جماعة من الالمانيين سنة

١٤٦٦ فلما فتحت اضرت بالخطاطين والنساخين فشكوا الى المجلس
 وساعدتهم ارباب الديانة بقولهم انها من افعال الشيطان فصدر امر
 المجلس بابطالها وضبط الكتب التي بها فلما بلغ الملك ذلك امر
 بفتحها الا ان الناس لما زالت عنهم بعدله الاكدار وامنوا ما كانوا
 يقاسونه من الظلم وظهرت عليهم الرفاهية تشبهت النساء البغايا
 بالحرائر فصرن يلبسن جميعا ملابس الاحرار ولا تعرف البريئة
 منهن من الفاجرة وسكنت البغية بجوار الحرة وانتظمت الصدقة
 في سلك الدرة فلما كثرت ذلك صدر امر الحكومة ان لا يتزني احد
 بزني غيره لانه كان عين لمن ما يلبسنه كالأحزمة القصب
 والفساتين ذات الذيل الطويل وارسال الياقة الى خلف الظهر
 وكان يكثر من ذم الامراء والاعيان الذين يميلون الى التغالي
 بالزينة والزخرفة وكان خطيب ذات يوم يحض الناس على التباعد
 عن الزخارف التي تأبها الديانة والمرورة فاشيع عنه انه سب الملك
 فقاموا عليه وكادوا يقتلونه فلما بلغ الملك ذلك سكن الفتنة وامر
 بابطال الخطبة وان يخرج الخطيب من البلد وينجو بنفسه وللم
 الملك ولين طبعه كانت اسافل الناس في اخر مدته يهزأون باهل
 الديانة حتى صوروا البابا والمحاربيين في الملاعب وكثر ذلك منهم
 في مدة من تولى بعده ولكن كانت الحكومة محافظة على ناموس
 الديانة فكان لا يرفع اليها احد طعناً في الديانة الا عاقبته فمن
 ذلك ما حصل لبعض الطباعين حين تجراً على طبع كتاب فيه

ذم الديانة فضبطت كتبه واخذ وشتق ومن ذلك انهم حين
 اخذوه ليشتموه صار الناس في اثناء الطريق يسبونونه ويؤذونه فقال
 لهم رجل ان قتله كافر في جزائه فضره بوه ضرباً مبرحاً وادعوا عليه
 انه نسب الى العذراء والمسيح ما لا يليق بهما فحكم عليه ايضا بالقتل
 والقائه في النار ومن ذلك الوقت صارت الديانة في اضطراب
 وادخل فيها بعض التمسس اكاذيب من كل باب ونسبوا الى
 المسيح وادعوا انها من الكتب المقدسة وتمادى بهم الحال الى ان
 اشتبه الصواب بالمحال واقتروا ما بين مانع ومدافع ومجادل
 ومنازع فظهرت الديانة البروتستانية فافتتن الناس بها وكثر
 الراغبون فيها حتى ادعى اهلها ان ديانتهم هي ديانة المسيح ودموا
 الكنيسة الرومانية ورجالها وصارت كل فرقة تبيع ذم الاخرى
 وتدعي ان طريقتهما اولى بالاتباع واخرى حتى قام بعضهم على بعض
 ونشبت الحرب بينهم فقتل من الفريقين في ليلة واحدة زهاء
 الف الف وسبب هذه الفتنة ان امرأة يقال لها (ماري دوميديسي)
 دست على الملك ان الملك لا يلتم زواجة رعيته لانتم الا اذا
 قطع البروتستانيون عن اخرهم ولم تنزل به حتى خدعته وصرفت
 همته الى ما اليه دعته ثم ذهبت الى البروتستان وغرتهم حتى
 ادخلتهم باريزواستوطنوا بها ثم انفقت مع ووجيزان بحصي اسماء
 الدوكات من دفاتر الفردة ويعلم منازلهم بالطباشير وان يجمع
 الحرس ويفرق فيهم السلاح وان ينتشروا في شوارع البلد وحاراتها

وان يستعدوا لتنفيذ امر الملك بقتلهم ففعل جميع ذلك من غير ان يشعر به احد من البروتستانتين فلما كانت ليلة الرابع والعشرين من شهر اغسطس الا فرنجي سنة ١٥٧٢ ارسل الدوك ووجيز الى اصحابه واتباعه فايظهم من نومهم وجمعوا له العسكر والحرس وعرفهم بالعلامات التي جعلت على ابواب المنازل وامرهم انهم متى سمعوا ضرب الناقوس هجموا عليهم دفعة واحدة فقالوا سمعا وطاعة وانصرفوا فلما كان نصف الليل ضرب الناقوس فهجموا على بيوتهم وقتلوه عن اخرهم ومن شدة كراحتهم لم كانوا يشقون بطن الحيلي فيخرجون جنينها فامتلات من رمهم الدروب واتن من رائحتها شمال وجنوب وكان عدد من قتل من امرائهم واعيانهم خاصة في هذه الواقعة ستائة فاصبحت منازل الجميع خرابا وقام حاكم كل بلد من بلاد باريز على من ببلده من البروتستانتين ففعل بهم ما فعلت باريز بمن بها منهم واصل هذه الفتنة امرأة فانظر كيف اعتقت الخراب والبين وابدت العداوة بين الطائفتين

فقال الشيخ هكذا فن النساء فانهن يضرمن نار الشر حتى يصل لهنها الى عنان السماء فكم هن مثل ذلك وكم اوقعن رجالا في مهاوي المهالك

فمن ذلك القتال الذي استمر بين بكر وتغلب اربعين عاما حتى ضرب به المثل في الشر وليس سببه الا امرأة تسمى هيلة ويقال لها البسوس وهي خالة جساس ابن مرة وكان لها ناقة

يقال لها سراب وكان من عادة كليب ان يجمي اوديته فلا يرعى
فيها غير ابله حتى انه كان يجمي مواقع السحاب ويقول وحش
كذا في جوارى فلا يهاج فمريوماً برعى كان قد حماه وفيه فنبرة
قد باضت فلما رآته صرصرت وخفقت بجناحها فقال لها من
روّعك وانت في ذمتي وانشد يقول

يا لك من فنبرة بمعمر

خلا لك الجوف بيضي واصفري

وتقري ما شئت ان تقري

فما جسر صاحب بعيران يدخل ذلك المرعى فاتفق ان مرت
ابل كليب على ناقة البسوس فعركت الناقة عقالها حتى قطعته
وتبعته ابله فلما وردت الماء مع ابل كليب عرفها وظن ان جساساً
اطلقها مغايضة له فانف وغضب ورمهاها بسهم فاصاب ضرعها
فصارت الناقة تعدو والسهم في ضرعها حتى اتت الى فناء صاحبها
وضرعها يشخب دمًا ولبنًا فلما سمعت البسوس عجب الناقة طرحت
خمارها واقبلت اليها فاذا السهم معترض في ضرعها فصكت وجهها
وقالت واذلاًه فلما سمع جساس قولها اسكنها وقال والله ليقتلن
غداً فحل هو اعظم من ناقتك يعني كليباً ثم اتجع الحي ثمروا على
نهر يقال له شبيث فنهام كليب عنه وقال لا تردن منه قطرة ثم
مروا على نهر اخر يقال له الأحص فنهام عنه فمضوا حتى اتوا
الذئائب ونزلوا ثم جساس بكليب وهو واقف على غدبر الذئائب

منفرداً فقال طردت اهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً فقال
 كليب والله ما منعناهم من الماء الا ونحن له شاغلون فقال له
 جساس هذا كفعلك بنافة خالتي فقال او قد ذكرتها اما اني لو
 وجدتها في غير ابلي مرة اخرى لاستحللت تلك الابل فعطف عليه
 جساس بفرسه فطعنه بالرمح فارداه ووجد الملك فقال يا جساس
 اسقني فقال هيهات تجاوزت الأحص وشبيئاً ثم اجهز عليه
 وعطف الى اهله فلما رآته اخنه من بعد قالت لابيها ان لجساس
 شأناً قد جانا خارجه ركبناه فقال ابوها والله ما خرجت ركبناه
 الا لامر عظيم يعني انه كان بركبته وضح لا يظهره فلما جاء قال له
 ابوهم ما وراك يا بني قال طعنت طعنة لتشتغلن بها شيوخ وائل
 زمناً فقال اقتلت كليياً قال نعم ثم نظر جساس الى اخيه وكان
 اسمها نضلة فقال لها

واني قد جنيت عليك حرباً * تعص الشيخ بالماء القراح
 مذكرة متى ما يصح منها * فتى شبت لآخر غير صاح
 فاجابته تطيب نفسه وقالت

وان تلك قد جنيت علي حرباً * فلا واه ولا رث السلاح
 ثم هرب جساس وقام مهلهل في طلب نار اخيه ووضع
 الحرب بين الحيين فاستمرت اربعين عاماً حتى ضرب بها المثل وكم
 لذلك من امثال ونظائر واغرب منه ما كان من الزباه الى ان

وضع قصير من قتلها في الغرائر فحدثنا كيف كان حال الملكة بعد
هذه المعركة

قال عم الخراب ضواحيها وسرى منها الى سائر نواحيها وصار
من بقي من البروتستان يتربص فرصة للقيام واهل الديانة الاصلية
تحزب احزاب الانتقام وتغريهم بمن بقي من البروتستان وكان
الرئيس على المدينة وقت ذاك الدوك ووجيز فاراد الملك هنري
الثالث الاستبداد والاستقلال فتنازعا وصار الناس قسمين
واربقت بينهما الدماء حتى وصل غبار الحرب عنان السماء واخذ
امر الحكومة اي اختلال وتمادي الامر على هذا الحال الى ان عقد
مجلس الستة عشر وانما سمي بذلك لان اعضاءه كانت اولا كذلك
ثم زادوا وبلغوا اربعين فكانت امور المدينة مستدة اليهم لا يبالون
بملك ولا غيره فحنق الملك من ذلك وامر بابطال المجلس فلم يلتفتوا
الى قوله ولم يعول احد من اهل المدينة على رايه فاغلظ عليهم في
ابطاله فقام عليه اهل المدينة وقتلوا معظم رجاله واما هو ففر هاربا
ثم وجدوه مقتولا فدفنوا رتمته وعدوه من المقدسين

فقال الشيخ مجكى انه في زمن الملك قباد والد كسرى
انوشروان حدثت فتنة من هذا القبيل وكان سببها ان ظهر في
ايامه رجل زنديق يقال له مزدك فادعى النبوة واحداث مقالات
في اباحة الفروج والاموال وقال ان الناس في ذلك سواء لانهم
جميعا اولاد آدم وحواء وحرم سفك الدم واكل اللحم فاتبعه خلق

كثير فكان قباذ ممن تبعه فدخل مزدك عليه ذات يوم
فوجد عنده زوجته ام كسرى وكانت من اجمل النساء فاعجبته
فقال لتباذ اني اريد ان اتكلمها فان في صلي نبيا واريد ان يكون
منها فاطاعه قباذ لكونه على مقاتله وعقيدته فلما هم مزدك بها دخل
عليه كسرى وكان صغيرا فقبل قدميه وتضرع اليه ان لا يفعل بها
فوهبها مزدك له فلما مات قباذ وقعد ابنه كسرى انوشروان على
التخت مكانه جمع جميع خواصه ليعاهدهم فكان مما قاله لم اني
اشهدكم على اني لا ادع احد من المزدكية الا قتلته لانهم اباحوا نساء
الناس واموالهم وجعلوها مشتركة بينهم لا يختص احد بامرأة ولا
مال حتى اخلط اسافل الناس بعناصر الكرماء وسهل سبيل
الفواجر والفاجرات الى قضاء الشهوات واتصلت السفلة اللثام
بالنساء الكرام اللاتي ما كان لمثل اولئك ان ينظروا اليهن اذا
راوهن في طريق

فقال له مزدك الزنديق هذا فساد في الارض والله ولاك
لتصلح لا لتفسد

فقال له انوشروان اتذكر يا بن الحبيثة حين سألت والدي
ان ياذن لك في المبيت عند امي فاذن لك فمضيت نحو حجرتها
فلحقت بك وقبلت رجلك وان تنن جولربك ما زال في انفي الى
الان وسالتكها فوهبتها لي قال نعم فامر به فقتل واحرقت جيفته
ونودي باباحة دماء المزدكية والمناوية المحوسية واظهر الديانة القديمة

وكتب بذلك الى عمال الولايات فقتل منهم خلق كثير وقسم
اموالهم على الفقراء ورد الاموال التي لها اصحاب الى اصحابها والحق
كل مولود اخلف فيه بمن يشبهه وان كان من المزدكية جعله
عبدا لمن حملت به منهم وامر بالنساء اللائي تبرأ منهن اهلن او
مات من يقوم بهن فجمعن في موضع واجرى عليهن ما يلزم لهن
وان يزوجن من مال والده وازف البنين الذين لم يوجد لهم اب
ولا شبيهه الى مماليكه ثم قال الشيخ فغالبا ما يحصل بين اهل
الديانات من مثل هذه الحوادث الفظيعة سببه اكاذيب واوهام
تلقيا اهل الباطل فيما بينهم ثم يدخلونها على العوام فاما ان يقبض
الله لها من يدحضها والاعدت حكما من الاحكام

فلما سكت رجع الانكليزي الى بقية حديثه وقد علم رغبة
الشيخ في سماعه فقال ثم انه بعد هذه الحادثة وموت هنري الثالث
قام هنري الرابع وكان بروتستانيا واراد دخول المدينة فقفلت دونه
الابواب وقالوا له لا نملك علينا الا من كان منا فحاصرها ومنع
دخول كل ما كان يرد اليها فاشتد في المدينة الغلاء وحل باهلها
التحط والوباء ومع هذا كانت القسس تحثهم على القتال وتحذرهم
من التسليم له فكان بعضهم وهو في اخر رمق يأخذ سلاحه ويخرج
مع المقاتلين ويقول ان لم يكن في ذلك صلاح في الدنيا ففيه
حفظ للدين فلما طالت مدة المحاصرة وعجزوا عن المقاومة وخلت
المدينة من الفيل والنقير والحبة والقطير ورأوا القسس تباع شيئا

كثيراً من الغلال ولا تربي لما هم فيه من القحط لم يسعهم إلا أن
 قاموا دفعة واحدة على بعض الديورة فوجدوا فيها شيئاً كثيراً من
 بر الخبز وادام ولحم قديد فاخذوه وتقاسموه ثم امر المجلس بتوزيع
 الفقراء وذوي العاهات على الديورة كل دبر بحسبه وقدر لكل
 شخص شيئاً معلوماً من الخبز والادام فلما علم القسس ان لا مفر من
 امر المجلس صاروا يصطادون كل ما عثروا به من الحيوانات
 ويطبخونه لهم بدسه وامعائه وياتون مكان الخبز بعظام الموتى فيسحقونها
 ويلتونها بتراب وماء ويعملون منه خبزاً فلما تبادى الحصار وراوا
 ان حالهم آل الى الهلاك والدمار فر منهم خلق كثير وذهبوا الى
 الملك وطلبوا ان يأذن لهم بالخروج لاجل ان يتحصلوا على ما
 يقتاتون به فاذن للفقراء والمعجزة والنساء فخرج منهم نحو ثلاثة الاف
 نفس ثم امر بالتمنع من الخروج ثم لما رأى ان حصارهم قد طالت
 مدته ولم تحصل به امنيته دبر في نفسه انه لا يمكن من المدينة
 واهلها ما دام على المذهب البروتستاني واهل المدينة كاثوليك وان
 الراعي والرعية لا يستقيمان الا اذا كانت ملتما واحدة ودعوتها
 متحدة ثم اخبر خواصه بذلك فقالوا الراي ما رأيت فلما علم انهم
 وافقوه ارسل الى المدينة يخبرهم بدخوله في دينهم وذلك سنة ١٥٩٥
 ففرحوا به وفتحوا له الابواب وكانت مدة الحصار نحو خمس سنين
 فلورأيتهم حين دخلها لرأيت منهم شيئاً عجيباً وقد قويت منهم العزائم
 واكثروا لاجله الولائم ولما تملك ودخل المدينة لم يكن له غرض

سوى عمارتها وانتظام امورها فاول شي بدأ به ان عمل قوانين
 للعدل بين اهله ثم اتخذ في اسباب اتعاشهم واتساع دائرة معاشهم
 فنظم طرقا وفتح شوارع ووسعها الا انه عانى في فتح هذه الشوارع
 مشقة عظيمة حتى ارضى اصحاب الاملاك لاسباب القس منهم لانهم
 كانوا يتعرضون للبناءين والفعلة لعدم سابقة لمثل هذا ومع ذلك
 فقد تم مراده واصبحت المدينة كثيرة الميادين والشوارع خصوصا
 الميدان الذي هو داخل السراي الملكية الآن ومن حبه لنظافة
 المدينة واهله خص قوماً بكس قماماتها ودفع وحلها وفي ايامه وايام
 من بعده وهو لويز الثالث عشر كثرت العربات وترتب على ذلك
 كثرة العرجية فكثرت حركاتهم بالليل ووقعت بينهم المنازعات
 حتى سرت منهم الى ابناء الامراء وسبب ذلك كله النساء فتضرر
 الاهالي ولم يزل الحال على هذا الى ان عمل ريشيليو قوانين
 العقاب فنقص بعض نقص ثم لما تغيرت احوالهم وانتقلت الى درجة
 الرفاهية غيروا هيئة بيوتهم فبنوها بالحجر بدل الخشب وزخرفوها
 بالرسوم خصوصا اعيانهم واغنياؤهم ولم يزلوا في تقدم الى ان تولى
 لويز الرابع عشر فزادوا في الرفاهية والتهدن وفتحت في ايامه مدارس
 العلم واحترمت اهله وانشاء رصداخانة ومعامل لتكرير البارود
 وكثرت في ايامه انواع الملاهي والملاعب المسماة بالتيانرات وزين
 اللوفر بالعمد التي حوله واحداث في المدينة ميادين للنزاهة منها
 ميدان الكانوريل الذي عمله للوليمة سنة ١٦٦٢ وميدان فندوم

وميدان النصر وانشأ حول المدينة ابواباً غير ابوابها الاصلية منها باب النصر الذي وضع اساسه مارتان وردم باباً كان انشأه اتون وقد هدم سنة ١٧٧٧ وردم الخنادق وغرس الاشجار التي ترى الآن حول البلوار وازال تلالاً كانت تضر بصحة اهل المدينة ومن حولها وبني محلها ابنية بديعة ورتب مصابيح في الطرق وخص رجالا لاطفاء الحريق وظهرت في مدته العربات الكبيرة المعروفة بالامنيوس ولم تكن موجودة من قبل وخصصها باماكن معينة وجعل لكل مكان اجرة معلومة ولكن لغلو اجرتها كان لا يركبها الا من لا يستطيع ركوب العربات المعتادة ومنع من ركوبها العربية ونحوهم وكانت اولا سبعة ثم صارت اثني عشرة ولهذا كانت قليلة الراج ثم في سنة ١٨٢٨ رخص في ركوبها لكل من اراد وفي ذلك الوقت كان مأمور الضبطية وناظر المالية واحدا فلما رأى الملك ان الواحد لا يقوم بالوظيفتين كما ينبغي امر ان يعين لكل وظيفة واحد وبسبب هذا التنظيم أمن الناس على اموالهم واهلهم واتسعت عمارة المدينة وكثر الوافدون اليها حتى بلغ عددهم في ايامه خمسمائة الف نفس وعدد الدروب خمسمائة وعدد الميادين مائة والقناطر تسعاً وعدد المنازل اثني عشر الفاً الكبير منها اربعة الاف ولكن في ايامه عزت النقود وبلغ دين الحكومة غايته لما احده من العمارات والتنظيمات واحضي الدين بعد موته فكان ثلاثة مليارات من الافرنك فانشأ جان لاو وبنكا للمصارفة وجمع فيه

ستة ملايين من الليرات فجزأها الى الف ومائتي سهم كل سهم ستة
 الاف وستمائة وكان من شروط ذلك البنك ان يقبل فيه بدل
 النقود اوراق حوالات فلما اخترع ذلك تعامل بها الناس غنيم
 وفقيرهم حتى صار ملحقاً بالتجارة وهرع اليه الناس ولما اشتهر امره
 وضع صاحب البنك في جهات امريكا عدة مساهمين ثم اجتمع
 البنك والكومبانية وصار مالها واحداً وادارتها واحدة فبلغت قيمة
 السهم الواحد تسعة الاف ليرا وذلك سنة ١٧٢٠ ثم في سنة ١٧٢١
 صدرت اوامر الحكومة بتقص قيمة الاسهم تدريجياً وحدد لذلك
 ميعاد غايته اول شهر ديسمبر من السنة المذكورة وان كل من تاخر
 عن الميعاد المذكور تقص قيمة سهمه فتضرر من ذلك اكثر الناس
 وفي سنة ١٧٧٠ اجتمع ناس وارادوا ان ينوروا شوارع باريز بالنزيت
 وجعلوا على كل مصباح في السنة الواحدة ثلاثة واربعين ليرة
 واثني عشر صولدي ليس منها ثمن العواميد التي تحمل المصابيح
 فكانت باريز في تلك الايام على غاية في التقدم وكثر بها المؤلفون
 ورحل اليها كثير من اهل اوروبا وخفف فيها شان العقوبات
 فكان كل انسان يتكلم بجرته ويكتب ما شاء من احوال الخلق
 سواء كانت خصوصية او عمومية سياسية او دينية وظهر فيها رجال
 ذوو افكار فالفوا كتباً اتشرت في سائر الاقطار فانجلت عنهم
 غياهب الجهل وتميزوا على غيرهم بالعقل وبلغ عدد منازل باريز
 في تلك الايام خمسين الفا منها خمسون لوكدة وعدد الدروب

ذات المصابيح سبعمائة وسبعة وستين وكان بها من الكنائس
ذات النواقيس ست واربعون ومن غيرها عشرون واحدى عشر
تكية للفقراء ثلاث للرجال وثمان للنساء ومن الديورة مائة وثلاثة
وثلاثون ومن المدارس عشر وكان بها تسعة وعشرون مارستانا
وخمسة واربعون مجرى لاجراج القاذورات وستون حنفية واثنا
عشر سوقا وثلاثة ابواب يقال لكل واحد منها باب النصر وخمسة
هياكل من الفخ فان لحق باريز من القيام الاول بعض الاضعلال
الا انها من بعده الى الآن لم تزل آخذة في التقدم بكثرة المباني
والمعابد الدينية والمدارس والامكنة الخيرية كالمارستانات
واللوكاندات ومحلات اللهو والبياترات فترى كل من احب
ان يتبع نظره جاءها او يرى ابداع مخترع قصد ارجائها فهي
مركز اللهو والانبساط وكل بدعة في الدنيا لها بها ارتباط لانها
قد حازت محاسن الدنيا اجمع وليس من يرى كمن يسمع وما يدل
على انها انتقلت من حالها الاول ان مساحتها في الاصل كانت
لا تزيد عن ستين فدانا مصريا يحيط بها سور مبني كبناء القرى
ثم ما زالت تسع ويكثر اهلها الى ان بلغت مساحتها خمسمائة
فدان وذلك بعد موت فيليب دو كيش وبني حولها سور محكم في
غاية الارتفاع وجعل فيه ابراج ومزاعل في غاية الاحكام والتحسين
ثم بلغت في القرن الرابع عشر والخامس عشر تسعمائة فدان وفي
ايام لويز السادس عشر وقيام الدولة الفرنسية القيام الاخير

وذلك سنة ١٧٧٢ بلغت مساحتها الفين وستائة وسبعين فدانا ثم
 في سنة ١٨٠٠ بلغت ستة آلاف وخمسة فدان واما الآن فهي
 ضعف ذلك ولا يخفى على حضرتكم ان سعة المكان تابعة في الغالب
 لكثرة السكان فقد بلغ عددهم الآن نحو مليون ونصف بعد ان
 كانوا في القرن التاسع والعاشر لا يزيدون عن ٢٢٠,٠٠٠
 ثم قال الانكليزي وفيما ذكرناه كفاية وان كان ما قيل
 بالنسبة لما يقال في حتمها قليلا الا ان ما لا يدرك جله لا يترك
 كله ولكن بقي امر اريد ان اخبركم به وهو ان صاحبنا الذي كنا
 اجتمعنا به حين كنا ببرسيليا ارسل تذكرة يسلم فيها على حضرتكم
 وعلى نجلكم ويعتذر اليكم في عدم ارساله جوابا مخصوصا لكم بان
 لسانه في العربية لا يفهم بما يجب لجنابكم وانه بعد يومين يكون عندنا
 بباريس وارسل ايضا يستفهم مني عن امر يتعلق بجنابكم كان سألني
 اياه حين كنا هناك ولم اتفق معه فيه على شي وقد ارسل الآن
 يطلب الافادة عنه

فقال الشيخ وما هذا الامر

فقال انه كان تمنى علي ان ارجي حضرتكم في ان تعطوا
 بجمعية المعارف المشرقية بعض دروس من الفنون العربية وانما لم
 اخبركم بذلك حين كنا هناك لكونه لم يكرر علي فظننت انه نأى
 عنه وهذا الرجل من اعيان تلك الجمعية فها هو الآن ارسل يطلب
 الجواب وهو موقوف على رأي الجناب وهؤلاء الجماعة كلهم امراء

علماء كرماء وتعرفكم بهم مما يزيد في شهرتكم ويرفع من درجتكم فضلا
 عن الحصول على مال بوجه حلال وقد اخبرني ذلك الرجل ان
 مرادهم ان يجعلوا لحضرتكم في كل درس خمسين فرنكا
 ولا مشقة عليكم في ذلك فان زمن الدرس ساعة ونصف فالراي
 عندي انه اذا اتى وخطبكم في هذا الشأن ان لا تمتنعوا فان فيه
 فوائد كثيرة اقلها اطلاعكم على غوامض عوائدهم التي لا تعلم الا
 منهم خصوصا وقد قيل بارك الله في من نفع وانتفع
 فاشيى الشيخ على مقصده الحسن وكان قد حان وقت الصلاة
 فاستاذن وقام الى مصلاه فصلى ثم نام

المسامرة الثانية والثمانون

البالو

ولما أسفر الفجر قام وصلى ثم دخل عليه ولده فقبل يديه
فسأله كيف كانت ليلتكم وما الذي رأيتوه فيها فقال ما رأيت إلا
نوعا من الجنون حتى تحقق عندي معنى قولهم الجنون فنون رأيت
الشيخ هناك لا يوقر شيبته والامير لا يراعي مقامه وابتهه وكل انسان
تنازل عن قدره لا تميز بين وضعهم وشريفهم ولا بين غنيمهم وفقيرهم
ورأيت اقواما في صفات مختلفة منهم من ستر وجهه بقماش رقيق
ومنهم من ستره بالجلد ومنهم من ستره بالورق ومنهم من صبغه
بلون الورد ومنهم من تلثم وكان الشيب لاح بعارضيه ومنهم من
جعل له لحية وكانها جاوزت ثدييه ورأينا اللون اجسامهم مختلفة
فمنهم الاسود والاحمر والابيض والاشقر وغير ذلك من الالوان التي

لا تكاد توجد في نوع من الانسان ومنهم من ستر عورته بجلد
 كالجرب ومن وضع على ظهره فروة كهيئة الاعراب وغير ذلك من
 الهيئات والصفات وسمعت هناك اصواتا مختلفة وانغاما متنافرة غير
 مؤتلفة ولما رأيت ما هم فيه من الجنون تمنيت الرجوع ولا احضر
 هذا المحجون ولولا ان من شرط المرافقة اللين والمواقفة لرجعت ولا
 كنت رايت ولا سمعت فان يعقوب حين وصلنا الى هناك قبض
 على يدي فتبعته فسار بي نحو ساعة الى ان وصلنا محل التذاكر
 فاخذ تذكرتين ودفع في كل تذكرة افرنكين ثم سرنا في متسع من
 الارض حتى وصلنا ميدانا فيه من انواع اللطائف واشكال الرسوم
 والزخارف ما لا يحصى فوجدناه ملانا نساء ورجالا وكهولا واطفالا
 ولاخلاف هيئاتهم لا تعلم اجناسهم وحول ذلك الميدان غرف
 كثيرة منها ما يسع واحدا ومنها ما يسع اكثر ومنها المظلم ومنها
 المضيئ فقعدنا في احدها فلم يمس الا لحظات واذا بالآلات قد
 ضربت وقام غالب من بالميدان فرقص عليها فكانت تسرع تارة
 وتبطئ اخرى وهم معها في البطئ والسرعة فكانوا يقومون للرقص
 مثنى وفرادى الرجل مع المرأة والمرأة مع الرجل فيرقصون ساعة ثم
 يقعدون ليستريحوا ثم يقومون ثانيا او يقوم غيرهم ولهم في رقصهم
 حالات فتارة يقومون صفيين ويسيرون خلف بعضهم الى وسط
 الميدان ثم يعود كل صف الى موضعه الذي بدا منه او يقوم
 موضع الاخر وتارة ياخذ احدها بيد الاخر ويدوران خلف بعضها

وكيفية حركتهم في حال رقصهم ان يضربوا الارض بارجلهم فتارة يضعون واحدة ويرفعون الاخرى وتارة يضعونها ويرفعونها جميعا ومن الغريب ان غالب الراقصين والراقصات من المتفرجين لا من ارباب المحل ولكل كيفية من هذه الكيفيات اسم معروف بينهم كما اخبرني يعقوب منها ما يسمى بولكا ومنها ما يسمى الكانكان ومنها ما يسمى الولس وقد اخذني يعقوب في بعض سكنات الاستراحة ودخل لي مكانا داخل المكان الاول فرايت فيه قوما آخرين منهم من يلعب القمار ومنهم من يشرب السجارة وغير ذلك والكل في هيئته المعتادة لم يغير منها شيئا فانا نظرت الى رجل منهم الا وهو يلاغيني ولا امرأة الا وهي تناغيني ففهمت من كلامهم ان مقصودهم الرقص معي او الجلوس معهم ولكون معرفتي بلغتهم لم تبلغ درجة معرفتهم بها كان يعقوب يبادر بالاجابة عني ويخبرهم اني مصري لا معرفة لي بشي من هذا الامر من اصله وان محيئي انما هو من باب قولهم العلم بالشيء خير من جهله وما رأيت هناك رجلا الا ومعه المرأة والمرأتان وتارة يكون مع المرأة الرجل والرجلان فسألت يعقوب هل بين هؤلاء النساء والرجال نسب فقال لا نسب ولا حسب وانه ربما يجتمع الرجل مع زوجته او امه او ابنته ويقطعون زمنا في هزليات وسخريات ثم يفترقون ولا علم لاحدهما بالآخر لما يحصل من التغيير والتشكيل الذي رأته وانه قد يجتمع في مثل

هذه الليالي كثير من الشبان فيصرفون فيها مبالغ جسيمة وإن
 الفاحشة بينهم ليست قاصرة على أهل المدينة لأنه يحضر من الأرياف
 بعض نساء أما لتعثر لها على خدمة وأما لتنظر لها صاحباً فلذلك
 يكثر الفحش والمنكر في مثل هذه المواضع من غير منكر ولا مانع هذا
 ما كان واطن أنه بعض ما حواه ذلك المكان ولا أكرم عنك ما
 رأيت ولا ما أرى لعل ببركتكم يغفر لي ما خطه القلم وبه جرى

فقال الشيخ لولده أو قد نظرت إلى ذلك كله وملأت عينيك
 مما لم يقل أحد بجله أهذا أرسلتك أو على مثله عودتك أما علمت
 أن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه أما سمعت قوله صلى
 الله عليه وسلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم أنسيت
 قوله عليه الصلاة والسلام عن ربه ذي الجلال والإكرام النظر
 سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتها أبدلتها إيماناً يجد
 حلاوته في قلبه فالتوبة استعد ولثها لا تعد وبينما الشيخ يعظ ولده
 ويعنفه على ما حصل وإذا يعقوب عليهما قد دخل فقطع الشيخ
 كلامه ووجه الخطاب إلى يعقوب ولأمه إنما الآن له الخطاب
 ليتقف على ما عنده من الجواب فقال لم يكن مقصودي من إرساله
 معك إلا لتطلع على أحوال هذه المدينة وأهلها لتطلع على مثل
 هذه الأمور إذ لا ضرورة إلى معرفتها

فقال يعقوب يعتذر إليه ياسيدي لا تواخذني فاني أعلم يقيناً

ان حضرتمكم تأنفون من حضور هذه المواضع ولكن عذري ما علمته
 فيكم من الرغبة في الوقوف على عوائد هذه البلاد واهلها فذهبت
 به اليها لتقفوا به على معرفة هذه العادة ولو كنت اعلم ان ذلك
 يخل بحسن التربية ما ذهبت به والذي اخبركم به نجلكم وان كان
 منافيا للوقار والكمال الا انه مألوف لم مرغوب فيه عندهم فان لم
 بالبالو والرقص شغفا زائدا حتى ان الامراء والملوك لتفعله في
 بيوتهم ويدعون اليه احبابهم من نساء ورجال

واما الاماكن المعدة له كالذي كنا به الليلة فلا يذهب اليها
 الا فقراء الناس وغرباؤهم

ومن عوائدهم ان كل من دعي الى البالو ولو كان دني
 الحرفة لا يذهب الا في ثياب غالية القيمة زائدة الكلفة وانهم
 يعتنون بشان نسائهم اكثر من اعتنائهم بانفسهم حتى ان الرجل
 منهم ليرغب في ان تكون امرأته او بنته هي المنظور اليها دون من
 عداها فتجدهم يبالغون في حلية نسائهم ويصرفون فيها اكثر مما
 يصرفونه على انفسهم حتى لو اعسر الرجل لا تلتبس له امرأته عنرا
 بل تضايقه حتى يأتي لها بما تنزين به جبراً وقهراً ومن عوائدهم ان
 لكل وقت عندهم حياة مخصوصة لا يتعدها ولا يلبس فيه ما عداها
 وان نسائهم هن اللاتي بيدهن الحبل والربط داخلا وخارجا فلا
 يتصرف الرجل منهم في شي الا باذن امرأته

فقال الشيخ لعربي ما في هذا كله شي بمدح بل لا ثمة له الآ
 الشقاق وفساد الاخلاق فان المرأة بالنسبة للرجل كالنار بالنسبة
 للحطب فكما يترتب على اجتماع الحطب والنار الالتهاب والانتقاد
 كذلك يحصل من اجتماع الرجل بالمرأة وقوع كليهما في كثير من
 انواع الفساد ولولا تمكن هذه العوائد منهم وتوارثهم لها عن متقدميهم
 لما الفوها ولا شكروها ولكن العادة محكمة

المعامرة الثالثة والثمانون

اهرام مصر

والمقاييس

ثم قام الشيخ واخذ ولده ويعقوب وتوجهوا الى محل الانكليزي
فسلموا عليه ثم خرج ابن الشيخ مع يعقوب وبقي الشيخ والانكليزي
يتجادبان اطراف الحديث من القديم والحديث وبينما هما كذلك
واذا برجل من اصحاب الانكليزي فقام له واجلسه بجوار الشيخ ثم
اخذ يعرف الشيخ باحواله وكثرة سياحته وان له معرفة تامة باللغة
الفارسية والتركية والعربية وعليه في مدرسة الجمعية المشرقية
دروس يلقيها بهذه اللغات فلما سمع الشيخ ذلك عظم الرجل في
عينه وقال الان تم الارب حيث ظفرت في هذه البلاد برجل
يعرف لغة العرب فلعلي اکتسب من معلوماته فوائد تخلص من

سياحتي محل واسطة العقد من الفرائد اذ لذة مجالسة العلماء فوق
لذة الظمان بشرب الماء

ثم قال الرجل للشيخ ايها الاستاذ ان طبعنا يميل كل الميل
لمعرفة اخبار بلاد المشرق وقلوبنا محيولة على حب اهلها لاسباب
المصريين فان جميع العلوم النافعة في بلادنا منقولة لنا منها بواسطة
الرومانيين وغيرهم والتقدم الذي نفتخر به بلادنا منشأه مصر فلها
علينا الفضل بل على جميع سكان الكرة فكما نحن فيه من التقدم
والثروة سببه المصريون فيا لم من قوم ادخروا ذخائر انتفع بها
بعدهم الاوخر فانهم قد وضعوا اساسات انبني عليها لمن بعدهم
هذه التقدّمات وهذه العلوم الموجودة الآن هم المؤسسون لها وهذه
الصنائع الفاخرة كان لهم فيها اليد الطولى على اهل القرون الاولى
وما بقي بعدهم من الاثار والمآثور عنهم في كتب الاخبار من الابنية
الجميلة والصنائع الجميلة يعرب عن مزيد قدرتهم وشدة مهارتهم
وعلو افكارهم

فقال الشيخ ما ذكرته لمصر من المحاسن بهذا الاسلوب من
باب نظر المحب للمحبوب كما قال الشاعر
وعين الرضا عن كل عيب كليله

كما ان عين السخط تبدي المساويا

فقال الرجل ايها الاستاذ وحق من جعلك للعلوم كهفا
وجباك كالا ولطفنا انه لولا المصريون لكنا الى الان غرقى في

بجار الجهل حائرين في اودية الضلال لا نعرف كيف التمتع بلذات
 الدنيا التي اعدّها الله لنا سبحانه فوحقك اني منذ ازمان احب ان
 اسافر لتلك البلدان وادور في نواحيها واطلع على ما فيها من عجائب
 الآثار التي لا نظير لها في قطر من الاقطار ولكن يحول بيني وبين
 ذلك خطوب الزمان وصرور المحدثان ومع ذلك فاني عازم على
 السفر في هذا العام ولعلنا نجتمع معا على شاطئ بحر النيل
 نعم ان السياحين ما تركوا خبراً الا ذكروه ولا اثرّاً الا تقلوه على
 حسب ما شاهدوه ولكن ليس الخبر كالعيان وفي هذه المدة سهل
 السفر في البر والبحر بواسطة آلات البخار فانها تقطع بعيد المسافات
 في اقرب الاوقات فحفت مشقة السفر وصار الامن عامّاً وامتنع ما
 كان يخشى في الاسفار من الغوائل
 فاجابه الشيخ بالبشر واطهار المسرة والشكر والارتياح للقاءه في

مصر

فشكر الرجل الاستاذ ثم قال له هل بمصر الان ما يسهل
 الامر على السياحين من بيوت معدة لاقامتهم ووابورات برية
 وبحرية تسهل امر الذهاب والاياب وغير ذلك مما يلزم ايام
 السفر

فقال الانكليزي الان لا فرق بين القاهرة ومدن اوروبا
 فان فيها لوكدات مختلفة الانواع وفي نيلها ووابورات مختلفة القوى
 تسير على راحة السياحين وتذهب بهم حيث شاءوا فضلا عن

السفن الشراعية المزخرفة باحسن الزخارف المستكملة الآلات
والادوات فتجد السائح يختار احدى السفن ويركبها مع من احب
او بمفرده ولا يزيد عليه المصروف عن مائتي جنيه مدة شهري
السياحة اللذين يقضي بعضها في الاقامة بمصر وضواحيها وبعضها
السياحة جهة صعيدها ما بين اكل وشرب واجرة اماكن وسفن
ورجال وغير ذلك

وان من الله سبحانه عليّ وكنت بمصر ذاك الوقت لازمتكم
وكنت لكم الدليل لاني وان سبق لي رؤية كثير من بقاعها
واطلعت على جميع الاثار الموجودة بها لكن اود ان اراها مرة ثانية
فانه كلما تكرر نظرك اليها ازددت علما جديداً واظن ان كل
جيل يأتي لا بد ان يرى غير ما رايناه ويعلم غير ما علمناه فانظر الى
اهرامها وعظيم بنيانها حيث وصفه كل انسان من بعد امعان النظر
اليه كل الامعان جيلا بعد جيل ومع ذلك فكل وصفه بغير ما
وصفه به الاخر من الكيفيات مع ان كلا ما ذكر الا ما رأى فتجد
البعض وصف شكله واصله وسبب منشئه والغرض منه ولم
يوافقه من اتى بعده فبعضهم قال انه مدفن لاحد الفراعنة وبعضهم
قال انه كان محلا يرصدون فيه النجوم ومنهم من قال انه من الاثار
الجليلة التي جعلها المصريون محلا لمعارفهم واثرا يستدل به من اتى
بعدهم من الامم على ما كان لهم من الابهة والفخار والعظمة والاعتبار
فهو اثر يدل بصورته وشكله على قدر ما وصلوا اليه من العلوم

الهندسية وعلم جر الانتقال وفنون انواع العمارة ويدل بوضعه
الذي هو عليه وتوجيه زواياه على انه اثر فلكي وبه معبد للديانة
وإذا حسب ما في اجزائه من النسب الصحيحة بالنسبة لبعضها
وبالنسبة للدرجة الارضية دل على انه اثر لبقاء وحدة الابنية الطويلة
والسطحية وقد شرح ذلك بعض علماء فرنسا وبين في مجلد ضخ
فقال الشيخ رأيت في كتب العربية انه تربة وان به دهايز
في اسفله وإماكن لا يعلم ما بها

وذكر بعض الناس ان به اموالا وذخائر وقد ظن المأمون
الخليفة العباسي ان به اموالا عظيمة ففتح الهرم الكبير وصرف في
ذلك مالا عظيماً فلما لم يقدر على هدمه نأى عنه وقيل انه وجد
بقدر ما صرف في الهدم

ثم بعد محادثات من هذا القبيل استأذن الضيف للقيام
ودعا الشيخ والانكليزي الى منزله في الليلة المستقبلية فاجاباه ووعده
بالحضور ثم بعد ذهابه ببرهة قال الانكليزي للشيخ يا حضرة الاستاذ
ان جميع المؤرخين قاطعون بان قدماء المصريين بلغوا من العلم
والحكمة درجة لم يبلغها غيرهم وشهد لهم جميع الملل قديماً وحديثاً بكمال
العقل فبهذا لا يسلم العقل ان هولاء الحكماء العلماء العقلاء بنوا هذه
الاهرام تربا ليس غير بل لا بد لهم من مقاصد جليلة في وضعها على
هذه الكيفية

فقال الشيخ نعم ولا مانع ايضاً من ان يكون بناؤها على يد

ملوك متعددة ولا بد من احتياجها الى عمال لا تحصر وتجهيزات
جسيمة اقتضاها صنع هذا الاثر قبل الشروع فيه بزمن طويل
قال الانكليزي فحيث لا مانع من ان يكون لم غرض اصلي
كان هو الباعث لم على بنائها ولكن بسبب قدم هذا الاثر وسكوت
من مضى من المؤرخين عن ذكر ما له من صحيح الخبر لم يقف احد
على حقيقته بل ذهب كل فيه الى ما ذهب وتنوعت الاوصاف
وكثرت الاقوال

فقال الشيخ وما الذي ترتضيه من تلك الاقوال
فقال الذي اراه هو ما قاله احد العلماء الفرنسيين من ان
الغرض منه الاشارة الى ما عندهم من العلوم والمعارف بوجه موجز
وظريق معجز

فقال الشيخ وكيف ذلك فقال وجد ان طول ضلع القاعدة
المربعة للهرم ٩٠٢ م وان الارتفاع لكل من اسطحنه ٧٢٢ م ١٨٤ م
وان الفرق بين هذين الخطين ١٨٠ م وهذا القدر ربع مقدار
ارتفاع كل من اسطحة الهرم وهو مساري لضلع الفدان المصري القديم
المعروف بالاورور الذي ذكر هيرودوط وغيره ان مربع قاعدته
مائة ذراع ولربما كان هو الجريب المعروف عنكم فعلى هذا يكون
بين قاعدة الهرم وبين ارتفاع الوجه نسبة صحيحة كالنسبة بين
عددي خمسة واربعة وكذلك لو قارنا مقادير جميع اجزاء الهرم
بالارتفاع المذكور لوجدنا انها منسوبة اليه نسبة صحيحة من غير

كسر فزرى ان ارتفاع باب الدخول للهرم ١٤٠١٤ م وهو عبارة عن
جزء من اثني عشر جزءاً من الارتفاع الكلي للهرم وان مدرج المدخل
من ابتداء الارض الاقية الى اول المدرج الصاعد طوله ٢٢ متراً
وهو عبارة عن عشر طول القاعدة وثمان مقدار الارتفاع وبهذه
المقارنة تجد ان جميع الاجزاء منسوبة الى القاعدة او الارتفاع نسبة
صحيحة ولو قسمت خمسمائة قسم لوجدت كل قسم منها ٤٦٢ م
وهو طول الذراع المصري القديم ومنه نبع القدم المصري ولو قسم
هذا الطول الى ستين قسماً لكان القسم الواحد ٢٨٥ م وهذا
الطول القصبية التي كانت مستعملة في قياس الارض عند دخول
الفرنساوية ارض مصر وقبلهم كان ضلع الفدان بها عشرين قصبية
والذي يستفاد من قول الخزاعي ان الذراع كان طوله في الزمن
السابق اربعة وعشرين قيراطاً في جهات الصعيد وفي وقته صار
ثمانية وعشرين قيراطاً وحيث كان مقياس الروضة موجوداً في
وقته فبالضرورة يمكن استخراج مقدار الذراع القديم منه وحيث
كان القياس الاخير ٥٢٩ م فيكون مقدار القديم $\frac{24}{28}$ يعني انه
٤٦٢ م مثل ما وجدناه في الهرم وكان يستعمل اولاً في قياس
زيادة ماء النيل ثم زيد فيه اربعة قراريط

وان قسمت القاعدة الى اربعمائة قسم كان طول القسم
٥٧٧٥ م وهو طول الذراع البلدي ومن هنا يعلم بالبداية ان
الذراع البلدي المنسوب للبلد والقصبية المستعملة في قياس الارض

منسوبان لضلع الهرم نسبة صحيحة وكما ان الفرق بين طول القاعدة والارتفاع بقدر ربع الارتفاع كذلك الفرق بين الذراع المصري القديم والذراع البلدي بقدر ربع الذراع المصري القديم لانه باضافة ربع عدد ٤٦٢ م عليه يحصل ٥٧٧٥ م وكانت القصة موجودة قديما ويستدل على وجودها بما ورد عن قدماء المؤرخين ان قدر طولها ٢٠٨ م فلو اضيف اليها ربعها كان الذي يتبع ٣٨٥ م وهو قدر القصة التي كانت مستعملة الى دخول الفرنسيين مصر وعلى هذا فالفرق الذي بين الذراعين وبين القصبتين هو عين الحاصل بين القاعدة والارتفاع للهرم وضلع الهرم ستون قصة بالقصة الجديدة لزيادتها على القديمة بقدر ربعها وضلع القاعدة يزيد عن الارتفاع بقدر الربع وعلى ما نقل عن المؤرخين ان الاستادة ستون قصة تكون الاستادة هي ارتفاع الهرم فيعلم مما سبق ان الهرم اثر للاقيسة يستدل منه على وحدة المقاييس المستعملة في المساحة الزراعية وغيرها واتجاه زواياه مع الضبط المحكم للنقط الاربع الاصلية يدل على انه اثر فلكي

وايضاً مقدار الدرجة الارضية للعرض المتوسط لمصر ١١٠٨٢٧١٦٨ م وان جزء من ستمائة جزء منها يساوي ارتفاع الهرم وهو ١٨٤٧١٢ ومن هنا يكون ارتفاع الهرم منسوباً للدرجة الارضية لمصر ويكفي لوجود مقدار الدرجة الارضية ضرب مقدار الارتفاع في ستمائة ولا يكون الفرق الا خمسة امتار او ستة وهو

فرق غير محسوس وبما نقل عن المؤرخين ان الدرجة الارضية
ستائة استادة بتصح ان هذه الاستادة مصرية وان المصريين قدروا
الدرجة الارضية في الازمان السابقة ونسبوا لها مقاييسهم كما فعل
المتأخرون في المتر المستعمل عندنا الان وجعلوا ارتفاع وجه الهرم
علما عليها

وان ضلع القاعدة للهرم جزء من اربعمائة وثمانين جزءا منها
بمعنى ان الدرجة الارضية المتوسطة لارض مصر قدر ضلع قاعدة
الهرم اربعمائة وثمانين مرة

ويؤخذ من قول هيرودوط وغيره من المؤلفين ان الذراع
المصري القديم جزء من اربعمائة جزء من الاستادة وهو صحيح لاننا
لو قسمنا مقدار الارتفاع على اربعمائة لوجدنا ما نقي ٤٦٢ م وهو
ما وجدناه للذراع فيما سبق

والاستادة التي استعملها هيرودوط وبلين وسترابون وغيرهم
واطلقوا عليها اسم الاستادة الاولنبية لم تكن غير الاستادة المصرية
وان الاروام وغيرهم نقلوها من مصر لارضهم

وبناء على ما سبق يكون قدر محيط قاعدة الهرم مائة وعشرين
مرة هو مقدار الدرجة الارضية وقدر الارتفاع وحده وهو الاستادة
عبارة عن ست ثوان ارضية ومحيط القاعدة ثلاثون ثانية او
نصف درجة ارضية

والتفاضل بين ضلع القاعدة وارتفاع الوجه يكون ربع استادة

ويساوي مائة ذراع مصري قديم ويكون هو ضلع الفدان المصري القديم المعبر عنه عند الاقدمين بالاورور وعندكم بالجريب وهو الوحدة الزراعية التي كانت مستعمله في قسمة الارض بين الاهالي وعلى موجبها تحجب الاموال وتنصب الحدود بعد انحسار ماء النيل عن الارض

ويؤخذ من كلام المؤرخين ان القدم جزء من ستائة جزء من الاستادة فاذا قسمنا الارتفاع الى ستائة جزء كان الذي ينتج ٣٠٨ م وهو مقدار القدم وحيث كان هذا هو مقدار القدم الرومي فيعلم ان اصله مصري وجميع المؤلفين اتفقوا على انه ثلثا ذراع فاذا اضيف حينئذ نصف ٣٠٨ م اليه كان المجموع ٤٦٢ م وهو مقدار الذراع كما سبق

فقال الشيخ المتعارف في الشرع وبين الناس ان الذراع هو ذراع الآدمي وبه ضبط الميل والفرسخ وغيرها من الاقيسة وان الذراع اربعة وعشرون قيراطا او اصبعاً والاصبع ست شعيرات والشعيرة ست شعرات من شعر البرذون اي البغل

فقال الانكليزي نعم كان ذلك في مبدأ الامر قبل اتساع الجمعية الاولى واما بعدها فصاروا يستعملون ذراع الآدمي في قياس الاشياء التي تلزمهم كالاقمشة وغيرها ويستعملون القدم في قياس اطوال الارضية ثم لما اتسعت دائرة المعاملات بينهم صاروا ينظرون الى شي ثابت لا يقبل التغير يقيسون عليه فلم يروا اوفق

من الدرجة الارضية فقدروا بها الذراع ونسبوا اليه مقاييس
 المعاملات المستعملة الى الان وما حصل فيها من التغير غير محسوس
 لا تدركه العامة ويؤكد ذلك قول بعض المؤرخين مثل
 هيرودوط فانه ذكر ان النسبة بين القدم والذراع كالنسبة بين
 اثنين وثلاثة يعني ان القدم ثلثا ذراع وليست هذه النسبة موجودة
 بين قدم وذراع الانسان اذ النسبة بينهما كالنسبة بين اربعة وسبعة
 ولو فرض قسمة الذراع الى اربعة وعشرين قيراطا كما هي العادة
 لكان القدم الفلكي ستة عشر قيراطا منها مع ان القدم الفلكي اربعة
 اسباع ذلك فلا يكون الا عددا كسريا ويكون استعماله عسرا
 جدا بخلاف الاول لا عسر في استعماله اصلا وهذا مما يؤيد ان
 الذراع والقدم الجاري بينهما القياس ليسا فطريين لان طول القدم
 الانساني اقل بكثير من القدم المستخرج بنسبته للذراع سواء كان
 طبيعيا او فلكيا فان قدم الانسان ينذر ان يتعدى طوله ٢٦٥ م
 حيث يكون طول الرجل ١٧٣ م ويكون اقل من ذلك ان
 كان طول الرجل اقل

وقدم الانسان تبلغ القامة به ستا ونصفا فان لم يكن المقصود
 هنا القدم الفلكي المتفق عليه كيف يذكر المؤرخون ان القامة ست
 اقدام فقط وطول قامة الانسان ثلاثة اذرع ونصف بذراعه كما
 هو مدون في الكتب الصحيحة فعلى هذا لا يرتاب احد في ان القدم
 والذراع المقدر بهما الاطوال بل جميع المقاييس هما المنسوبان

لدرجة الارضية وانها اتفاقيان لا فطريان ونسبة القدم الى الذراع
ونسبة الذراع الى القامة كنسبة اربعة الى ستة وستة الى اربعة
وعشرين في حال كونها الاجزاء الفلكية

وتدل هذه الاعداد على قبضات كل قبضة اربعة اصابع
فلكية ايضاً بمعنى ان القدم اربع قبضات والذراع ست والقامة
اربع وعشرون قبضة واما نسبتها الطبيعية لبعضها فهي كنسبة
اربعة وسبعة وستة وعشرين لبعضها

وجميع ما قلناه من ان جميع الاقيسة منسوبة للدرجة الارضية
مذكور في كتب المؤرخين فانهم ذكروا ان الخطوة الكبيرة المصرية
مساوية للقامة يعنون انها ست اقدام وليس في الآدميين من تكون
هذه خطوته فعلى هذا لا يشك في انها خطوة اتفاقيه منسوبة للقدم
المنسوبة للدرجة الارضية كما ان الخطوة الضعيفة للمصريين خمس
اقدام بالقدم الفلكي والخطوة الهندسية الرومية طولها خمس اقدام
ايضاً فلكية فتكون حينئذ عين الخطوة الضعيفة للمصريين وتكون
منقولة منها الى بلاد الروم فالخطوة الهندسية هي القامة ايضاً والباع
الذي كان يستعمل في القياس وكان طوله ست اقدام فلكية او
اربع خطوات بسيطة كل خطوة منها قدم فلكية ونصف او سبع
اقدام بقدم الانسان والميل المصري الذي صار اساساً لجميع الاميال
عند جميع الملل في الازمان القديمة مقداره الف مرة بها والى القامة
او الخطوة ينسب التواء الذي كان مستعملاً عند الاور وباوپين

وهي بالمتر ٨٤٧٢،٨ م وتدخل في محيط قاعدة الهرم خمسمائة مرة
وارتفاع الجلسة التي تحت الهرم قامة كاملة او خطوة هندسية
مصرية

والذي يؤكد كون تلك الاقيسة جميعها فلكية اخنوا كل
من الدرجة الارضية ومحيط الكرة نفسه عليها عدد صحيح فانه لو
قيس طول محيط الكرة بالقدم لوجد عبارة عن حاصل ضرب
سته مرفوعا الى الدرجة الخامسة وطول الدرجة الارضية المصرية
ثلاثمائة وستون الف قدم وان قيس بالذراع كان طوله عبارة عن
حاصل ضرب ستة في عشرة اربع مرات مرفوعا الى الدرجة الخامسة
وفضلا عن ذلك ان الميل الرومي الذي طوله خمسة الاف قدم
اذا قيس به محيط الارض اشتملت عليه سبعة وعشرين الف مرة
فكيف تكون هذه النسبة صحيحة ان لم تكن القدم منسوبة للدرجة
الارضية

ولو اخذ ثمن هذا الميل وجعل مقياسا وقيس به الدرجة
الارضية لاشتملت عليه ستائة مرة

وحينئذ يكون هو الاستادة الاوليئية التي قلنا انها ارتفاع وجه
الهرم وماخوذة من مصر ولكن دخلها زيادة ونقص بتداول الايام
وتغير الدول مثلا:

القدر قدر ثلث الذراع البلدي وهو خمسة اجزاء من اثني عشر
جزء من الذراع القديم والشبر جزآن من خمسة اجزاء من الذراع

البلدي وهو نصف الذراع القديم وهو ثلث الذراع الاسلامبولي
وهو جزء من ألف جزء من ضلع قاعدة الهرم وكل أربعة اشبار
ثلاث اقدام مصرية

واما الذراع الاسلامبولي فلم يعرف بمصر الا سنة ١٥١٧
ميلادية حيث دخلت الدولة العثمانية بها والاصل غير معلوم
ويزيد عن الذراع البلدي بقدر ثلثه وزيادة ثلاثة ملليمتر وبالنسبة
لذراع المقياس الموجود بالروضة فهو قدره مرة وربع مرة
وقد عرفنا ما سبق مقدار الذراع البلدي ونسبته للذراع
القديم واما ذراع مقياس الروضة فاصله الذراع القديم باضافة
سدسه اليه والفرق ليس بمحسوس لان الذي يتبع من القياس على
عمود المقياس لطول الذراع ٥٤٠ م والذي يتبع من الحساب
يكون ٥٣٩ م

وهذا الذراع لا يستعمله المعلنون بارتفاع درجة النيل بل
يستعملون ذراعا صغيرا اتفاقيا لتطمئن قلوب الاهالي وبهذه الوساطة
تحصل الحكومة على تحصيل المال من الاهالي وهذا الذراع ثلثا
ذراع المقياس وينقسم الى اربعة وعشرين قيراطا كاتقسام ذراع
المقاييس اليها انما قراريط كل على حسبه فيكون صغره مقابلا
للوحد وربع من تقاسيم الذراع الحقيقي وقسم العشرين يقابل قسم
الخامس عشر وقسم اربعة وعشرين يقابل قسم سبعة عشر وثلثا

ارباع وذراع المنادي يساوي ثمانية عشر قيراطا وثلاثي قيراط من
قراريط الذراع القديم

واما الذراع الذي تستعمله البنائون والنحاتون فهو خمس
القصة الكبيرة القديمة وان شئت قلت هو جزء من مائة جزء من
ضلع الفدان الكبير المساوي ضلعه عشرين قصة كبيرة كما ذكرنا
وضلع الهرم يشمله ثلاثمائة مرة عددا صحيحا واذا جمعت مقدار الذراع
القديم على القدم القديمة كان الذي يتبع هو طوله فهو قدمان ونصف
بناء على ذلك

والنحاتون يسمونه قيراطا ويقسمونه ثلاثة اقسام ويسمون كل
قسم منها ثلثا وكل ثلث يقسمونه نصفين ويسمون كل نصف
نصف ثلث وكل نصف ثلث يقسمونه اربعة اقسام ويسمونه قراريط
فيكون كانه منقسم الى اربعة وعشرين قسما ولكن لم ندر من اين
جاء له هذا الاسم مع انه لا بد لهذه التسمية من اصل كان معروفا
فيما سبق ثم جهل ولو فرض انك ضربت مقدار هذا الذراع وهو
قدمان ونصف في اربعة وعشرين تجد ستين قدما مصرية وهو
قياس كان مستعملا عند المصريين في قياس الارض المحروثة وقدره
اربعون ذراعا بالقديم والذراع المذكور هو الخطوة البسيطة وهي
تساوي ذراعا بلديا وثلثا اي ان الذراع البلدي ثمانية عشر قيراطا
من قراريطه والاستادة المصرية تشمله مائتين واربعين مرة ويؤخذ
من قول الادريسي وابي الفدا وابي الفرج والمسعودي ان الفرج

ثلاثة اميال هاشمية او خمس وعشرون غلوة يعني استادة وبالذراع
 الهاشمي تسعة الاف ذراع كل ذراع منها اثنان وثلاثون قيراطا
 واثنا عشر الف ذراع بالذراع القديم الذي هو اربعة وعشرون
 قيراطا فعلى هذا يكون الفرسخ خمسة الاف متر وخمسمائة وواحدا
 واربعين وثلاثي متر وهذا الفرسخ هو الفرسخ القديم المصري والعرب
 تسميه الفرسخ الصحيح واما الميل فهو ثمان غلوات وثلث او ثلاثة
 الاف ذراع هاشمي او اربعة الاف ذراع مصري قديم

ومن هنا يعلم ان الغلوة ثلاثمائة ذراع هاشمي او اربعمائة ذراع
 قديم والنسبة بين هذين الذراعين كالنسبة بين عددي ثلاثة
 واربعة ومقدار الميل المصري حيث ان الف وثمانمائة وسبعة واربعون
 مترا ومصر والعرب استعملته والدرجة الارضية تشمله ستين مرة
 ويكون مقدار الغلوة عند العرب مائتين وواحدا وعشرين مترا
 وسبعين سنتيمتر وهذه الغلوة هي التي استعملها بطليموس وعنه اخذتها
 العرب وتدخل في الدرجة الارضية خمسمائة مرة

ويوجد خلاف الاذرع الماضية ذراع قدره سبعة وعشرون
 قيراطا وهو الذراع الذي استعمله الخليفة المأمون وكان اخذه عن
 الفرس وهو المعروف بالذراع الاسود وقدره بالمتر ١٩٦٠ م وهو
 عبارة عن ذراع قديم وثمن واما الذراع الهاشمي فذراع قديم وثلث
 وقدره بالمتر ٦١٦ م وهو ذراع وجزء من خمسة عشر جزءا من
 الذراع البلدي وذراع وسبع من ذراع المقياس وذراع وتسع من

الذراع العبراني وقدمان من القدم المصري القديم الذي استعملته
العرب كما استعمله غيرهم وذراع الرومانيين منسوب للذراع المصري
ينقص $\frac{1}{2}$ من مقدار الذراع المصري فيكون مقدار الرومي
٤٤٣٤ م والذراع المقدس عند العبرانيين كانت نسبتته الى
الذراع الرومي كنسبة عدد خمسة الى اربعة وحيث ان مقدار يعلم
بإضافة ربع على مقدار الرومي ويكون ٥٤٢ م وهو يدخل
اربعمائة مرة في الغلوة التي تشمل عليها الدرجة الارضية خمسمائة
مرة وهي الغلوة التي استعملها بطليموس في قياساته والذراع السلطاني
للبابليين كان منقسماً الى ثلاثين اصبعاً وكل اصبع منقسم الى قسمين
اي انه كان منقسماً الى ٦٠ وكان طوله يزيد عن الذراع المعروف
ثلاثة اصابع اي انه لو اضيف تسع عدد ٤٦١٨ م اليه كان
١٣١ م هو طولها وهذا المقدار هو مقدار ثلثه من الدرجة
الارضية والقامة تشتمل عليه ستين مرة كما ان الميل يشتمل العسلة
ستين مرة وكان يوجد قياس للاطوال في الزمن السابق طوله
اربعة وعشرون ذراعاً به واربعون ذراعاً بالذراع المصري القديم
او ست قصبات بالكبيرة او عشر قامات صحيحة او اثنان وثلاثون
ذراعاً بالذراع البلدي

ونسبة القصبه الكبيرة الى الذراع البلدي كنسبة عشرين الى
ثلاثة ومدة دخول الافرنج ارض مصر كانت هي المستعملة في
جميع الجهات القبلية والبحرية وطولها بالذراع البلدي ستة اذرع

وثلاثا ذراع او عشر اقدم مصرية صحيحة

والذي حصل فيه تغير كثير من بين المقاييس جميعها هو
 القصبه وذلك لانها اساس المساحة التي يجبي الخراج على حسبها
 وكثيرا ما كانت تقتصر المساحون على جعلها ستة اذرع وثلاثي ذراع
 فقط اي ٣٦٥٧٥ م ونسبة هذا القدر الى طول القصبه كنسبة تسعة
 عشر الى عشرين فيطلب بها مال اربعين فدانا في مقابلة ستة
 وثلاثين فدانا بالقصبه القديمة وهكذا والقصبه الصغيرة التي مع
 المساحين كان طولها ٣٦ م عبارة عن عشرة اذرع بذراع المنادي
 وستة اذرع وثلاثي ذراع بذراع مقياس الروضة

فمن هنا يوضح انهم عوضوا الذراع البلدي بذراع المقياس حتى
 لا يخرج القصبه عن كونها ستة اذرع وثلاثي ذراع كما كانت عليه
 زمنا طويلا والقصبه الهاشمية طولها ستة اذرع هاشمية او سبعة اذرع
 وتسع ذراع بالاسود او ثمانية اذرع بالذراع القديم ومقدارها بالمتر
 ٣٦٩٤ م عبارة عن عشر اقدم عبرانية والقصبه المصرية القديمة
 طولها خمسة اذرع بالهاشمي الذي يسمى ايضا في بعض الكتب بالعتيق
 والعسله من ضمن الاقيسة عند العرب والفرس ومقدارها ستون
 ذراعا بالهاشمي اي ٣٦٩٤٤ م والميل الذي استعملته العرب الذي
 قدره الف قامه او ستة الاف قدم لم يكن شيئا آخر غير القياس
 الذي كان عند المصريين ومقداره يساوي دقيقة واحدة من
 الدرجة الارضية لمصر وكان قدره عشر غلوات وكان يدخل في

الفرسخ المصري الصغير ثلاث مرات وفي الكبير ست مرات والميل
 الرومي ثمان غلوات اولتبية او مصرية والميل العبري ست غلوات
 مصرية وهو ٢٦٠٠ قدم مصرية والغان بالذراع العبري وبالمتر
 $\frac{1}{3}$ ١١٠٨ م وهو ست وثلاثون ثانية والوحدة الزراعية السطحية
 هي الفدان وهو عبارة عن مربع ضلعه بالقصب عشرون وبالذراع
 البلدي مائة وثلاثة وثلاثون وثلاث وبالتر سبعة وسبعون ومساحته
 خمسة الاف وتسعمائة وتسعة وعشرون متراً مربعاً وقاعدة الهرم
 تشمله تسع مرات صحيحة وضلع الفدان مائتان وخمسون قدماً
 مصرياً فيزيد حيثئذٍ عن ضلع الاوروراي الفدان المصري القديم
 مائة قدم وحيثئذٍ فنسبة الفدان الكبير الى الاورور كنسبة تسعة
 الى خمسة وعشرين

والقصبة المستعمله الان عندكم ٣٥٥ م والفدان بها ثلاثمائة
 وثلاث وثلاثون قصبة مربعة وثلاث اي اربعة الاف ومائتا متر
 مربع وكسر صغير فاذا نسبناه الى الفدان الذي كان مستعملاً في
 جمع الخراج الى دخول الافرنج وبعد خروجهم بمدة سنين لا يكون
 غير سبعة عشر قيراطاً باعتبار ان الفدان الكبير القديم اربعة
 وعشرون قيراطاً والاورور القديم نصفه تقريباً ففدانكم الان متوسط
 بين الفدان الصغير اي الاورور والفدان الكبير ونسبة الفدان
 الجديد الى الفدان القديم كنسبة عددي سبعة عشر الى اربعة
 وعشرين وبناء عليه فكل مائة وعشرين فدناً جديدة لا تبلغ الا

خمسة وثمانين بالمساحة القديمة وحيث انه في مدة الملك الاشرف
سنة ٧٧٧ ومن قبله الى مدة الملك الناصر وجد ان مساحة
الارض المزروعة الموضوع عليها الخراج ١٢٦ ١٧٢ ٣ وفي مدة
الافرنج مسح المزروع في القطر فوجد ١٨٠ ١٢٦ ٢ وها قريبان من
بعضها فيمكن الان ان نعرف هل حصل زيادة في المنزرع او نقص
وذلك بعد رد حسابه الى القصة القديمة

والمرحلة بناء على قول الادريسي وابي الفدا اربعة وعشرون
ميلا هاشميا او ثمانية فراسخ مصرية او ثلاثون ميلا روميا او عشرة
فراسخ فارسية وتبلغ بالمتر ٤٤ ٣٣٣

ويوم الملاحه بناء على قول الادريسي وابي الفدا وهو ما يعرف
عندهم بالمجرى مائة ميل بالهاشمي او درجة ارضية وثلاثا درجة
وبالغلو الصغيرة المصرية الف غلوة كاملة او خمسمائة واربعون
غلوة كبيرة مصرية ايضا وبالمتر ٩٩ ٧٥٠

وفي الازمان القديمة كانت المصريون تستعمل في قياس
الاطوال الكبيرة ثلاثة انواع من الفراسخ اصغرها كان عبارة عن
ثلاثين غلوة من الغلوات التي كل درجة ارضية منها ستائة غلوة
وكان استعماله في الجهات البحرية من ارض مصر وقدره بالمتر
٦٥ ٥٤١ م والثاني يزيد عن الاول وقد استعمله هيرودوط وكان
ستين غلوة من الغلوات التي كل درجة ارضية منها الف ومائة
واحدى عشر غلوة وتسع وكان يستعمل في الاقاليم الوسطى من

مصر من منف ابتداءً ولذلك سمي الفرسخ المصري المتوسط ومقداره
بالمتر ٥٥٨٥٠٠٠ م

والفرسخ الكبير طوله ستون غلوة من الغلوات التي كل درجة
ارضية منها ستائة غلوة وكان مستعملا في الاطوال الجغرافية فكان
يوجد بالجهات البحرية والقبليّة وطوله بالمتر ١٠٨٢٢٠ م
والفرسخ الفارسي عشرة اميال رومية وثلاثون غلوة من
الغلوات التي تشملها الدرجة الارضية سبعمائة وخمسين مرة وهو
دقيقتان واربعه اعشار دقيقة من الدرجة الارضية ويدخل في
الدرجة الارضية خمسا وعشرين مرة ولهذا كان هو المستعمل عند
اغلب سكان المشرق والعبرانيين فاخذوه عنهم الاوروبيون ومقداره
بالمتر ٤٤٤٢٢ وهذا المقدار يطابق اربعة وعشرين ميلا او ٢٤٠
غلوة مصرية من الغلوات التي تشملها الدرجة الارضية ستائة مرة
فيعلم ضرورة انه ماخوذ من مصر لانه لا يقال ان العجم قاسوا
الدرجة الارضية اذ لم ينسب اليهم ذلك احد من المؤرخين وفي
كتب العرب ان مقداره خمس وعشرون غلوة عربية من الغلوات
التي تشملها الدرجة الارضية خمسمائة مرة التي قدرنا انها ٦٧ | ٢٢١ م
وقد قلنا فيما سبق ان الوحدة التي كانت مساحات الارض تقدر
بها هي الاورور وهي عبارة عما يجرث بحراث واحد في يوم واحد
وبناء على قول هيريدوط كانت مربعا ضلعه مائة ذراع يعني انها
كانت عشرة الاف مربع والذراع المستعمل هو الذراع القديم

الذي هو ٤٦٢ م فعلى هذا تكون المساحة بالمتري المربع الفين ومائة
واربعة وثلاثين

وكانوا يقيسون بخشبة طولها عشرة اذرع وطول ضلع الاورور
بها عشر مرات وكانت منقسمة ثلاثة اقسام كل قسم خمس اقدام
فكان طول القسم الواحد مساوياً للخطوة الهندسية ونصف القصبة
المصرية القديمة التي كان طولها عشر اقدام وضلع الاورور بها خمسة
عشر مرة وكانوا في الغالب يستعملون نصفها فيبلغ ضلع الاورور
به ثلاثين مرة فبناءً على ذلك تكون مساحة الاورور تسعمائة
خطوة مربعة وذلك عبارة عن ٢٢٥٠٠ قدم مربعة وبمقارنة المائة
الذراع التي هي طول ضلع الاورور للثلاثين التي هي قياسه بنصف
القصبة نجد ان القصبة ستة اذرع وثلاث اذراع وهذا المقدار هو نسبة
ما بين الذراع البلدي الذي قدره ٥٧٧٥ م والقصبة الديوانية
التي وجدها الفرنسيون بالجيزة وقدرها ٢٨٥ م وسمى ايضاً
بقصبة الرزق ومن هنا يعلم ان الاقيسة وان صارت كبيرة عما
كانت لكن النسبة منها لم تتغير عما كانت عليه قديماً ولم يكن
الاورور وحده هو المستعمل في المساحة بل كان لهم اقيسة كثيرة
صغيرة وكبيرة على حسب ما يقتضيه الحال منها العسلة وهي مربع
قدره عشرة الاف قدم مربعة اي ان ضلعه كان مائة قدم كما ان
ضلع الاورور مائة ذراع ومنها الغلوة وهي عشرة الاف قامة مربعة
اي مربع ضلعه مائة قامة ومنها العسلة المضعفة وكانت مربعاً

طوله عسلتان وعرضه واحدة ونسبتها الى الاورور كنسبة اربعة الى تسعة

ومنها الاستادة اي الغلوة المربعة كانت ٣٦٠٠٠٠ قدم مربع فان فرض ان ضلعها منقسم الى عشرة اقسام متساوية انقسم السطح الى مائة مربع صغير كل منها ٣٦٠٠ قدم مربعة او مائة قامة مربعة اي الى مربعات ضلع كل منها ستون قدما او عشر قامات او اثنا عشرة خطوة هندسية ويتكون عنها الجزء المثني بالنسبة الى الغلوة وكانت تستعمل في تقدير المساحات

واما الفدان الديواني وقت دخول الفرنسيين وادي مصر فكان ضلعه عشرين قصبة ديوانية وذلك عبارة عن مائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع وهذا المقدار هو ثلث الاستادة وهو قدر ارتفاع وجه الهرم فعلى هذا يظن ان الاستادة كانت منقسمة الى تسعة اقسام اي مربعات كل منها اربع عسلات مربعة ضلع كل منها عشرون خشبة كما ان الفدان الديواني ضلعه عشرون قصبة ديوانية ولذلك تسمى هذه المساحة اي المركبة من اربع عسلات بربع الفدان المصري القديم وكان ضلعه بالذراع القديم مائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلثا كما ان ضلع الفدان الديواني بالذراع البلدي مائة وثلاثة وثلاثون ذراعا وثلث وعلى هذا فمساحة الفدان القديم كانت ٣٧٩٤٠٦ م مربعا ومساحة الفدان الديواني ٥٩٢٩ م مربعا ونسبة الاول الى الثاني كنسبة ستة عشر الى خمسة وعشرين

وربما كان منقسمها الى اربعة وعشرين قيراطا كما ان الفدان الديواني
 كذلك منقسم وهذه القسمة تزيد في سهولة الحساب بسبب ان
 العسلة تكون مشتملة على ست منها فلو فرضنا ان الاستادة او الغلوة
 منقسمة قسامين متساويين وجدنا انه يحصل من ذلك تساهل
 عظيم في التقدير لان الشكل الذي ضلعه الغلوة يكون منقسمها الى
 اربعة مربعات ضلع كل واحد نصف غلوة ومساحته تسع عسلات
 مربعة او يكون مساويا لاربعة من الاورور وتسمى هذه المساحة
 ربع الغلوة وتشتهل على اربعمائة خشبة مربعة او تسعمائة نصف
 قصبه قديمة او اربعين الف ذراع مربع او على ثلاثة الاف وستمائة
 خطوة او على خمسة وعشرين جزوا من الغلوة او على الفين
 وخمسمائة قامة مربعة

ولم يكن في قياس الفدان المصري القديم صعوبة لان مساحته
 اربعون خطوة بالخطوة الهندسية كما ان مساحة الفدان الديواني
 الان اربعون نصف قصبه وضلع الفدان الديواني سبعة وسبعون
 مترا وهو يزيد عن ضلع الفدان القديم بقدر ربعه وهذه النسبة
 لاشك هي الواقعة بين الذراع القديم والذراع البلدي والفدان
 الديواني يزيد عن القديم اورورا واحدا ولا شك في ان للفدان
 القديم نسبة صحيحة مع الاقيسة القديمة لان ضلعه ثلث ضلع قاعدة
 الهرم وعلى هذا فمساحة القاعدة تشمله تسع مرات وزيادة على ذلك
 ضلعه عبارة عن عسلتين ونصف والميل المصري القديم يشمله

اربعا وعشرين مرة والقصة المستعملة في قياسه تدخل في ضلع
قاعدة الهرم ستين مرة

وضلع الاورور يساوي ثلاثة اخماس ضلع الفدان الديواني
وربع الاستادة المربعة = $\frac{1}{4}$ الغلوة المربعة = ٤ اورور = ٩

عسلات مربعة وضلعها ثلاث عسلات فلو قسمنا كل عسلة من
التسع قسمين متساويين وجدنا ان ثلاثا منها تكون ضلع الاورور
واربعا منها تكون ضلع الفدان القديم وخمسا منها تكون ضلع
الفدان الديواني والست الباقيات تكون ضلع ربع الاستادة وعلى
هذا فالنسبة بين هذه المساحات الاربع كالنسبة بين هذه الاعداد

١٦٩ ، ٢٥٦ ، ٣٦٢ ، وما يؤكد ان ربع الاورور كان موجودا قديما كون
ضلعه ستين خطوة هندسية كما ان ضلع الاستادة ستون خشبة

وبالجمله فوجود ربع الاورور بين الاقيسة القديمة يؤكد وجود
ربع الاستادة ونسبة الفدان المصري القديم الى الفدان الديواني

الجديد على ما ذكرنا كنسبة ١٦ الى ٢٥ ونسبة اضلاعها الى بعضها
كنسبة ٤ الى ٥ اي ان الفرق الذي حصل في طول الذراع من

اربعة وعشرين قيراطا الى ثلاثين قيراطا حصل ايضا في القصب
المستعمل لقياسها وبسبب ان عدد عشرين بقي ثابتا لعدة القصب

الداخل في الطول حصل لسطحها زيادة كنسبة ٢٥ الى ١٦
والنسبة بين الفدان القديم والاورور كنسبة ١٦ الى ٩ وكما ان

الغلوة كانت منقسمة الى اربعة اقسام وكل قسم منها الى اربعة

اخرى تسمى الاورور كذلك الاورور كان منقسما الى اربعة اقسام
 وقاعدة الهرم قدر كل ربع منها مائة مرة وقدر الاستادة اربعا
 وستين مرة وكان طول ضلعه خمسين ذراعا او خمسا وسبعين
 قدما وسطحه ٢٢٥ خطوة او الفين وخمسمائة ذراع وبالقصب
 الديواني ٣٦ قصبة مربعة وكانوا يعرفون قدر ما تأخذ الارض
 من البذر بمكيال لم يسمى المد المساحي وهو اربعون ليورا فكان
 نصفه وهو عشرون ليورا يكفي لبذر مائة قامة مربعة فيقسمونها
 الى اربعة اقسام ضلع كل قسم خمس قامات ومساحته خمس
 وعشرون فكانوا يقدرون ما يلزم للارض بهذه الطريقة ويجعلون
 لكل خمس قامات مربعة ليورا من البر وهكذا فكان المد الواحد
 الذي وزنه اربعون ليورا يكفي لبذر مائتي قامة ونصفه لنصفها
 ومن الاقيسة التي كانت تستعمل في مساحة الارض الخطوة المربعة
 وهي جزء من تسعمائة جزء من الاورور وجزء من اربعمائة جزء
 من العسلة وجزء من الف وستمائة جزء من الفدان القديم وجزء
 من الفين وخمسمائة جزء من الفدان الديواني وجزء من اربعة
 عشر الفا من الغلوة المربعة وكان ضلع العسلة عشرين خطوة
 وضلع الاورور ثلاثين وضلع الفدان القديم اربعين وضلع الفدان
 الديواني خمسين وضلع الغلوة مائة وعشرين ومنها الخشبة المربعة
 وقدرها مائة ذراع وهي جزء من مائة جزء من الاورور والقصبة
 وقدرها مائة قدم مربعة وهي جزء من مائة جزء من العسلة وكذلك

كان من القياسات قياس صغير قدره خمس قامات مربعة وضلعه
 ست خطوات ومساحته ست وثلاثون خطوة مربعة او اربعمائة
 ذراع مربع اعني ٩٠٠ قدم وكان يدخل في المد المساحي اربع مرات
 وفي الاورور خمسا وعشرين وفي الغلوة اربعمائة مرة
 ويمكن ان يقال ايضا ان العسلة كانت منقسمة الى اربعة
 اقسام كل منها الربع وان الغلوة المربعة تشمله مائة واربعين
 وربعا يشمله ستا وثلاثين والفدان القديم يشمله ستة عشر مرة
 والديواني خمسا وعشرين والاورور تسع مرات وربع العسلة عبارة
 عن = ٢٥ خشبة اي ١٠٠ خطوة = ٢٥٠٠ قدم فجميع هذه المقاييس
 كانت مستعملة في مساحات الارض بحيث كان يتيسر للمساح
 مع غاية الضبط والسرعة معرفة مساحة الارض وما تشتمل عليه من
 الكسور لغاية القدم المربعة ولهذا شهد جميع المؤرخين للمصريين
 بفوقانهم جميع الامم في الفنون الهندسية ونسبوا لهم اختراع اصولها
 وقواعدها التي هي سبب تقدمهم في جميع العلوم والصنائع ولواني
 اطنبت في مادة الاقيسة واطلت على حضرتكم الكلام في بيانها
 فليس هو الغرض الاصلي بل الغرض ان اثبت لحضرتكم اتساع
 دائرة معلومات علماء هذه الامة حيث وصلوا في الاحتماب الخالية
 الى تلك الدرجات العالية مع ان جميع الامم في ذلك الوقت
 كانوا خاملين وفي زوايا النذل والمسكنة قاطنين غرقى في بحار
 الجهل لا يعرف لم فكر فيما جل ولا قل وكانوا راتعين في الاجم

والغابات مثلهم كمثل الحيوانات فلم يخرجهم عن هذه الحالة الا
افتقارهم اثر المصريين وسيرهم في طريقهم مقتدين بقول من وصل
منهم الى هذه الارض وتلقى عن علماءها واساتذتها يقيمون بالمدارس
والمعابد ويتلقون الاسرار عن المصريين ومن ذلك الوقت اخذت
الحشونة في الزوال وانجلي عن بصائرهم غشاء الجهل والضلال
واتضح الطريق فسلكوا سبيل الهدى ونالهم من الثروة والترفة ما
نالهم فاسسوا المدن والقرى وبنوا المباني الفاخرة العالية الذرى
وكانوا قبل لا يسمعون بها ولا يعلمون والمصريون كانوا بالغين
النهاية في كل ذلك وكان بشاطئ نيلها المباني المشيدة والبساتين
الفاتحة العديدة وفي داخل مدنها وصحاريها من المعابد والهياكل
ما يعجز عن وصفه الانسان في كل زمن من الازمان والى الان
كل من دخل تلك الارض من الاغراب وتامل ما بقي فيها من
الاثار التي هي من عجب العجائب يقف متحيرا ويطرق متفكرا وذلك
لا يستغرب من امة من اثارها البنائية الاهرامات الشاخنة والبرابي
العجيبة ولا يستبعد عليها انها قاست الدرجة الارضية ونسبت جميع
اقبستها اليها ولاجل بقاء ذلك على مر الازمان وتعاقب الملوان
جعلوا نفس الهرم حافظا لتلك الاقيسة فضلا عن حفظه لامور
شئى لم يقف احد عليها الى الان

المسامرة الرابعة والثمانون

نبذة تاريخية

فقال الشيخ المستفاد من اقوال المؤرخين بناء على ما اجره
من البحث وما اخذوه عن الاوائل ان بين هبوط آدم والطوفان
٢٢٤٢ سنة وبينه وبين المسيح عيسى بن مريم ٥٥٦٢ سنة فيكون
بين الطوفان والمسيح ٢٢٤٢ سنة وحيث ان يكون بناء الهرم قبل
الميلاد باربعة الاف وخمسمائة سنة وبعد الطوفان بالف وثمانمائة
وخمسين سنة وحيث انهم قدروا ما بين جلوس منيس وبناء
الهرم بثمانمائة وثلاث سنين فيكون جلوس منيس بعد الطوفان
بثلاثمائة وخمس وخمسين سنة اي بعد موت نوح بخميس سنين
وقد قالوا ان فرعون مصر صوفي الاول الذي اطلق عليه هيردوط
اسم كيوس ابتداء البناء في هذا الاثر بعد انفصال الحكومة السياسية

من الحكومة الدينية بواسطة منيس الذي اسسها قبل الميلاد بخمسة
الاف وخمسمائة وثلاث سنين وفي مدة هذا الانقلاب بل من
ابتدائه يرى ان المصريين على معلومات تامة ولهم دراية بمعارف شتى
وعلم كثيرة فانهم كانوا على غاية التمدن والتقدم لكن لا يدري
هل اخذ المصريون هذه العلوم عن سبقتهم من الامم واذا كان
كذلك فعن من اخذوا ام هم الموجودون له من غير واسطة غيرهم
والظاهر انهم اخذوها عن غيرهم لان الارض قبل الطوفان كانت
عامرة باولاد آدم عليه السلام وكانوا متصرفين في جهاتها وكانوا
قد وصلوا الى درجة في العلوم والمعارف ولما اغرق الله قوم نوح
عليه السلام ولم ينج الا هو واولاده ومن آمن تفرقوا في الارض
وتناسلوا وكثروا فعمرت بهم الارض ثانياً وبالضرورة كان عند
من نجا معرفة بعلوم من غرق فعلموه اولادهم وانتشروا فيهم ولم تكن
اهل مصر الا من ذرية سام لانه ابو العرب والفرس والروم ولكن
لا ادري هل هم اول من عبد الاصنام ام سبقتهم الى عبادتها غيرهم
فقال الانكليزي ان عبادة الاصنام كانت لعاد وثمود كما لا
يخفى ذلك على حضرتكم وكان عندهم السحر والكهانة كغيرهم فلم يكن
المصريون في ذلك الا تابعين اثرهم

فقال الشيخ وما سبب اتساع دائرة العلوم عندهم دون غيرهم
قال سببه انهم لما وصلهم علوم من اغرقهم الطوفان تأملوا فيها
فاستتجوا منها واستكشفوا من اثارها ما وصلوا به الى شأ وبعيد في العلوم

واما كونهم مخترعين لتلك العلوم فلا يقبله العقل لانه لم يكن بين
 الطوفان وبين نشأة الحكومة المصرية الفرعونية الا زمن قليل لا
 يكفي في وصول المعارف والعلوم الى هذا الحد الذي كانت عليه
 وقت ظهور منيس على التخت لاننا نرى من اقوال المؤرخين انه
 من حين جلوس فرعون مصر على التخت شرع في اعمال جسيمة
 فيها من الدلالة على التقدم في العلوم الهندسية ما لا يخفى منها انه
 سد احد فرعي النيل الذي كان جارياً بجذاء جبل ليبيا وحوّله
 الى جهة الشرق في نصف المسافة التي بين الجبلين وادخل ماء
 النيل في وادي الفيوم فازدادت بذلك سعة ارض وادي النيل
 ولا جرم ان هذه الاعمال يلزم بها امور هندسية مثل ميزانيات وغير
 ذلك لاجل معرفة حال هذه الارض المحصورة من جميع الجهات
 بالجبال والصحاري ومنها انه ازال البرك التي تكوّنت من مجرى
 النيل وبنى محلها مدينة منف وحفظها من الغرق والعدو بما انشأه
 حولها من الحصون والجسور وزينها بهياكل ومعابد بقيت اعجوبة
 يفخر بها بعده ثلاثة الاف سنة زيادة على ما نظمه من القوانين
 وما اودعه في المدينة من المستبدعات التي فاقت بها على طيبة
 القديمة التي كانت مقراً للسلطنة ومحلاً لقوة الديانة الى وقته فلو لم
 تكن العلوم عندهم في درجة الكمال ما امكنهم اجراء هذه الاعمال
 ومن ورث الملك بعده الف كتاباً في التشریح ومن اتى بعده بنى
 هذه الاهرام التي هي اعجوبة مدى الايام بتعجب منها كل انسان ما

بقي الزمان وما نظر اليها احد الا وافقر لمؤسسها بعلو الدرجة في
 العلوم وغزارة عقولهم بدلالة هذه الاثار والرسوم فان من اجري هذه
 الامور لا بد له من تمام الوقوف على قواعد من علوم شتى مثل
 علم جبر الاثقال والعمارة وحركات المياه والطب والهيئة وسير
 الكواكب واحوال السماء وكل هذه العلوم قبل وصولها هذا الحد
 تفيد بالضرورة التوغل في العلوم الاساسية لها فعلم من ذلك ان
 مصر كانت من قديم الزمن بالغة اقصى درجات التمدن وواضح
 دليل على ذلك بقاء هذه الابنية بها الى الان وايضا هذا التمدن
 لا يمكن ان يوجد دفعة واحدة بل لا بد انه مضى عليه قرون
 كثيرة حتى بلغ هذه الدرجة والسبعماية عام التي قدرها علماء
 الافرنج بين الطوفان وجلوس منيس على التخت لا تكفي ايضا في
 تحصيل تلك المعارف بل لا بد من وجود اصلها قبل الطوفان
 فان الارض قبله كان بها ام شتى منهم المتمدن وغيره وكانت العلوم
 بالغة الى درجة اوجبت اتساع معائشهم فكانوا ارباب قوة وثروة
 وما يدل على ذلك قول افلاطون عند تكلمه على سكان الاطلنطيك
 الذين اغرقهم الله بالطوفان ان ارضهم كانت قريبة من بوغاز
 الطارق وان قوانينهم كانت قريبة من قوانين المصريين وهذا
 القول نقله سولون المشرع عن علماء مصر فانه تلقى عنهم ويؤخذ
 من هذا ان منيس لما جلس على التخت وظهر امره اخذ له قانونا
 من القوانين القديمة التي وصلت اليه بواسطة النوبيين الذين

كانوا بالجملة القبلية من مصر فانهم الناقلون لجميع المعارف والعلوم التي ورثها المصريون عن اجدادهم سكان اسيا الناجين من الغرق فكانت هذه المعارف محفوظة عند طائفة القسس يرثها الابناء من الاباء جيلا بعد جيل من غير تغيير ولا تبديل وانت خير بان تقدم العلوم واتساع دائرتها وزيادة الجهد في كشف حقائق مستجدة انما يكون بالاشتراك العام فضلا عن المساعدات من قبل الحكومة الا ان بمصر امورا توجب تعطيل ذلك منها وجودها منعزلة وسط الصحاري وهذا يمنع سهولة اختلاطهم مع باقي سكان الارض من الامم وحيث لم يكن بها ممن ورث تلك العلوم الا طائفة الديانة فغاية ما يمكن القوة البشرية انما هو معرفة ما وصل الى هولاء من غير زيادة عليه وهيات ان وصلوا اليه ولا شك ان هذا على طول الايام مما يوجب تقهر المعارف عاما بعد عام كما حصل ذلك بالفعل في مصر حين سكنها غير اهلها فلولا ما شاهدناه بها من الاثار لاستبعدنا ما عزاه الى اهلها نقلة الاخبار ولعددها من نوع الخرافات التي ضيع المؤرخون في تنميقها نفائس الاوقات

فقال الشيخ عزو المعارف والكشف عن الحقائق الى من كان قبل الطوفان مما لا مرية فيه ومما يدل على ذلك صرح النمرود الذي بناه وكان مركبا من اثنين وسبعين برجاً على كل برج كبير منهم يستحث على العمل فان ذلك كان بعد الطوفان بزمن لا يسع ان يهتدوا فيه الى معرفة بناء مثل هذا كما سنبينه فانهم بعد

الطوفان بزمن قليل تبلبت الستهم فتنفرق بنونوح فصار لسامر
 واولاده العراق وفارس وما يلي ذلك الى الهند ولحام واولاده
 مشرقا مها يلي مصر على النيل وكذلك مغرباً الى الغرب الاقصى
 وليافت وولده ما يلي بحر الخرز مشرقاً الى جهة الصين وفي ذلك
 الوقت كانت شعوب اولاد نوح اثنين وسبعين شعباً فلم يكن
 عندهم معرفة تامة باحوال العمارة والهندسة ووضع الاحجار فمن
 اين لهم ان ينوا مثل ذلك البناء اذ يلزم لجعله في العلو الذي
 قدره به اصول وقواعد لا بد منها وايضاً فان النمرود كان عاملاً
 من قبل الضحاك على سواد العراق وما اتصل به وفي تلك
 الاوقات كان للام قوانين منظمة وشرائع معظمة وكان لهم رسل
 تهديهم الى طاعة الله فلا بد انهم كانوا ذوي ثروة عظيمة حتى اغتروا
 بذلك غروراً وجعلوا قول الانبياء كذباً وزوراً وناهيك طغيان
 النمرود وظلمه وبغيه وتجيده وحروبه أفلا يدل هذا كله على ان
 الامم قبل الطوفان كانوا ارباب معارف وكذلك معرفتهم للاشهر
 واسمائها والسنة ومقدارها فقد ورد عن المؤرخين ان نوحاً عليه
 السلام ركب السفينة لعشر مضت من رجب ورست بارض
 الموصل على الجودي لعشر بقين من المحرم فكانت المدة ستة اشهر
 وعشر ليال فكل هذه ادلة قاطعة وبراهين ساطعة على ان العلوم
 والمعارف كانت موجودة قبل الطوفان
 فقال الانكليزي رأيت في الآية الرابعة والعشرين من الباب

السابع في التورية ان الماء بقي على الارض مائة وخمسين يوماً
 وذلك من ركوب نوح السفينة الى استقرارها على الجبل وان دخوله
 فيها كان في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني واستقرارها على
 الجبل في اليوم السابع عشر من الشهر السابع فتكون المدة حينئذ
 خمسة اشهر باعتبار ان الشهر ثلاثون يوماً والشهور شمسية وعلى هذا
 تكون السنة شمسية وعدد ايامها ثلاثمائة وستين يوماً وهذا يدل على
 ان الاقدمين كان عندهم معرفة بحركة الشمس واختلاف سيرها
 بطاء وسرعة بالنسبة لحركتها فيعلم من ذلك انهم كان لهم معرفة
 بعلم الفلك .

فقال الشيخ رأيت في كتب التواريخ ان كثيراً من اهل الهند
 والصين وغيرهم كانوا يعتقدون ان الله عز وجل جسم وان الملائكة
 اجسام لها اقدار مختلفة وان الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء
 فدعاهم ذلك الى اتخاذ تماثيل واصنام مختلفة على صورة الباري
 والملائكة فكانوا يقربون لها القرابين والندور لشبهها عندهم بالله
 وملائكته واقاموا على ذلك مدة من الزمان حتى نبههم حكماءهم
 على ان الافلاك والكواكب اقرب الاجسام المرئية الى الله وانها
 حية ناطقة وان الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وان كل ما
 يحدث في هذا العالم انما هو على قدر ما تجري به الكواكب على
 مقتضى امر الله فعظموها وقربوا لها القرابين ومكثوا على ذلك دهرًا
 فلما راوا الكواكب تخفى في النهار وفي بعض اوقات الليل لما

يعرض في الجحيم من السواتر امرهم بعض من كان فيهم من الحكماء
 ان يجعلوا لها اصناماً وتماثيل على صورها واشكالها فاتخذوا اصناماً
 وتماثيل بعدد الكواكب السبعة المشهورة واخذ كل فريق منهم
 يعظم كوكباً ويقرب له قرباناً خلاف ما يقربه الاخر ظناً منهم انهم
 اذا عظموا ما صوروا من الاصنام تحركت لهم الاجسام العلوية
 وساعدتهم في كل ما يريدون ويتوالكل صنم بيتا وهيكلا وسموا
 تلك الهياكل باسماء الكواكب حتى ذهب قوم الى ان البيت الحرام
 انما عظم على مرور الدهر لانه بيت زحل ومن شأنه البقاء والثبات
 ثم لما طال عليهم العهد عبدوا الاصنام نفسها على انها تقربهم الى الله
 والغلو عبادة الكواكب ولم يزالوا كذلك حتى ظهر بودا وكان اول
 ظهوره بارض الهند فخرج منه الى السند ثم الى بلاد سجستان وبلاد
 زابلستان ثم دخل كرمان فتنبأ وزعم انه رسول واتى ارض فارس
 في اوائل ملك طيمورث ملك فارس وهو اول من اظهر مذاهب
 الصابئة فامر الناس بالزهد في هذا العالم والاشتغال بما علا من
 العوالم واراها ان من هناك بدء النفوس وقال بعضهم انه اول من
 عظم النار وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب ثم افترق بعده
 من تبعه فعظم كل فريق منهم ما رأى تعظيمه وقد قالوا ان
 البيت الحرام اول البيوت السبعة المعظمة المتخذة على اسماء الكواكب
 السبعة والبيت الثاني مارس وهو على راس جبل باصيهان والبيت
 الثالث سندوساب وهو ببلاد الهند وله قرابين وفيه احجار المغناطيس

المجاذبة والرافعة والمنفردة والبيت الرابع البوبهار الذي بناه متوشهر
 وهو بمدينة بلخ من خراسان على اسم الثمر وكان من يلي سدائته
 تعظمه الملوك وتتقاد لامره وكان له اوقاف كل من ولي بسدائته
 يسمى البرموك ومن ذلك سميت البرامكة لان خالد بن برمك كان
 من ولد من كان على هذا البيت والبيت الخامس عمدان وهو
 بمدينة صنعاء من بلاد اليمن وكان الضحاك بناه على اسم الزهرة
 والبيت السادس بيت كارشان شاه بناه كارش الملك على اسم
 المدير الاعظم من الاجسام السماوية وهو الشمس بمدينة فرغانة من
 مدائن خراسان والبيت السابع باعالي وهو ببلاد الصين بناه ولد
 يعبور بن يعويل بن يافث بن نوح وقيل انما بناه بعض ملوك
 الترك في قديم الزمان فجعله سبعة بيوت في كل بيت منها سبع كوى
 بازاء كل كوة صورة من صور الكواكب السبعة مصنوعة من
 الجواهر على اختلاف انواعها ولهم في هذا الهيكل سر يسرونه في بلاد
 الصين يعلمون به اتصال الاجسام السماوية وافعالها بما يحدث في
 عالم الكون من الحركات والافعال وهو سدى خيوطه من الابريسم
 ممدودة على خشب يتحرك على حسب حركات الطبائع فيحدث
 ضروباً من الحركات فاذا اتصلت افعاله وتوالت حركاته في الشج
 ظهرت صورة فيضرب من الحركات يظهر جناح طائر وباخر راسه
 وباخر رجلاه فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة على حسب مراد
 الصانع فجعلوا اتصال الابريسم بالآلة الشج وما يحدثه الصانع في

ذلك من الافعال مثالا لتأثير الكواكب العلوية في الاجسام
الكونية فبضرب من الحركات ظهر في العالم الطائر وبضرب آخر
فرخ وكذلك سائر ما يحدث في العالم ويسكن ويتحرك ويوجد
ويعدم ويتصل وينفصل ويجمع ويفترق ويزيد وينقص من جماد
ونبات وحيوان ناطق وغير ناطق فانما هو من حركات الكواكب
واما العرب في جاهليتها فكانوا فرقا منهم الموحد المتمر بخالقه
المصدق بالبعث والنشور الموقن بان الله يثيب المطيع ويعاقب
العاصي

ومنهم المتمر بوجود الخالق القائل بحدوث العالم واعادته الا
انه انكر ارسال الرسل وعكف على عبادة الاصنام وهم الذين حكي
الله عنهم قوله ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى ومنهم من اقر
بالخالق وانكر الرسالة والبعث وهؤلاء هم الذين حكي الله عنهم
قوله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا
الدهر وما لم يبدلك من علم ان هم الا يظنون ومنهم من مال الى
اليهودية او النصرانية ومنهم المار على عنجهيته الراكب لهيئته ومنهم من
كان يعبد الملائكة ويزعم انها بنات الله وانها تشفع لهم عنده وهم
الذين اخبرنا الله عنهم بقوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولم ما
يشتهون ومنهم من كان مقرا بالتوحيد مثبتا للوعد والوعيد كعبد
المطلب بن هاشم بن عبد مناف

وسبب اتخاذ العرب للاصنام انه لما نشأ عمرو بن لحي وتولى

ملك الحجاز وانتشر صيته في الجاهلية واليه تنسب خزاعة وكانت
العرب تطيعه احسن الطاعة وسار بقومه الى مكة واستولى على
امر البيت ثم الى مدينة البلقاء من عمل دمشق من ارض الشام
فراى قوما يعبدون الاصنام فسألم عنها فقالوا هذه ارباب اتخذناها
على شكل الهياكل العلوية والاشخاص البشرية نستنصر بها فننصر
ونستسقى بها فنسقى ونستشفى بها فنشفى فاعجبه ذلك وطلب منهم
صنما فاعطوه هبلا فنقله الى مكة وجعله على الكعبة واستنصب
صنمين اخرين وهما اساف ونائلة ثم دعا الناس الى عبادتها فاجابوه
ثم قلده العرب في ذلك فكان لكل قبيلة صنم فكان ود لقبيلة
كلب وكان مجومة الجندول وسواع لقبيلة هذيل ويغوث لقبيلة
مذحج وقبائل من اليمن ونسر لقبيلة ذي الكلاع بارض حمير
ويعوق لقبيلة مهران واللاة لقبيلة وكان بالطائف والعزى
وهبل لقبيلة ومناة للاوس والخزرج واساف ونائلة على الصفا
والمروة واستمرت العرب على عبادتها الى ان جاء الاسلام وبعث
محمد عليه الصلاة والسلام فكسر الاصنام واتخذ العباد من تلك
الاوهام وكانت العرب في الجاهلية تكسب في كل ثلاث سنين
شهراً وتسميه النسبي وقد ذم الله تعالى فعلهم بقوله انما النسبي زيادة
في الكفر

وكانت المصريون صابئة فانهم كانوا يعبدون الاصنام والصابئة
اقدم الامم على الارض ولغتهم السريانية التي هي لغة آدم عليه

السلام ويزعمون انهم اخذوا دينهم عن شيت وادريس ولم كتاب
 يسمونه صحف شيت فيه محاسن الاخلاق كالصدق والشجاعة
 واجتناب الرذائل وقد ذكر ابن الوردي احد المؤرخين عندنا
 صحيفتين من صحفهم الاولى وتسمى صحيفة الصلاة ومنها انت الازلي
 الذي تربط به الرئاسات رب جميع المكونات المعقولات والمحسوسات
 رئيس البرايا وراعي العوالم رب الملائكة ومنك تنزل العقول
 الى مدبري الارض لانك السبب الاول احاطت قدرتك بالكل
 ولك الوجدانية التي لا تحدد ولا تدرك مدبر سلاطين السماء وينابيع
 النور الدائم الانارة انت ملك الملوك الامر بالخيرات كلها الفاعل
 لكل شي بالوحي والاشارة تبت المخلوقات ويرمزك يتظر العالم
 باسره ومنك النور وانت العدة القديمة السابقة لكل شي نسئلك
 ان تزكي نفوسنا وتوقفها لاستحقاق نعمتك الآن وفي كل اوان الى
 الابد باظاهراً متعالياً عن كل دنس احلل عقالنا وعافنا من كل
 مرض وبدل احزاننا افراحا بك نعتصم ومنك نخاف نسئلك ان
 توقفنا لتعبيد عظمتك التي يشار اليها ولا ينطق بها منك الكذل
 وبك يستنير الكل وانت رجاء العالمين ومعين المناس اجمعين
 وفي الثانية لا يجرب احد منكم في معاملة اخيه الى ما يكره ان
 يعامل بمثله واياكم والتفاخر والتكاثر لا تحلفوا بالله كاذبين ولا
 تهجموا على الله باليمين واعتمدوا الصدق حتى يكون نعم من قولكم
 فيما يستحقها ولا كذلك وتورعوا في تحليف الكاذبين بالله جل ذكره

فانكم تشاركونهم في الاثم اذا علمتم منهم الخنث وليكن الامر في نفوسكم
 ن تكلوهم الى الله عالم السرائر فحسبكم حاكم يعدل وناطق يفصل
 لا تلهجوا بهجو الكلام وسوء المقال لا تفاوضوا الاضاليل والاباطيل
 ولا تكثروا الهزل والضحك والهمز واللمز لا تبدر منكم عند الغضب
 كلمة الفحش فحجر عليكم المآثم والعقوبة من كظم غيظه وقيد لفظه
 ونطق منطقته وظهر نفسه فقد غلب عليه الشر كله استشعروا
 الحكمة واجتفوا الديانة وعودوا انفسكم الوقار والسكينة وتحلوا
 بالاداب الحسنة الجميلة ترووا في اموركم ولا تعجلوا لا سيما في مجازاة
 المسيء ان يكن من احدكم فرطة وارتكب منكرا فليقطع ولا تحمله
 السلامة منها على المعاودة لها فانها ان سترت عليه في الدنيا يفتضح
 بها على رؤس الاشهاد يوم الدين (وها طويبتان) . اه . وهذا
 الكلام منسوب لازمان كانت قبل الطوفان وفيه دلالة ظاهرة
 على ان المعارف كانت متقدمة في تلك الاعصر وكان للصائبة
 اعياد وهايكل يعظمونها فاعيادهم كانت عند نزول الكواكب
 الخمسة المتخيرة في بيوت شرفها والمتخيرة هي زحل والمشتري والمريخ
 والزهرة وعطارد والهايكل التي يعظمونها بيت مكة وبيت بظاهر
 حران بحجونه ومن هايكلهم هيكل السنبله وهيكل الصورة وهيكل
 النفس وهذه مدورات الشكل واما هيكل زحل فمفسدس واما
 هيكل المشتري فثالث واما هيكل المريخ فمستطيل واما هيكل الشمس
 افربيع واما هيكل عطارد فثالث في جوف مربع واما هيكل القمر

فثمن ومن هياكلهم بيت بمدينة حران في باب الرقة يعرف بمصلينا
يقول انه هيكل ازرا ابو ابراهيم الخليل عليه السلام وذكر بعض اهل
الاطلاع ان باقضى بلاد الصين هيكلا مدورا له سبعة ابواب في
داخله قبة مسبعة الاركان عالية البنيان وقيل ان باعلى القبة شيئا
يشبه الجواهر يزيد على راس العجل تضي منه جميع اقطار ذلك
الهيكل وان جماعة من الملوك حاولوا اخذ تلك الجوهرة فاذا صار
بينه وبينها مقدار عشرة اذرع لم ير شيئا وان حاول اخذها بشيء
من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهت الى هذا المقدار
ثنت وانعكست وتعطلت وان رميت بشيء فكذلك فلم يجدوا لهم
حيلة في اخذها ومن تعرض لهدم شيء من هذا الهيكل مات لوقته
وكانها دبرت من انواع الاحجار المغناطيسية وفي هذا الهيكل بئر
مسبعة الفم متى اكب الانسان على فيها يسقط فيها وصار اعلاه
اسفله وحول فم البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم يقال
انه بقلم السند هند هذه بئر تؤدي الى مخزن الكتب وتاريخ الدنيا
وعلم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما يأتي منه
وتؤدي ايضا الى خزائن رغائب هذا العالم لا يصل ولا يقتبس
منها الا من ساوت قدرته قدرتنا وعلمه علمنا وحكمته حكمتنا فمن
قدر على الوصول الى هذا المخزن فليعلم انه قد وازانا ومن عجز عن
الوصول الى ما وصفنا فليعلم اننا اشد منه بأسا واغوى حكمة واكثر
علما واوسع دراية والارض التي فيها هذا الهيكل والقبة والبئر ارض

حجرية صلبة مرتفعة كالجبل الشامخ فاذا رأى الانسان ذلك الهيكل
والقبة والبئر حصل له عند ذلك جزع وحزن وتأسف على افساد
شي منه او هدمه

ويقولون ان اهرام مصر قبور احدها قبر شيت بن آدم والاخر
قبر ادريس وهو اخنوخ والثالث قبر صافي بن ادريس الذي
ينتسبون اليه ويعظمونه يوم دخول الشمس برج الحمل فيتزينون
ويتهادون فيه ومن هناك يعلم ايضا ان علم الفلك ومعرفة الكواكب
وما يلزم لذلك من العلوم كان قديما واصله من ارض اسيا ومنها
انتقل الى مصر والى غيرها من البلاد حين تفرق اولاد نوح
بالارض بعد الطوفان وعمروها وبنوا بها المباني على مثال ما كان
في اسيا قبل الطوفان

فقال الانكليزي ما ذكرته من الادلة على اثبات العلوم لمن
كان قبل الطوفان في غاية الوضوح ففي التوراة وهي من الكتب
القديمة ما يدل على ذلك فانه حين تكلم فيها على الخليفة من مبدئها
وما يتبع ذلك من الحوادث بينه غاية البيان حتى صار كل من
قراه كأنه شاهد بالعيان كل حادثة من حوادث الاولين التي
احدثها رب العالمين وهذا وان كان فيه مخالفة لما نقله دويودور
عن المصريين في شان الخلفة وتديبرها الا انه اصح لان ما نقله
دويودور ليس الا عبارة عن خرافات واوهام وبيان صور واوثان
لا يحصل بها معرفة السر المقصود منها واما ما في التوراة فهو حق

لا ريب فيه فانه عن موسى الكليم ومثله لا ينطق الا عن من هو
 بكل شي عليم وايضاً مذهب دويودور مأخوذ من امور ظنية
 نتجت من رصد الحوادث الطبيعية ولم يقف لا هو ولا غيره على ما
 اودعه الله فيها من الاسرار الخفية واما المكتوب في التوراة فهو
 بالنظر الى باطنها وحقبة امرها لان موسى عليه السلام اوحى اليه
 بما قرره وكان عليه السلام بمصر وقت وجود العلوم القديمة بها على
 اصلها وكانت اخبار الازمان الماضية وحوادثها عند علماءها على
 صورتها الحقيقية بخلاف دويودور فانه لم يوجد بمصر الا بعد
 انحطاطها عن درجة علوها وفخرها بما لحقها من توالي الفتن والمظالم
 وعليها فان علماءها بعد استيلاء الروم والعراقيين والاعجم عليها
 كانوا عن درجة قدرهم نازلين وفي قيود الذل والهوان مكبلين
 هاجرين العلم والمعابد لما فشا اذ ذاك من المفسد فاستبدلوا
 الاستغفال بالمعارف الخفية بالاشتغال بغيرها وتفتنوا فيه بظنونهم
 الفاسدة واوهامهم الكاسدة فعموا بعباراتهم والغزوا في تفهاتهم التي
 كانوا يستعملونها في وصف الهياكل وغيرها فدخل الجهل شيئاً
 فشيئاً وصار العلم بالحقبة نسبياً منسياً وصارت عباراتهم فيما بعد
 غير مفهومة للقسس فشرحوها بغير المقصود منها فاحلوا الكذب
 محل الصدق واقاموا الباطل مقام الحق فخيبت علي عقولهم عناكب
 الجهالة وعششت في اذهانهم جمائم الضلالة

ومن قال ان اول من عمر ارض مصر النوبيون يعني سودان

افريقة فقد اخطاء خطأ كبيراً لانه لا مشابهة بين السودانيين
 والمصريين في شي اصلا لا في اعضائهم ولا في لغتهم بل السودان
 من قديم الزمان على ما هم عليه الان والذي يقبله العقل هو ما
 ذكرتموه حضرتكم وما هو مدون في كتب العرب من ان من نجول
 من الغرق كانوا من سكان الجهة المرتفعة من الارض فلا بد
 انهم كانوا في حدود الخراب منها وبعضهم كان سكن باسيا وهم
 الذين كانوا في سفح جبال توروس وجبال قاف فصارت ارض
 اسيا كانها منبع النوع البشري ومنها خرجت فرق متعددة وتفرقت
 في جهات الارض وعمرتها ومنهم من ذهب الى ارض النوبة فعمرها
 وانتشر فيها الى الشلالات في نهاية ارض مصر

واما قول المؤرخ ايفوران اسم النوبة كان يطلق على اصل
 القبائل الساكنة قرب ارض البالستين من ارض اسيا وقول
 هيروودوط ان ازدشير كان من النوبيين سكان اسيا فيجتمل ان
 يقال ان هذا الاسم كان يطلق على جميع اهل هذه الجهة بسبب
 سمرة لونهم من حرارة الشمس ثم فيما بعد اطلق على سكان شاطئ
 النيل الاعلى وربما تشهد لذلك المشابهة المحاصلة بين المصريين
 السالفين والنوبيين والحيش فعلى قولها لا مانع من ان يقال ان
 اصل الجميع من سكان اسيا قبل الطوفان والذي يغلب على الظن
 انها متقدمة على من عداها في المعارف والفنون وان التمدن كان
 عندهم في اعلا التقدم وحيث لا غرابة في مشابهة قدماء المصريين

للصينيين في حروف الكتابة وبعض القوانين فان اصل الجميع
 واحد وكل منهم من ذلك الاصل مستمد وفي التوراة مدن غير
 بابل كانت العداوة بين اهلها لا تنقطع وكانوا كالبابليين متمتعين
 برياض المعارف مقتطفين منها ثمرات حسنة وكانوا يطلقون اسماء
 اولاد نوح عليه السلام على مواضع معينة ولا شك ان اهل هذه
 المدن لم تبلغ تلك الدرجة في زمن قليل بل لا بد انه بقي عند
 بعض عائلاتهم بعض ما كان عند اباؤهم الاولين من المعارف
 والعلوم حتى ظهر منهم ما ظهر من الاثار فيما بعد الطوفان ولكن
 في كلام بعض مؤرخي الصينيين ما يدل على ان حادثة الطوفان
 ازلت جميع ما للامم من الاثار فان قيل اذا كان كذلك فما السبب
 في بقاء العلوم والفنون حتى الاخلاق والعوائد والاطوار عند
 المصريين هذه القرون الطويلة وفي كتبهم المقدسة مع انها من
 علوم الامم السابقة على الطوفان قلنا ان ارض مصر لما كانت منعزلة
 عن باقي الامم منحصرة بين صحراويين ولم يكن بينها وبين غيرها
 اتصال والمسالك الموصلة لها صعبة كان ذلك هو السبب في ابقاء
 المعارف بها لانه لو سهل الوصول اليها لدخلت الاغراب واضاعوا
 معلوماتهم وما ورثوه عن اباؤهم الاولين فان فتوحات سزستريس
 الاكبر ترتب عليها اختلاط المصريين بكثير من الامم البعيدة عنهم
 والاسرى التي اسروها منها تقلوا اخبارها وخصب ارضها فدعا
 ذلك الى رغبة كثير من الناس فيها فسكنوها واخלטوا باهلها

فحصل بذلك تغير في جميع احوال الملة في الامور السياسية والدينية
وفي هذه المدة تيقظت الملل الاخر الى مصر ففتح ذلك عليها ابواب
المصائب وكان اهلها قبل ذلك من حذقهم وخصوبة ارضهم
متحصلين على ما يزيد عن حاجتهم وكانت العلماء وارباب الوظائف
في غنبة عظيمة وسعة تامة فبذلك كانت دائرة المعلومات اذ ذاك
متسعة وإدارة الحكومة منتظمة بقوانين عدلية فكان قانون العدل
بها له السلطان ولواؤه منتشرًا فوق راس كل انسان من ابتداء
منيس الى اخر العائلة الثامنة عشرة بخلاف سكان البقاع الاخر
والكلام في هذا المبحث يطول وليس الى ساحله وصول وقد اذف
الوقت ويلزمنا ان نغير الهواء ونريح الفكر بالتنزه في بعض جهات
البلد ثم بعد ذلك نتوجه لصاحبنا

المسامرة الخامسة والثمانون

وصف

بعض أنحاء باريس

فقام الشيخ الى غرفته وادى من العبادات ما يلزمه في ديانته
ثم غير ما عليه من الملابس فلم يلبث برهة من الزمن واذا ببرهان
الدين قد حضر فقال له والده يا بني تهباً للخروج فانا مدعوون
فتهباً كما امره والده في زمن يسير ثم توجهوا الى غرفة الانكليزي
فاخذها وسار بها الى ان وصلوا ميدانا محاطا بابنية عالية مجهلة
بصور متماثلة وغير متماثلة ووسط هذا الميدان صورة قلة مرتفعة
فوق قاعدة مربعة وسط سعة مبلطة وحول تلك الصورة درابزين
من كل الجهات فوقف الشيخ وولده والانكليزي ينظرون اليه
والى الصورة الموضوعة في اعلاه فقال له الانكليزي الصورة التي

تراها هي تمثال نابليون الاول الذي اخذ مصر حين القيام الاول
 واغار بجيوشه على جهات كثيرة من اوروبا وانتصر مراراً عديدة
 الى ان آل الامر الى اخذه اسيراً وحبس في جزيرة سنت هيلين الى
 ان مات ثم احضر الفرنسيين جثته ودفنوها لاجل بقاء ذكره
 ورفعوا له هذا التمثال وهو من حجر الأمانه مكسو بتونج المدافع
 الماخوذة من النمساويين وغيرهم وارتفاعه ثلاثة واربعون متراً ومن
 داخله سلم ضيق يصعد منه المتفرجون الى اعلا القلة وكان في
 محل هذا التمثال قبل ذلك تمثال الملك لويز الرابع عشر المشهور
 وكان على قاعدة من الرخام الابيض وكان فوق حصان من التونج
 فلما حصل قيام الامة الفرنسية كسروه ووضعوا مكانه هذه
 الصورة وفي مدة الملك لويز الثامن عشر صدر الامر بنزول
 التمثال في سنة ١٨١٤ فانزلوه ولكن في مدة الملك لوي فيليب
 عمل التمثال الذي تراه ووضع محله وكان يوم وضعه يوماً مشهوداً
 حضرت فيه عساكر الرديف والآليات وكثير من اهالي المدينة
 وحضر الملك بنفسه مع جميع خواصه ورجال دولته وكانت
 الموسيقى تضرب والمغنون يترنمون بالالمان والناس في اعلا
 درجة الفرحة

فقال الشيخ الذي يظهر من ان ملة الفرنسيين عندها طيش
 وخفة لان ما تستحسنه في يوم نستعجه في غد وليس لها ثبات على
 حال واحد وهذا ما يوجب دوام اسباب الخلل اذ من الواجب

عليهم بقاء احترام من اسس لهم هذه الشهرة العظيمة التي كانت سببا
 في رفعة قدرهم واتساع دائرتهم وقوة سطوتهم وهيبتهم واحترامهم
 عند جميع الامم حتى نشأ لهم من ذلك ما فيه من السعادة
 والتقدم ما لا يخفى وما حصل في مدته من الخلل لا يدعوهم الى
 تنزيله عن درجته المستحقة له فان ما وقع من الشراياهم لم يكن
 مقصوداً له بل ذلك تقدير العزيز العليم ولو قدر على منعه باي
 حيلة ما قصر وما اسسه لهم دليل على غزارة عقله فانه احدث لهم
 ما يفخرون به فكان ينبغي لهم ان يديموا تعظيم هذا التمثال
 واحترامه وبيناهم في هذا الحديث واذا بهم وصلوا حديقة السراية
 الملوكية وكان وقت الاصيل فوجدوها جنة لا يكاد يوجد لها مثل
 كثيرة الازهار جارية الانهار مخضرة الاشجار مخضلة الربى معتلة
 الصبا بها خلق كثير ما بين عظيم وحقير ونساء ورجال وشبان
 واطفال ما بين فطيم ورضيع ورفيع ووضيع فالرضيع على عاتق
 مرضعته وابن الستين الى الخمسة مع دادته يتنوعون في الالعاب
 فمنهم من بيده عصا يضرب بها كرة ويتبعها حيثما ذهبت ومنهم
 من بيده طارة قدر الغربال يحركها بالسرعة والنباهة ويدخل
 في وسطها ويخرج مع عدم قطع حركتها وآخرون يسوقون
 طارات مختلفة القطر بعضا فيضربها بعضهم والبعض يمسك حبالا
 بيده فيجره من تحت قدميه ومن فوق راسه والالعاب اخر كثيرة
 التنوع مع نظافة الاطفال وسلامة ابدانهم وحسن صورهم وامثالهم

للمريبات واتباعهم او امرهن فعند ذلك تذكر الشيخ القاهرة واحوال
 اطفالها الوخيمة وطباعهم الذميمة ودناسة ملابسهم وكثرة بكائهم
 وعنادهم وقارن بين الحاليتين وعوائد اطفال الامتين وتمنى ان
 تكون تربية اطفال المصريين كالجاري بباريز لتخلص الاطفال
 من ربة الامراض الناشئة من عدم تريضهم وحبسهم داخل بيوت
 اهلهم فمن ازدياد فكره في ذلك واشتغاله بما رآه هنالك كان لا
 ينظر الى من يمر به من الناس المتجملين بالملابس الفاخرة وارباب
 الوجوه الناضرة وكان كلما قرب من جهة بها اطفال يعن النظر
 فيهم ولا ينقل طرفه عنهم ولكن لما كان عالما ان الانكليزي لا
 يخرج عن رايه توهم في نفسه ان موافقته له ربما كانت على خلاف
 رغبته فقال يا صاحبي ارجو منك السماح وعدم المواخنة فاني
 حظيت هذا اليوم بنظري لهؤلاء الاطفال حظوة لا تعادل وسررت
 بروءيتهم سرورا لا يماثل وازالت روءيتهم عني هموما كثيرة فنعم ما
 يفعل بهذه الاولاد وان هذه الاصول التي هم عليها لفي غاية السداد
 فان فيها حفظا للاطفال من العاهات ولولا هذا الارتياض للتحتم
 ما يلحق ابناء المصريين من الامراض

فقال الانكليزي ومن عوائدهم ايضا كلما وجدوا الجوصافيا
 ان يذهبوا باولادهم او يرسلوهم الى محلات التنزه في اليوم مرة او
 مرتين الى ان تقوى بنيتهم فيرسلونهم الى المكاتب ليحصلوا على ما
 فيه مصلحة لهم ولاهلهم

وبالتجارب وجد من يموت منهم قبل هذه الرياضات أكثر
 ممن يموت بعدها ففي هذه فائدة عظيمة من حيث زيادة تعداد
 الأهلالي وزيادتهم يزيد الخير لأن ثروة الأمة تابعة لزيادة عدد
 أهلها وفي داخل البلدة وخارجها حدائق وميادين مثل هذه وفيها
 من الأشجار والحيطان ما ينشرح به صدر كل إنسان ونافورات
 وهياكل للزينة كل ذلك مجعول لتروح الناس وتريض أفكارهم
 وقت التنزه

ثم سار الشيخ والانكليزي فما من جهة مرا بها الأقاليم خلق
 كثير في زي واحد لا يفرق الإنسان بين الأمير منهم والمحقر والغني
 والفقير وكانوا لا يسمعون غير خرخشة الفساتين ودوي العربات
 ومناغاة الأطفال والفاظ رخيصة من ربات الدلال وهكذا كان
 يسمع من كل جهة ثم سارا حتى وصلا إلى ميدان بنيانه من أحسن
 البنين فمد الشيخ بصره يمينا وشمالا وخلفا وإماما فوجده محاطا
 بمنازل عالية البناء حسنة التقاسيم وعليها درابزينات متنوعة
 الأشكال ملونة بالوان مختلفة لا يخرج واحد منها عن مجاوره ولا
 يعلو عليه ولا يتفاوت بعضها عن بعض إلا بزيادة الرونق والزينة
 ووجد جميع الطرق مزدحمة بالخلق ازدحاما عظيما وكانه يوم
 عيد لما على وجوه الناس من الفرح وعلى أبدانهم من الملابس
 الحسنة فصار الشيخ يتفكر في ذلك ويتأمل كل التأمل فلما رآه
 الانكليزي مستغرقا في الفكر ينظر للناس تارة ولغيرهم أخرى قال

له ايها الاستاذ هل لك ان تغف ههنا هنيهة امام هذا الملك
المفارق لاهله المعزول عن ملكه بعد بقاءه فيه ثلاثة الاف سنة
فلما سمع الشيخ ذلك الكلام التفت فرأى عموداً مرتفعاً الى السماء
لا يدرك اخره البصر ولم ير الشيخ مثله ولا سمع به فيما مضى وغير
فقال للانكليزي ما هذا الذي ارى فقال هذا عمود يقال له المسلة
واصله من مصر وكان بصحراء الاقصر والي الحجاج فاهدها محمد
علي باشا لشارل العاشر فنقله الى هنا ووضع في هذا الميدان ليكون
العجوبة الى اخر الزمان

وبينا هما كذلك واذا بشيخ كبير انسل من بينها وهو يقول
هذا اثر من اثار المصريين الذين اخنى عليهم الزمان دال بذاته على
عظم قدرتهم وقوة باسهم وسطوتهم وغزارة علومهم ورزاقه عقولهم
وتالله انا ما علمنا الا بعض ما علموا ولا وصلنا الا قليل مما وصلوا
فيا ايها الاثر الجليل انبئنا عن احاديث الماضين وما كانوا عليه في
تلك السنين فقد مر عليك سنوات واعوام وليال وايام وشاهدت
ما فعله الظالمون وجناه المعتدون فافصح لنا عن تاريخ ما رأيت
من الامم واعرب عما جرى بينهم في الزمن المتقدم وها انت في موضع
غير الاول فهل تعيش قدر ما عشت وتنظر من الحوادث قدر ما
نظرت فالتفت الانكليزي فرأى الناس في ازدحام من خلف وامام
فاوسع للشيخ الطريق واخذ بيده وترك الناس في فريق الى ان
وصلوا العربية فركبوها وصار الشيخ يسئله عن تلك الاعاجيب وهو

يجيبه كأنه أمها وأبوها فقال له أن أهل الإطلاح يقولون أن الواضع لهذه المسئلة رامسيس الأكبر صاحب الفتوحات الكثيرة والمصادمات الشهيرة ببلاد الشام والعراق والحبش وكان يوم وضعها بباريس يوماً مشهوراً فلم يتخلف أحد عن الخروج والنظر إليها حتى الملك وعائلته ولحق الباريزيون بذكرها وإطالوا البحث عن حجرها وعن الملوك الذين في زمنهم رسمت والنوع الذي منه قطعت وهي عندهم إلى الآن من أعاجيب الزمان

ثم ساروا حتى وصلوا إحدى الجهات فنظر الشيخ فرأى سراية قد تحلت بالصور العجيبة الشكل والهيكل النادرة المثل بين أعمدة من الحجر شاهقة الارتفاع قاسمة جميع وجهات السراية أقساماً متساوية الأضلاع وعلى الباب حرس بالسلاح يتمشون فقال الشيخ ما هذا المكان الذي أراه عجيب المنظر حسن المخبر وما هذه الأعمدة الرفيعة والهيكل البديعة فقال الإنكليزي هذا مسكن ملوك الفرنسيين الآن ويقال له سراي التويلري ومعنى هذا اللفظ في الأصل محل ضرب الطوب وقد كان كذلك قبل بناء فبقي الاسم وذهب معناه وبجواره سراي اللوفر كانت قبل بناء التويلري مسكناً للملوك أيضاً ثم جعلت الآن محلاً للرسوم والهيكل

فقال الشيخ وهل يمكن الآن أن نراها فقال إنها لا تفتح إلا في أيام معينة وأوقات مخصوصة وفيها مكان كله صور ورسوم يدخله النقاشون والمصورون لأجل تمرينهم على صناعتهم فإذا جاء اليوم

الذي تفتح فيه ذهبنا ان شئت لننظر ما هناك من الرسم الغريب
الصنع والصور البديعة الوضع

فقال الشيخ سجان الله ان هذه الدنيا لا يبقى فيها شي على
عهد بل لا بد ان يناله نصيبه من الشقاء والسعد
واذا مررت على الديار وجدتها

تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

فقال الانكليزي صدقت ايها الاستاذ فان هذه الحداثق والمباني
العالية والطرق القوية كانت قبل ذلك بركا يخزن فيها الماء
والاوساخ وكان منظرها اقيح من منظر الخراب ثم انه في القرن
الثالث عشر صارت محلاً لمعامل الفخار الذي يغطون به سقف
المنازل وقاية لها من الامطار وكانت الملوك اذ ذاك تسكن سراية
الموهر ولكن لم تكن وقتئذ مزخرفة الظاهر كما هي الان بل كانت
عبارة عن برج مستدير عالي السور وحواليه خنادق متسعة عميقة
لا يمكن عبورها الا بواسطة قناطر يرفعونها بالسلاسل في اوقات
معلومة وفي ذلك الوقت بسبب كثرة تحزب الامة الفرنسية
وعداوتهم لبعضهم وملكهم كانت بينهم فتن لا تنقطع فكانت همه
الملوك مصروفة لامر الحرب وقمع الاعداء والمحافظة على انفسهم فكانوا
لا يشتغلون بامر الزينة والزخرفة ثم ارتفع الخوف وهدأت الفتن
واطمئت القلوب وقويت علائق الاتحاد فازدادت ثروتهم واتحدت
كلمتهم ووجهتهم فصاروا كأنهم رجل واحد وصار يضبط حكومتهم

قانون واحد وساروا تحت راي ملك استقر رايهم عليه فذهب منهم
جفاء الطباع واخذت الاحوال القديمة تذهب شيئاً فشيئاً وبعد
ان كان جل همهم صلابة البناء وقوته وارتفاعه وامتاته صار مطمح
نظرهم الى حسن صورته وتناسب اجزائه ولطافته فاخذوا يزينون
اماكنهم ويتغالون في زخرفها حتى وصل بنائهم الى ما تراه وبعد ان
كان لا يتمكن احد من القرب الى سراي الملك صارت الناس تمر
كما ترى في طرفاتها وتحوم في حوماتها ويدخلون من جميع الابواب
من غير منع ولا حجاب فكل زمن له حكم

وفي زمن الملك فرنسوا الاول اشترى محل سراي التويلري
وكان فضاء يبلغ قريباً من مائة فدان مصري واشترت والدته
ما جاوره وبنت فيه محلا لها ولم يبدأ في سراي التويلري الا في
وقت ماري دومدس ومن ذاك الوقت سكنها الملوك وصار كل
ملك يضيف اليها شيئاً ولم تكن من اول الامر متصلة بسراي
اللوفر بل كان بينها فضاء وبيوت للاهالي فصارت الملوك تشتري
هذه البيوت شيئاً فشيئاً ويدخلونها ضمن السراي ولم يصل هذا
المكان الى الهيئة التي تراها الان الا مدة نابليون الثالث امبراطور
الفرنسيس وان كان نابليون الاول ولويس فيليب وغيرها من قبلها
اشتروا كثيراً من البيوت وادخلوها ضمن السراي وصرفوا في ذلك
مبالغ جسيمة من المال

وفي تقسيم المدينة اعتبرت سراي اللوفر وسطاً وجميع طرق

البلد متصلة بها وتنتهي بالمحيط ولما قسموا المدينة جعلوها عشرين
 خطا وسموا كل خط باسم اشهر مكان فيه فالاول يسمى باللوفر
 لوجود سراية اللوفر به والثاني بالبرتينة والثالث بالتامبل اي المعبد
 والرابع بالمحافظة وهكذا

وبعد برهة وقفت العربية فنزلوا لدى مكان فطرق الانكليزي
 بابه ففتح البواب ودخلوا واذا بصاحب المنزل قابلم بالترحب
 وسار امامهم نحو ديوان عظيم متسع مفروش باحسن الفرش منقوش
 سقفه باحسن النقش وحائطه من كل جهة بالورق المنقوش
 بالذهب وفيه من عجائب الرسم وغرائب الصنعة ما يسر الناظر
 وارضه من خشب الجوز مفرغة في قوالب اشكال هندسية منتظمة
 وكان هناك ثلاثة من ارباب الجمعية الشرقية كلهم يتكلمون
 بالعربية وغيرها من اللغات الشرقية وكذلك صاحبة المنزل مع
 اثنتين من النساء الحسنات فلما قرب صاحب المنزل من المجلس
 عرف الحاضرين بدرجة الشيخ في المعارف وغزارة مادته في العلوم
 وفصاحته في العربية فقاموا له واجلوه واجلسوه وسطهم وانسوه
 وجلست صاحبة المنزل عن يمينه فصارت تحييه باحسن ما عندها
 من التحيات ويترجم احد الحاضرين للشيخ تحياتها وكان مطمح نظر
 الحاضرين الى برهان الدين لكونه كان اشد حياء من والده حسن
 السميت كثير الصمت فاعجب صاحبة المنزل اذبه وكاله فكان
 اغلب حديثها معه وكان الانكليزي قريبا منها فكان هو المترجم

لكلمها ولما حضر الطعام اجلسته عن يمينها والشيخ بينها وبين زوجها
ثم اخذوا يتناولون الطعام ويتجادبون اطراف الكلام ويتسألون
اسئلة اثناس حتى رفع الطعام فرجعوا الى الديوان ودار بينهم
الحديث في كل قديم وحديث بخصوص مصر وما احتوت عليه
من المحاسن قديما وفي هذا العصر وخصوبة ارضها واعندال قطرها
وصفاء هوائها ومن سكنها من القدماء والمحدثين ومن تصرف في
امرها من الاولين والآخرين وتداول الدول في الاواخر والاول
وما اعتورها كل زمن من المنح والمحن وكان من جملة الحاضرين
رجل قد ناهز السبعين عليه الوقار والجلالة معظم لدى الحاضرين
مسموع الكلام عندهم اجمعين طلق اللسان في اللغة العربية فظهر
للشيخ من كلامه انه مارس كثيرا من المعارف المشرقية لانه رأى
غالب كلامه اللغة العربية والفقه واشعار العرب ونوادير الادباء
ورآه حافظا لكثير من غرر القصائد ومنتخب كلام البلغاء يمزجها
بنوادير مستظرفات ويقارن بعض لطائف كلام العرب بما يقابلها
من كلام الافرنج فعجب الشيخ من ذلك كل العجب وطرب من
منادمته كل الطرب فطال بينهم الكلام وانفسح المقام ودخل معهم
الانكليزي والحاضرون اجمع منهم من تكلم ومنهم من سمع وخاضوا
بين جد وهزل ومفضول وذو فضل وحوادث البوادي والحواضر
في الغوابر والحواضر الى ان قرب الليل من الاتصاف وجاء
وان النوم فاستاذن الانكليزي وقام الشيخ والحاضرون وتواعدوا

بالاجتماع فقال ذلك الرجل للخوارج اني اريد ان اتشرف بك
 وبمحضرة الشيخ الليلة القابلة فاعذره له الشيخ ووعد بان يحضر الى
 منزله في الليلة التي تليها وانصرف كل مسرورا بما حصل له من
 الاثناس بمن رآه من امثال الناس وذهب عن قلب الشيخ ما داخله
 من الم الاغتراب وفراق وطنه والاحباب وشكر الانكليزي على
 حسن صنيعه به وعلى ما اسداه اليه من البر وتعرفه باحسن
 الناس فقال ياحضرة الشيخ هذا بعض ما يجب عليّ وغاية مناي
 اطئنان خاطركم وادخال السرور عليكم وقد علمت الليلة سرور
 من اجتمعنا به بمحضرتكم لاسيما الرجل الهرم فانه انجذب الى حكم
 بكليته فمن الواجب دوام الود بينكما وقد رجاني في ذلك وهذا لا
 باس بمعرفته فانه من مشاهير هذا الوقت علما وادبا ومن خيار هذه
 الامة حسبا ونسبا وله تأليف عديدة في علوم شتى ومعرفة بلغات
 متعددة فضلا عن كونه رئيس الجمعية المشرقية معدودا من علماء
 اروبا وامريكا ومن اعضاء جمعية الملة واني لارى ان معرفة مثل
 هذا اصل ينبنى عليه معرفة امراء البلد واكابرها

فقال الشيخ ومن لي بمثل هذا فاني استظرفت كلامه وعجبت

لجودة قريحته وذكاء فطته وتوقد ذهنه مع كبر سنه

فقال الانكليزي وكيف رايته في علومكم قال هو مع غلبة

العجبية عليه في النطق لبعض الالفاظ العربية ذو قدم راسخة في

العلوم وله اطلاع على كثير من كتب العرب وتضلع من علم

الادب ولا بد انه ساح في كثير من بلادنا ومارس فضلاء العباد
حتى تمكن مما تمكن

فقال الانكليزي نعم فانه حكى لي انه اقام بمصر مدة سنين
وتوجه الى الحجاز واقام بمدة مدة ثم سافر الى عراق العرب ونزل
بغداد وساح تلك البلاد ثم ذهب نحو عراق العجم وسكن تحت
ملك فارس وكل ذلك كان لطلب العلم فجنى منه ثمرات واقتطف
زهرات واما بلاد اوروبا فلم يترك منها بقعة الا وله فيها شهرة
وسمعة حتى جنى من ثمار معارف كل جهة احاسنها واقتطف من
ازهار كل فن اطايها وفي مدة تغربه حاز الفضائل من الافاضل
واكتسى الوقار من معاشر الامائل وستسبر غوره متى كثر الاجتماع
وتأكدت علائق الالفة



المسامرة السادسة والثمانون

تعدد الزوجات

ثم وصلا محل سكنها فحي كل صاحبه ودخل الشيخ غرفته فتوضأ وصلى صلاته وقرأ بعض ادعية ثم دخل فراشه ونام حتى الصباح فلما استيقظ من نومه دخل ولده عليه وجلس بجانبه بعد تقبيل يديه ثم قال له والده قد آنسنا اهل مجلس الليلة فانهم اذكيا ظرفاء واظن انك كنت في غاية الانس بصاحبة المنزل فاني ما رأيتها فارتك ولا رأيتك مللت حديثها وكنت احبانا تحديق النظر نحو صواحباتها وهن كذلك فغض برهان طرفه وتبسم واطرق راسه ولم يتكلم فقال له والده ما الذي دار عليه حديثكم لا بد ان

تخبرني بما جرى بينكم فقال سالتني صاحبة المنزل عن حال النساء
عندنا وعن والدتي واخوتي فاجبتها بما يليق ثم سألتني أمتزوج ام لا وهل
والدك معه غير امك ام لا فقلت لها اما انا فلم اتزوج واما والدي
فليس معه غير والدتي ولم يتزوج بغيرها فقالت وكيف ذلك مع
ان المشرقيين يحبون تعدد النساء فقلت لها كثير من المسلمين
لا يتزوجون بغير واحدة وليس التعدد محتما عليهم وانما قد تعرض
للانسان اسباب تلجئه الى ان يعدد نساءه والشرع عندنا لا يمنع الا
ما زاد عن اربع واما ملك اليمين فلا حظر فيه ولو كان ما كان
فضحكت احدى النساء متعجبة وقالت حيثئذ يمكن الغني ان يقتني
الوقا للتمتع بهن فقلت لها نعم فقالت حين ذاك لا يعرف لاحداهن
فضل عن غيرها فاي بلدة تصنع بنسائها هكذا وكيف تكون معيشة
النساء بها لا جرم انها عيشة غير مرضية ولا شك في ان نساءهم
لا ينقطع لهن زفير من الم الغيظ الكامن في انفسهن وان كل واحدة
انتهزت فرصة من الاخرى تفعلها بها لتحظى بزوجها او سيدها
دونها واطن انه اذا كان صاحب عائلة على هذا النسق لا يسر
خاطره ولا يروق ناظره ويقضي يومه وليلته في دعاويهن مع بعضهن
ومعه فتارة يكون خصما وتارة حكما وربما لا يأمن على نفسه وماله
من عائلته فالعجب كل العجب من هذا الاصطلاح الذي هو منشأ
الفساد في حياة الانسان وبعد موته فان ما يحصل بينه وبين

عائلته في حال حياته لا بد ان يحصل اشد منه بينهن وبين اولادهن
 بعد مماته خصوصاً عند قسم التركة أتظن ان هناك قانوناً للزواج
 احسن من القانون الذي عندنا فقلت لها ان احسن قانون واحقه
 قانون شريعتنا الغراء فانه قانون الخالق المدبر لامورنا المتكفل
 برزقنا وقد جاء به الانبياء المرسلون المطهرون المقربون عليهم
 الصلاة والسلام وكل ما جاء به الرسل يجب علينا السير بمقتضاه
 من غير زيادة فيه ولا نقص ومن خالف الشرع وتعدى عن حدوده
 استوجب الحد كما لو خالف افرنجي انجيل عيسى عليه السلام او
 يهودي توراة موسى فانه يعاقب على مقتضى شريعته ولا يسوغ
 لاحد ان يسير بمقتضى عقله ويترك ما وردت به الشريعة فان
 عقل الانسان محل للخطاء وايضاً ليس في النوع الانساني من هو
 اوفر عقلاً من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والله فيما نراه من الخلاف
 بين الشرائع عند التشريع حكمة خفية لا تدركها عقولنا ولو اطلعنا
 عليها لرجعنا الى الحق وتركنا ما سؤله الشيطان حتى وقع عند
 بعض العقول موقع قبول واستحسان واما اشتغال البال بالذي
 يحصل من منازعات الضرات فلا يحسن وجهها للتخسين والتقبيح
 فقد يكون هناك من له امرأة واحدة وهو منغص العيش من قبلها
 مشوش الفكر بسببها فكل نفس جعل الله لها من هموم الدنيا
 وحفظها نصيباً على قدرها وقد يحصل التوافق بين زوجات
 ويتنظم الحال ويحسن المال

فقالت الجميلة منهن البديعة بينهن ليس للانسان الا قلب
 واحد فلا يهوى غير شي واحد وكيف يقسم بين اثنتين فقلت لها
 دوام الحال من المحال فانه لو تعلق قلب الانسان بذات من
 الذوات والنفا اشد ما يكون من الالفه وتولع بها وهام فلا تثبت
 له هذه الصفة على الدوام بل متى انقضت مدة التعلق قصيرة
 كانت او طويلة وتخلي القلب عما علق به سكن غيره فيه واضن انا
 لو تأملنا لوجدنا هذه الحالة لدى كل الناس لا تخص جهة دون
 اخرى ولا خلقا دون اخرين ففي قانون شرعنا لو وجد الرجل
 بقلبه كراهة لزوجته يسوغ له فراقها وكذلك هي لها ان تشتري منه
 عصمتها او تطلب منه ان يفارقها ويتخلص كل من الم الكراهة واما
 عندكم فلا حيلة ولا خلاص لاحد الزوجين من صاحبه تحابا او
 تباغضا فتبسمت صاحبة المنزل من قولي وقالت لمن تحادثني قد
 الزمك المصري الحجة فحجبت ولم تكلم بعد ذلك وكان صاحبنا
 الانكليزي معنا وهو المترجم لي ولها عما دار بيننا من الحديث فكان
 يقوي حجتي فقد فهمت من كلامه ان قال لمن ان بقاع الارض
 مخالفة لبعضها في احوالها وكل امة سكنت بقعة منها كانت امور
 نظامها واحوالها على حسب ما تقتضيه حال بقعتها تبعا للنظام
 وتوافقا بين البقاع وما فيها من الحيوان والنبات والمياه والحجارة
 والبرودة والرطوبة واليبوسة وغير ذلك وايضا فان المقصود من

الزواج انما هو زيادة النوع الانساني فلو فرضنا انه جار في بلاد
 المشرق كجربانه في بلاد المغرب لحصل الخراب في ارض المشرق او
 العكس لما وسعت بلاد المغرب اهلها فان المولودين في اوروبا
 اكثرهم ذكور والمولودين في الشرق اكثرهم اناث فنسبة الاناث
 المولودين بارض المانيا مثلا الى الذكور المولودين بها كنسبة مائة
 واربعة الى مائة هذا وان كان من يموت هناك من الاناث صغيرا
 اكثر من يموت من الذكور فان العبرة في التعادل بمن بلغ سن
 البلوغ من النوعين واما زيادة الذكور عن الاناث في ارض فرنسا
 على العموم فهي جزوء من خمسة عشر جزءا بخلاف باريز فان زيادة
 المولودين الذكور عن الاناث بها جزوء من سبعة وعشرين جزءا
 وفي لوندرة نسبة المولودين الذكور الى الاناث كالنسبة بين عددي
 تسعة عشر وثمانية عشر وفي مدينة نابولي من بلاد ايطاليا كنسبة
 اثنين وعشرين الى واحد وعشرين وفي بلاد الفلنك وما جاورها
 كنسبة ثلاثة وعشرين الى اثنين وعشرين وليس ذلك مجرد قول
 بل كله ثابت بجميع نتائج تعداد هذه الجهات في نحو من مائة سنة
 فظهر من هذا ان الذكور ببلاد اوروبا اكثر من الاناث بخلاف
 ارض مصر وبلاد الثوبة وبلاد الشرق فقانون الطبيعة عندهم
 جار على عكس ما عندنا لان المولود من الاناث عندهم اكثر من
 الذكور بقدر ثمن عدد الذكور وهذه حكمة ابدية واردة ازلية وفي

بلاد الصين وياپونيا زيادة الاناث عن الذكور بقدر السدس
 وقانون الفناء جار تقريبا على هذا المنوال ففي اوروبا النسبة بين
 الاموات الذكور والاناث كالنسبة بين عددي سبعة وعشرين
 وخمسة وعشرين وفي مصر على مقتضى الجداول التي حررتها
 الافرنج تكون النسبة بين من يموت من النساء ومن الرجال
 كالنسبة بين عددي سبعة وعشرين الى عشرين فمعناه ان من
 يموت من النساء اكثر ولكنه غير مساو لكمية المولودين هذا مال ما
 فهمته من كلامه معهن ثم ضرب لي مثلا بمديرية المنيا وبني مزار
 فقال ان الملك الاشرف شعبان بن الملك الناصر محمد كان مسح
 قطر مصر كله وعد اهل المنيا وجميع قرى المديرية وكان ذلك
 سنة ثمانمائة وخمسة عشر فوجد اهالي تلك المديرية قريبا من العدد
 الذي وجدته الافرنج حين عدوا تلك المديرية فان رجال اهلها
 كانوا مدة الناصر تسعة عشر الفا وثمانمائة في ثلاث وثلاثين قرية
 وخمسة عشر الفا وسبعائة في ستة وستين كفرا والفين وثمانمائة
 وواحدا وعشرين في ثلاث وعشرين نزلة والفا وستائة وثلاثة وثلاثين
 في ثمانية وثلاثين نجعا فمجموع ذلك تسعة وثلاثون الفا واربعائة
 واربعة وخمسون رجلا ويجعل عدد النساء اكثر من عدد الرجال
 بقدر الثلث كما دلت على ذلك التجاريب يكون مجموع النساء اثنين
 وخمسين الفا وسبعائة وخمسين فيكون جميع اهالي المديرية من

الذكور والاناث مائة الف وثلاثة الاف نفس وثمانمائة وفي وقت
 الافرنج وجدوا اهالي المديرية المذكورة مائة الف واربعة الاف
 وستائة وخمسين نفسا فيكون الفرق ما بين مدة الملك الناصر
 وبين عدد الافرنج لهذه المديرية اي من سنة الف وثلثمائة وخمسة
 عشر الى الاف وسبعائة وثمان وتسعين نحو ثمانمائة نفس في ظرف
 اربعمائة وثلاث وثمانين سنة وهو شي يسير جدا لكن يلزم ان يلاحظ
 انه في تلك الاوقات كان ياتي الطاعون في كل اربع سنين مرة
 وفرار اناس كثيرين بسبب ما كان يحصل اذ ذاك من الجور
 والظلم هذا ما لاح بفكري وبناء على ما سبق يعلم سبب تعدد النسا
 في بلاد المشرق دون بلاد المغرب وارجو ان اسمع من جنابكم ما
 عندكم في هذه المسئلة

فقال الشيخ لا شبهة في ان القوانين العامة التي يراد بقاؤها
 على مرور الازمان يجب ان تكون ملحوظة الاصول والفروع
 بلواحق الاستحسان وان تكون مربوطة بعقل صحيحة واغراض
 حميدة يفهمها كل احد ويرى ان لا سداد لاعماله وحسن حاله
 وماله الا بالركون اليها والتعويل عليها سواء كان القانون من
 الفيض الالهي الذي لا يكون مسبوقا باجالة فكر وتدقيق نظر
 وهو المسمى وحيا والهاما وحميلته الانبياء والرسل وتسمى تلك القوانين
 باسم الشريعة والدين او كان القانون باجالة الفكر وتدقيق النظر
 ومقارنة الاحوال وموازنة العواقب فما كان منها اسهل مسلكا واعلى

غاية وأبعد من شوائب الفساد وأقرب الى الضبط واجمع للخير
انحط عليه الاختيار وتطابقت فيه الآراء واصحاب اولئك القوانين
يسمون باسم الحكماء وقوانينهم تسمى الحكمة العملية . وهي قسمة الحكمة
العملية والحكمة العلمية منقسمة الى اربعة اقسام القسم الاول سياسة
الشخص نفسه وهذا القسم هو المسمى بين اهل الاسلام بعلم الاخلاق
والتصوف الظاهر وقد وضع علماء المسلمين فيه كتابا حجة كقوت
القلوب لابي طالب المكي ونصف احباء العلوم لمحجة الاسلام الغزالي
(ويشرح في هذا العلم ما جبل عليه الانسان من القوى واثارها
وتقسيمها الى اصول وفروع فيبين مثلا ان الانسان ذو قوة غضبية
هو من جهتها سبع وقوة شهوية هو من جهتها بهيمة وقوة عاقلة
هو من جهتها ملك من الملائكة وروح من الارواح المقدسة وان
لكل من القوى توابع هي لها بمنزلة الخدم والعمال والقوة العاقلة هي
السلطان الاكبر وانه يلزم الانسان ان يكون تصرف قواه تحت
اوامر القوة العاقلة ونواهيها) القسم الثاني سياسة المنزل بان يعرف
ما للمنزل وعليه من الحقوق وما لاهله من الوظائف اللائقة
باشخاصه فيسلم لكل شخص وظيفته بعد ايقافه على حدودها واعمالها
وغاياتها القسم الثالث سياسة المدينة وهو كالقسم الذي قبله وغاية
الامر ان المدينة منزل اكبر القسم الرابع سياسة القطر وبالتامل
يعلم ان جميع السياسات مرتبطة ببعضها ارتباطا متينا كما هو من مقتضى
النظام الفطري الذي عليه مجموع العالم ازمته وامكنة اذ لا ريبه

في ان العالم شخص واحد ذوا أعضاء وإذا تمهد هذا علمت انه
يجب في كل قانون شرعا كان او غيره ان ينظر الى علله التي
اسس عليها وغاياته التي يرشد اليها فانها المحافظة له الموجبة لبقائه
الممكنة له من القلوب فان مدار امر الحي على ما يحفظ به حياته اصلا
وتوابع فكل امر له دخل في ذلك فهو محبوب مطلوب وكل امر
اوجب فيه نوعا من الفساد فهو مبغوض غير انه اذا نظر في احكام
المصالح العامة وتأييدها وتمتين قواها كانت المصالح الخاصة تابعة لها
جارية على منهاجها ومتى كان النظر مقصورا على المصالح الخاصة
نجم الفساد واستحكم ولم يتم امر مصلحة لما يكون في الاستئثار من
المباغضة والمشاحنة ومن الامور العظيمة التي يجب مراعاتها والمحافظة
عليها بقانون منتظم امر اجتماع الذكور بالاناث فانه مع كونه مانعا
من لحوق ما ينشاء عن الامتلاء فهو السبب في بقاء النوع وتكثيره
وللانسان بين طبيعته التي يشارك بها سائر الحيوان واسطة تميز
بها عنه وهي العقل فهو لا يسعى في تحصيل مقتضيات طبعه الا
تبعاً للاحكام العقلية ولما لم تكن الانظار العقلية والطباع الفطرية
كافية في ذلك من الله علينا بان ارسل لنا انبياء تلقينا منهم ما لا
تفي به الانظار العقلية فكان من شريعة موسى عليه السلام ان يجمع
الرجل في عصمته ما شاء من النساء فلما جاءت شريعة عيسى عليه
السلام نسخت ذلك واوجبت الاقتصار على واحدة وتوسطت
الشريعة المحمدية كما هو شأنها في كثير من الاحكام فاجازت

العدد الى الاربع ومنعت ما وراء ذلك كما اجازت فراق واحدة
واحياز اخرى وحيث كانت الشريعة المحمدية مبنية على العدل
والاحسان واجتناب انواع الظلم والعدوان وكسر عادية القوى
السبعية والبهيمية وقد امرنا باتباعها والاهتداء بانوارها لم يكن امر
تعدد النساء محذورا الا في الحال ولا في المال فانه اذا نظر لبقاء
النوع وتكثيره كما هو المأمور به في قوله صلى الله عليه وسلم تناكحوا
تناسلوا تكثروا كان التعدد اعون على ذلك الغرض وانجح وان
نظر الى المساعدة والمعونة فالكثرة مع الائتلاف واتحاد الغرض
خير من عدمها ولا نظر في الدين لمجرد الشهوات اذ لو نظر لها
لوجدنا ان المرأة الواحدة تعجز كثيرا من الرجال واذا كانت النساء
في بقعة اكثر من رجالها والضرورة داعية الى توزيعهن فتعدد
الزوجات لازم غير ان استحكام الجهالة والغاء مدارس الديانة وترك
بناء الاعمال على احكامها واتقطاع المواعظ المحسنة النافعة المفيدة
بين الرجال والنساء تولد منه العود الى مقتضيات الطباع من
الغيرة والحاسدة وحب الاستئثار والاسترسال مع الشهوات
والدخول في الامور من غير تقدير للحاجة ونظر للعاقبة فاخزل
قانون الازدواج ولحمته الفساد وقامت المشاقة فخلاصة القول ان
جميع الاشيا حسنها وقبحها ومدحها وذمها تابعة لكيفياتها وتناجها
فما ظابت كفيته وعظمت نتيجته لم يخلف احد في حسنه . اه .

المحاضرة السابعة والثمانون
التعداد او الاحصاء

ثم دخل الانكليزي والشيخ يلقي لابنه هذا الكلام فانتقل
الحديث بهم الى مسألة تعداد اهل الارض وذكر ما في ذلك من
الفوائد السياسية وبيان ما وضع له من التقريرات فكان من
الانكليزي ان قال لو قلنا مثلا ان النسبة بين الموجودين بارض
فرنسا وبين المولودين بها في السنة الواحدة كالنسبة بين عددي
واحد وواحد وثلاثين فهم منه معرفة جميع اهل فرنسا تقريبا بضرب
عدد المولودين في عدد واحد وثلاثين ومثل ذلك ما لو قدرنا
ان النسبة بين اهالي جهة من المانيا والجهات الشمالية وبين
المولودين بها كالنسبة بين عددي واحد وتسعة وعشرين وثلاث
والقصد من ذلك معرفة عدد الامة على سبيل التقريب وهذا لا

باس به بل قد يجب على الحكام لينبوا عليه مقاصدهم في اصلاح
 حال رعاياهم وهذا علم نفيس معتنى به عند الامم الأوروروباوية وله
 فوائد عندهم منها معرفة من بقي من ولد في يوم واحد مثلا بعد
 مضي عدد من السنين ولهم في ذلك جداول يذكرون فيها ان
 بعد سنتين الأ ربع سنة يموت ربع من ولد في اولها ويبقى الثلاثة
 الارباع وبعد اربع سنين الا شهر يبقى ثلاثة اخماس فقط وبعد تسع
 يبقى ثلاثة اضعاف وبعد عشرين سنة الى الثلاثين النصف وبعد
 خمس وثلاثين الى اربعين يكون الباقي خمسين وبعد الاربعين
 يبقى الثلث وبعد مضي خمس وخمسين سنة لا يبقى الا الربع ثم بعد
 سبع وستين يكون الباقي ثلاثة اجزاء من عشرين جزءا من الاصل
 ومتى بلغ العمر سبعا وسبعين سنة يكون الباقي جزءا من ثمانية عشر
 جزءا من الاصل وبعد مضي خمس وثمانين سنة يكون الباقي اثني
 عشر جزءا من الف جزء من الاصل وبعد اربع وتسعين سنة
 يكون الباقي ثلاثة اجزاء من الف جزء وبعد مائة وخمس سنين
 وثلاثة ارباع السنة يكون الباقي جزءا من مائة الف جزء ومتى
 بلغ العمر مائة سنة وتسع سنين يكون الباقي جزءا واحدا من الف
 الف جزء من الاصل اي انه لو فرض ان الاصل كان المولود
 في يوم واحد الف الف لا يبقى منهم بعد هذه المدة الا واحد عمره
 مائة سنة وتسع سنين

فبهذه الوسائل تكون افكار الحكام تابعة لسير الامة في جميع

تنقلاتها وحركاتها نحو السعادة والفقر والقوة والضعف والكثرة
والقلة فعلى مقتضى ما يروونه ينحون نحو ما فيه الاصلاح
فقال الشيخ من المعلوم ان الافرنج لم يقيموا بمصر غير ثلاث
سنين وهم في قتال دائم فكيف تفحصوا هذا التفحص واستكشفوا هذا
الاستكشاف مع انها بقيت في يد غيرهم اعواماً وقرونا ولم يحدثوا من
ذلك شيئاً

فقال الانكليزي لا غرابة في ذلك فان الاعمال تابعة للنيات
فمن سبق على الافرنج كان لا يشغله عن شان نفسه شأن وما كان
يحصل عليه كان كافياً لما يلزمه واما الافرنج فكانت نيتهم غير نية
من سبقهم وباختلاف الاغراض تختلف الاعمال انظر الى المرحوم
محمد علي باشا حين وليها بعد الافرنج فاحدث فيها اموراً عجيبية
وجلب اليها من البلاد الاجنبية كل صنعة غريبة ثم تبعه في ذلك
من بعده ممن ورثها من ولده فتراها بعد ان كانت في زوايا النسيان
مهجورة العمران لا ذكر لها بين الامصار قد كساها التمدن حلل
الفخار فقصدتها العاقون من كل واد وغلت مزارعها واضحت نزهة
للناظرين وبساتينها عقود حمان رصعت بالدر الثمين وما من سنة
تأتي الا ويستجد بها من المنافع ما يفوت الحصر من فوائد جديدة
ومحاسن عديدة والمغارس تزداد والثمار تنمو وبعد ان كان
كثير من ارض الزراعة بها قد استحوذ عليه العدم وصار لا ينبت
من طفو ماء البحر الملح عليه او تغطية الرمال له حصل الالتفات

في مدته ومدة اولاده فصلح اكثرها وزرع وظهرت الثمرة لاهلها وقد كان بالجهات البحرية من مصر منافع مياه متسعة وبها كثير من الحشائش فكانت بطول مكث الحشائش وركود الماء يحصل منها تعفن وامراض يترتب عليها تلف للاهالي فصارت الان لا يرى لها اثر وتبدلت حشائشها بالزراعات النافعة كالارز والقطن والحنطة وغير ذلك

فقال الشيخ ان ذلك متوقف على العلم بما كان عامراً وغامراً بمصر قديماً فلو عرفنا ذلك امكن الحكم بتفضيل احد الحالين وتفاوت ما بين الزمانين فان من المؤرخين كابن اياس من يقول ان المنزرع من ارض مصر زمن المسعودي اعني في حدود القرن الرابع كان مائة وثمانين الف الف فدان ويبلغنا الان عن بعض صيارفة البلاد ان جميع المنزرع من ارض مصر ما بين الاربعة الاف الف والخمسة الاف الف فتكون نسبة ما بين الزمانين كنسبة واحد الى ستة وثلاثين او خمسة واربعين ولا اظن ان هذا الفرق كان يزرع ثم هجر فلعل في عبارة ابن اياس تحريفاً والاف هو خطأ والذي يؤيد ذلك قوله ان في ذاك الوقت كان لا يجبي الخراج على بكرة ابيه الا اذا بلغ عدد من يشتغل بالزراعة اربعمائة وثمانين الف نفس في جهات القطر مع ان الموجود حين التعداد الذي صار في زمنه ليس الا مائة وعشرون الف نفس وكان المنزرع اذ ذاك ربع الزمام فان اراد الفدان المصطلح عليه

خص كل شخص من المائة والعشرين ثلاثمائة وخمسة وسبعون فداناً ولا يعقل زراعة هذا القدر بشخص واحد وإن أراد بالفدان أقل من الذي نستعمله كالقيراط مثلاً فيخص كل شخص من المائة والعشرين ألف نفس حينئذ خمسة عشر فداناً فيكون القدر الذي أراد وضعه ألف ألف فدان وستائة ألف فدان وليس مائة وثمانين ألف ألف فدان وإذا كان للشخص الواحد خمسة عشر فداناً لا يبعد عليه زراعتها وما يدل على أن في عبارة ابن أبياس تحريفاً أو خطأ ما ذكره في موضع آخر عن المسعودي أيضاً من أن مساحة أرض الزراعة جميعها بالقطر المصري مسير ستين يوماً فإن كان قصده سعة طولها وعرضها ستين بسير الإنسان فالمساحة الذاتية الآن لا توافق المساحة الأولى أصلاً والذي يغلب على ظني غلبة تقرب من اليقين أن الأصل ألف ألف وثمانمائة ألف فدان وإن الناسخ لكتاب ابن أبياس أضاف صفرًا فحصل منه هذا الخطأ الفاحش

فقال صاحبه الأنكليزي قد قلت صواباً فإن المساحة التي صارت مدة الأفرنج ومن قبلهم توافق ما ذكرت فقد صار حصر جميع الأرض المضروب عليها الخراج في جميع الجهات وتحريها قوائم من طرف صيارف الجهات فوجدت ثلاثة آلاف ألف فدان ومائة وثلاثة وستين ألف فدان وستائة وثمانية عشر فداناً وقوبل ذلك على ما استنبطه مهرة المهندسين وحرروه من رسم الأرض وهو

ثلاثة آلاف الف ومئتان وسبعة عشر الف فدان وستائة وسبعة
عشر فدانا فوجد بينهما فرق قليل نشأ من اختلاف طرق الحساب
بين مساحي الاهالي والمهندسين وحيث ذكر هذا المقدار اعتباره صحيح
لا شك فيه فانه موافق لما وجد في دفاتر المساحة زمن الملك
الناصر سنة ٧١٥ هجرية الموافقة لسنة ١٣١٥ ميلادية وهو ثلاثة
الاف الف ومائة واثنان وسبعون الف فدان ومائة وستة
وثلاثون فدانا ولا عبرة بما بينهما من الفرق لانه ناشئ من اختلاف
طرق الحساب والقياس

ثم قال ولا يخفى على حضرتكم ما حصل في القطر المصري
بعد زوال ملك الفراعنة واستيلاء الاغراب عليها من الاسباب
التي اوجبت تاخيرها وعدم انتظام حالها ونشأ من ذلك تلف
كثير للارض بتركها واهالها وفرار اهلها حتى خرب كثير من
البلاد فمن ذلك يعلم ان ما وجده الافرنج مزروعا بوادي مصر
ليس جميع ما كان يزرع في الازمان السابقة بل لا بد من اضافة
ما كان قابلاً للزراعة ولم يزرع في ايامهم وكذلك الترع والجسور
التي انشئت وارض البلاد التي استجدت وما اتلفه البحر المالح بعد
تلف الجسور وترك المحافظة وضمه الى ما كان يزرع زمن الفراعنة
وهذا الامر لا صعوبة فيه من بعد ما حرره من الرسوم وقد امكن
بسببه معرفة مساحة القطر وما اشتمل عليه بغاية الدقة كالمبين
ادناه

| | فدان |
|---------------------------------|----------------|
| ارض مشغولة بالسكن | ٧٣٠٠٥٨ |
| مساحة المنزرع والقابل للزراعة | ٢٢١٦٧١ |
| غير الصالح للزراعة | ٧٤٩١٤٠ |
| جزائر النيل | ٢٦٦١٣ |
| ترع وخطجان وجسور | ١٢٠٥٦٣ |
| اماكن السكن والخراب | ١٦٣١٦ |
| مساحة مجرى النيل المشغول بالماء | ١٥٨٩٤١ |
| البحائر والبرك | ٩٤٢٨١٠ |
| الارض الرملية | ٢٢٧١٣٤ |
| جملة ذلك | <u>٥٥٢٤٢٥٠</u> |

اي خمسة الاف الف فدان وخمسمائة واربعه وعشرون الفا
 ومائتان وخمسون فدانا من الفدان الذي مساحته خمسة الاف
 وتسعمائة وتسعة وعشرون متراً مربعاً وهذا القدر يعادل من
 الفرائخ المربعة التي كل فرسخ منها يدخل في الدرجة الارضية خمسا
 وعشرين مرة الفا وستمائة وثلاثة وستين فرسخاً مربعاً وثلاثي فرسخ
 تقريباً والمزروع من ذلك يعادل تسعمائة وخمسة وستين فرسخاً
 مربعاً ونصفاً فان اضيف الى ذلك
 مساحة الخرس وهي ٢٢٤٨٧

| | |
|------------------------------------|--------|
| ومساحة الجزائر المتروكة وهي | ١٠٠٩٩ |
| ومساحة ما عدم من الجسور والترع وهي | ٨٣٩٠ |
| ومساحة التلال والخراب وهي | ٢٦٨٢ |
| ومساحة الرمال من ارض الزراعة وهي | ٦٨١٨ |
| ومساحة ما تلف بسبب البرك وهي | ٢٣٠٠٠ |
| ومساحة ما غطته الرمال وهي | ٤٩٠ |
| | <hr/> |
| كان المجموع | ٢٢٠٠٦١ |

اي ان الذي كان يظن زرعه في عهد الفراعنة الفان ومائتان فرسخ مربع تقريباً منها في الوجه القبلي الف وخمسمائة فرسخ وفي الوجه البحري سبعمائة فرسخ والمتفجع به من ذلك الان قريب من الفين وخمسمائة فرسخ مربع والمتروك مع امكان زرعه وانتفاع الاهالي به عند قدرتهم وثروتهم سبعمائة فرسخ مربع وهذا موافق لقول ابن اياس بعد التصليح الذي ذكرنا وذلك انا اذا ضربنا المنزرع في وقته وكان قدر ربع ما كان يزرع قديماً في اربعة يحصل سبعة الاف الف فدان ومائتا الف فدان وهو عبارة عن الفين ومائة وخمسة وخمسين فرسخاً مربعاً والفرق بينه وبين ما قدرته الافرنج قليل جداً فبناء على ما ذكرنا يكون ما يزرع في الايام السابقة قريباً من سبعة الاف الف فدان وما كان يزرع مدة الافرنج اقل من النصف وكذا ما كان يزرع مدة الملك الناصر

فقال الشيخ اذا كان ما يزرع الان نحو خمسة الاف الف فدان
فيكون قد زاد عما كان يزرع ايام الفرنج نحو الثلث وهذا مما
يفيد التقدم بلا شك

فقال صاحبه الانكليزي حصول التقدم بمصر امر غير منكر
وارض مصر قابلة لان يزرع بها ضعف ذلك واكثر واذا التفت
الى قطر مصر امكن ان يزرع به كل ما كان يزرع سابقا وان
يرجع ما كان له من الثروة القديمة والذي يغلب على ظني ان في
هذا التقدير خطأ فان قدر الفدان المستعمل في جباية الاموال
الان سبعة عشر قيراطا من الفدان الذي كانت الافرنج قدرته بمعنى
انه ثلث وربع الفدان القديم واذا لاحظنا ذلك وجدنا ان الخمسة
الف الف هي الثلاثة الاف الف وخمسمائة وثلاثة وستون الف
فدان ومائة وثلاثون فدانا فيكون الفرق عن مدة الافرنج ثلاثمائة
واربعة وخمسين الف فدان فقط وهذه نتيجة اعظم من النتيجة
الحاصلة من ابتداء الملك الناصر الى دخول الافرنج وهذه مدة
تقرب من اربعمائة وثلاث وثمانين سنة حصل فيها نقص ثمانية
الف فدان وخمسمائة وثمانية عشر فدانا باعتبار المقرر في قوائم
الصيارف ودفاتر الخراج

وعمار قطر مصر ليس الا بتقدم الزراعة فكلمها حصل زيادة
الالتفات الى الزراعة واتسعت ارضها زاد تعداد اهالي القطر وكلمها
حصل اهمال في الزراعة وضاقت ارضها نقص التعداد ففي الازمان

السابقة كان تعداد الاهالي كثيرا جدا لان الفراغنة كان لهم اعناء
 بامر الزراعة وقد بلغ عدد الاهالي في زمنهم الى مقدار عظيم وان لم
 تنفق المؤرخون على قدر معين فان هيردوت وهو اقدمهم قال انه
 كان بمصر في وقت امزيس نحو عشرين الف مدينة وقرية وفي
 زمن بطليموس وديودور الصقلي اقتصر على ثمانية عشر الفا وجعل
 عدد الاهالي سبعة الاف الف نفس في زمن الفراغنة وفي زمنه
 نقص الى ثلاثة الاف الف وكانت جيوش الفراغنة الف
 الف نفس وعدد العساكر التي ساقها سيزوستريس من مصر في
 محارباتها ستائة الف من المشاة واربعة وعشرون الفا من الخيالة
 خلاف سبعة وعشرين الف عربية حربية وبتوكريت فاق الجميع
 وجعل العدد ثلاثة وثلاثين الفا في زمن بطليموس فيلدولغوس
 وغيرهم قدر ان تعداد المدن ثلاثة عشر الفا فقط ومن قول يوسف
 الاسرائيلي يؤخذ انه لم يتعد تعداد الاهالي في قطر مصر عن سبعة
 الاف الف خلاف الاسكندرية التي جعل عدد اهاليها ثلاثمائة
 الف وقال انه كان في مدينة بيلوز عساكر للحفاظ على القطر من
 جهات الشرق يبلغ عددهم مائتين وخمسين الفا

ومؤرخو هذا الوقت لم يكتفوا في عدد المصريين بمبالغة من
 سبقهم من المؤرخين الذين ذكرناهم بل زادوا عليهم بما لا يتصوره
 العقل فمنهم من قال ان عدد الاهالي سبعة عشر الف الف ومنهم
 من قال سبعة وعشرون الف الف ومنهم من قال اربعون الف

الف ومبالغة الجميع ظاهرة لانه لا يتصور في بلدة نسبتها الى
فرنسا كنسبة جزء الى اثني عشر جزءا ان يعيش بها هذا القدر
ونحن وان كنا لا ننكر كثرة اهالي مصر مدة الفراغة لكن
لا يمكننا ان نقول انهم يزيدون عن سبعة الاف الف فان سعة
ارض القطر حسب ما قدره الاقدمون الفان ومائتا فرسخ وهذا
موافق ايضا لما هو الان ولتقدير الافرنج بعد رسمهم سطح الارض
جميعه ومن القدر هذا مدينة طيبة ومنفيس وباقي المدن وهو مع
وروده عن اقدم المؤرخين الذين ساحوا ارض مصر في زمن
يقرب من الزمن الذي زال فيه ملك اهليا وانحط فيه مقدارها
مناسب لسعة ارضها الزراعية التي بها حياتهم وما قاله بعض
المؤرخين يمكن ان نبرهن عليه ولا مانع من انه كان الموجود بها
ثمانية الاف مدينة وقرية وكفر كما قال بعضهم لا كما قال ديودور
من انه كان بها ثمانية عشر الف مدينة لان في الجزء الاخير من
البطالسة كان عدد القرى والكفور والمدن ثلاثة الاف وكانت
ارض الزراعة اقل من نصف ما كان يزرع سابقا ولا مانع من
ان عدد البلاد كان قدر ذلك مرتين ايام كانت القواين العديلة
القديمة هي المتسلطة وذلك قبل دخول الاغراب من العجم واليونان
وغيرهم هذا القطر وخراب ارضه وهدم بنائه

فقال الشيخ اني سمعت ان مدينة طيبة كانت اكبر مدن
الدنيا عمارا وانها كان لها مائة باب كل باب يسع مائتي فارس

فاذا كان كذلك فلا شك انها تشغل سعة من الارض عظيمة
وانها كانت مسكونة بمخلق يزيدون عن ساكني القاهرة الآن بمرار
كثيرة

فقال الانكليزي ولوان ايدي الزمان وصروف الحداث
غيرت معالمها ودرست رسومها واعفت مبانيها واخذت على مفاخرها
الآن ما بقي الا من اثارها دال على ان شكل المدينة في الزمن
القديم كان عبارة عن اربعة اضلاع عظيمة الامتداد وان احدى
الزوايا تنتهي الى المحل المعروف الان بكفر جرجس والثانية الى
الشاطي الامين للنيل والثالثة الى شاطئه الايسر وتسمى الان تل الايسر
عند تل قبور الملوك والزاوية الرابعة الى المعبد او البرني الصغيرة
الموجودة على الميدان الكبير فكان بناء على ذلك بمر الضلع البحري
بالقرية المعروفة بالتخاني وبجزيرة الورزية وينتهي قريب القرية
والضلع القبلي كان بمر في قرينه مائة عمود قاطعا للجزيرة الجديدة
وخراب الكريك كان يوجد على بعد سبعمائة متر من الضلع الجنوبي
ومساحة الارض المحدودة بهذه الحدود تقرب من سبعة الاف
فدان مصرية

وطول اعظم قطر في هذه الاربعة الاضلاع احد عشر الف
متر ومحيطه ستة وعشرون الف متر فاذا استنزل من ذلك مساحة
مجرى النهر وهي خمسمائة فدان تقريبا مع مساحة الميدان الكبير
وخراب السراي الملوكية الموجودة في جنوب الاقصر على بعد ثلاثة

الاف متر كان الباقي ما كان مسكونا من هذه المدينة في الازمان
السابقة وقدره خمسة عشر الف اورور او خمسة الاف فدان مصرية
كبيرة

واذا قارنا تخت مصر القديم بتختها الان وهو القاهرة فلا يكون
اهل طيبة في الزمن السالف اقل من سبعمائة الف نفس لان
محيط القاهرة ثلاثة عشر الف متر وخمسمائة متر بدون اعتبار
الاعوجاج الداخل والخارج وباعتباره يبلغ محيطها اربعة وعشرين
الف متر ومساحتها الفا وخمسمائة وثمانين فدانا تقريبا وهو ربع
مساحة ارض باريز وعدد اهلها بالتفحصات التي صارت مدة الافرنج
يقرب من مائتين وستين الفا وذلك سنة الف وسبعمائة وثمان
وتسعين ميلادية فعلى ذلك يكون قد خص الفدان الواحد مائة
واربعة وستون شخصا بادخال ارض المساجد والخانات والميادين
 وغيرها وقياسا على ذلك تكون اهل طيبة ثمانمائة وعشرين الف
نفس او سبعمائة الف بالاقل وما تقدم يعلم ان اهل القطر المصري
كانوا كثيرين ولذلك كانت اشجار الثروة والرفاهية باسقة
الاصول مورقة الافنان وكانت ارضها لما اشتملت عليه من البر
والاحسان هي المشار اليها باطراف البنان وكانت ارباب الحاجات
ما بين قاصد لها وآت وكانت وفود التجار ياتونها ليلا ونهارا
وثمرات العلوم تجني من مدارسها بواسطة ما بها من العلماء واستمر
ذلك اياما مديدة واعواما عديدة حتى دخلها الفرس وبددوا شملها

فحلت باهلها المصائب واحاط بهم الظلم من كل جانب فاختل نظام
 احوالهم القديمة وذلت علماءهم واحقروا فرجع بسعدهم التهقري
 وفارقت زراعتهم ارضها ومن كثرة الفتن الثائرة بين المصريين
 والفرس تلف اكثر الاثار الشهيرة وهدمت المباني الفاخرة ثم استولى
 على الاقليم البطالسة فاخذوا في رد كل شي لاصله لكن لم يتم
 ذلك فانه ان كان يحصل من بعضهم ما يوجب التقدم بحجى
 الوارث فيفعل ما يوجب التاخر فبقيت حالة التاخير الى ان
 استولت الروم وضمت مصر الى ملك القياصرة وجعلت طعمة لرومة
 فنهبوا اموالها وغيروا احوالها ثم وقع الفشل بين الرومانيين وبعضهم
 فزاد انحطاط قدر مصر وذهب ما بقي من فضلها وما زال اهلها
 كذلك يتناقصون الى ان تولى عليها عمرو ابن العاص من قبل
 الخليفة عمر بن الخطاب فكان تعداد اهلها حينئذ لا يزيد عن اربعة
 الاف الف وستائة وثلاثين الف نفس بناء على ما ذكره المورخون
 فقد نقل ابو الحسن عن ابن خنيزار انه ضرب على اهل مصر
 خمسين الف الف يدفعونها على ثلاثة اقساط متساوية اذا كان
 النبل وافيا وبلغ حده المعلوم واذا نقص عن حده ينقص من
 المضروب عليهم على حسبه ومن يرضى من الروم وغيرهم بالشروط
 المعقودة مع اهل مصر يعامل بما يعاملون به ومن يابى من الاهالي
 دفعها اسقطوه من العدد فلو امكن معرفة ما دفعته المصريون
 وما ربط على كل نفر لم يصعب معرفة عدد الاهالي ويتوصل

لذلك ما ذكره مؤرخو العرب في هذا الخصوص
 فمن قول ابن عبد الحكم يعلم ان في مدة الروم كانت الارض
 منقسمة الى اربعة وعشرين قيراطا وكان المجمعول على الفدان من
 الخراج ارب قمع وويتان من الشعير

وهذا غير فردة الرؤس فانها كانت تدفع نقدا وان عمرو بن
 العاص ابني الخراج على ما كان عليه في مدة الروم

وذكر القدوري انه جعل على كل غني في كل سنة ثمانية
 واربعين درهما وعلى كل اجير اثني عشر درهما وانها كانت مضروبة
 على اليهود والنصارى ما عدا عبدة الاوثان من العرب دون
 المرتدين والنساء والاطفال وذوي العاهات والفقراء والمساكين
 ومن يدخل في دين الاسلام وعلى هذا كانت الجزية اخذة في النقص
 بزيادة من يتدين بدين الاسلام الى ان اعطيت التزاما في زمن
 القاضي الفاضل ابي سنة ٥٨٧ وكان مقدارها اذ ذاك واحداً
 وثلاثين الف دينار ثم نقصت بعد ذلك كثيراً الى ان صارت
 سنة ٨١٠ احد عشر الف دينار واربعمائة

مع انها كانت في زمن عمرو بن العاص اثني عشر الف الف
 دينار وفي زمن المقوقس عشرين الف الف

وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حصل
 عبد الله بن سعيد عامله من مصر اربعة عشر الف الف
 وفي زمن المقرئ تقصت نقصاً كلياً فكانت تدفع منفردة تارة

وتضم الى الخراج اخرى وكانت في زمن عمرو بن العاص لا تؤخذ
 الا من بلغ الحلم وكانت النساء والاطفال معافاة منها وكان قدرها
 اربعين درهما من الفضة او عشرة دنانير خلاف اردب من البر
 ويؤخذ من قول يزيد وابي الحسن ان الذي كان مضروباً على
 كل رجل من القبط ديناران ولا بد ان هذا كان الحد الوسط
 يعني ان البعض كان مضروباً عليه اربعة والبعض ثلاثة والبعض
 اثنان والبعض اقل كما صار ذلك في توزيع ما ضربته الافرنج على
 اهالي القاهرة سنة ١٧٩٨ ميلادية فقد ضربوا عليهم تسعين الف
 حصة جعلوا منها تسعة الاف على الاغنياء قيمة الحصة اربعمائة
 واربعون ميدياً وثمانى عشر الف حصة على من يلهم في الثروة
 قيمة الواحدة مائتان وعشرون ميدياً وثلاثة وستون الف حصة
 على من يلهم كل حصة قيمتها مائة ميدي وعشرة والنسبة بين
 هذه الحصص كالنسبة التي كانت في زمن القدوري
 والذي يدل على ان الدينارين الحد الوسط ما نقله المقرئ
 عن حسين بن شالي في الكلام على القرن الاول من الهجرة من
 ان اهل اسكندرية كانوا ستمائة الف خلاف النساء والاطفال
 حين استيلاء عمرو بن العاص عليها وانه ضرب على كل رجل
 من اهل القطر دينارين الا اهل الاسكندرية فانهم دفعوا الفردة
 زيادة عن الخراج لانها اخذت عنوة فمن جميع ما تقدم يفهم ان
 الخمسين الف الف التي ضربت على اهالي القطر هي دراهم

ولا بد لنا الان من معرفة قيمة الدينار لانه تغير بتغير الازمان
فانه كان مدة الحياكم بامر الله يساوي اربعة وثلاثين درهما وبعده
بزمان صار يساوي واحداً وثلاثين ثم ستة وثلاثين ثم ثمانية عشر
درهما وكان الدينار المصري يساوي خمسة عشر درهما ونصفا ثم
صار يساوي ثلاثة عشر درهما ونصفا وفي الصدر الاول كان
الغالب في المعاملة الدينار ثم صارت الغلبة للدرهم ثم الميدي فلو
فرض ان قيمة الدينار كانت خمسة عشر درهما لكان مبلغ الخمسين
الف درهم عبارة عن ثلاثة الاف الف دينار وثلاثمائة وثلاثة
وثلاثين الف دينار فاذا اخذنا نصف ذلك كان عدد الرجال
الذين كانوا يدفعون الجزية ابي الف الف نفس وستمائة وستة
وستون الف نفس وقد يمكن معرفة عدد الاطفال وغيرهم من
جدول وضعوه لامة مركبة من عشرة الاف الف نفس مثلا ومن
هذا الجدول يعلم ان بعد احدى عشرة سنة ونصف لا يبقى الا
ثلاثة ارباع الاصل ونصف سدس قيراط

وبعد ست عشرة سنة يكون الباقي ستة عشر قيراطا وثلاث

سدس قيراط

وبعد عشرين سنة يكون الباقي اربعة عشر قيراطا ونصفا

وبعد خمس وعشرين سنة يكون الباقي اثني عشر قيراطا وثلاثا

وبعد ثلاثين سنة يكون الباقي عشرة قيراط ونصفا

وبعد سبع وثلاثين سنة يكون الباقي ثمانية قراريط ونصف
سدس القيراط

وبعد ثلاث واربعين سنة ونصف يكون الباقي ستة قراريط
وبعد خمس واربعين يكون الباقي خمسة قراريط وثلاثي
قيراط

وبعد ثمان واربعين سنة يكون الباقي اربعة قراريط الآ
سدس سدس القيراط

وبعد ٥١ سنة يكون الباقي اربعة قراريط الا سدس سدس
القيراط

وبعد خمس وخمسين سنة ونصف يكون الباقي ثلاثة قراريط
وبعد ثمان وخمسين سنة ونصف يكون الباقي قيراطين وثلاثا
وبعد ستين سنة ونصف يكون الباقي قيراطين وربع سدس
قيراط

فاذا تقرر ذلك علمنا عدد من وصل من الاطفال الى سن
احدى عشرة سنة من امة عددها عشرة الاف الف بطرح الباقي
بعد الاحدى عشرة وهو ثلاثة ارباع تقريبا من الاصل الذي هو
عشرة الاف الف فيكون الباقي هو عدد من بلغوا في العمر احدى
عشرة سنة وكذلك لو اردنا معرفة من بلغ عمره عشرين سنة الى
خمس وعشرين نسقط المقدار المقابل للخمس والعشرين وهو الاثنى
عشر قيراطا وثلاث قيراط من المقابل الى العشرين وهو اربعة عشر

قيراطا ونصف قيراط فيكون التفاضل ويكون الباقي قيراطين
 وسدس قيراط وهو تعداد من بلغ العمر المذكور ولا بد من
 الملاحظة في قسمة العشرة الاف الف الى اربعة وعشرين قيراطا
 ولاجل استعمال هذا الجدول في معرفة عدد اهل مصر زمن عمرو
 بن العاص تقول حيث كانت الاطفال معافة من الجزية فيخرج
 العدد المقابل لسن الاحدى عشرة سنة وهو خمسة قيراط وثلاثا
 قيراط ونصف سدس قيراط فيكون ذلك بالنسبة للعشرة الاف
 الف الفى الف وثلاثمائة واثنين وسبعين الفا وثلاثمائة واثنين
 واربعين والباقي وهو سبعة الاف الف وستائة وسبعة وعشرون
 الفا ومائة وواحد وخمسون هو عدد الرجال والنساء معا فعلى
 تقدير ان عدد النساء مثل عدد الرجال يكون نصف الباقي وهو
 ثلاثة الاف الف وثلاثمائة وثلاثة عشر الفا وخمسمائة وتسعة وتسعون
 هو عدد الذكور ثم تنسب نسبة بان تقول نسبة عدد الرجال الى
 العشرة الاف الف كنسبة العدد الذي وجدناه من حساب الجزية
 وهو الف الف وستائة وستون الفا الى العدد المطلوب ايجاده
 وبالحساب تجد انه اربعة الاف الف وثلاثمائة وتسعة وستون الفا
 فباضافة ثمن هذا القدر لزيادة النساء عن الرجال وباضافة جزء
 قليل في مقابلة الفقراء والمساكين يعلم ان عدد الاهالي اربعة
 الاف الف وستائة وثلاثون الفا تقريبا
 فقال الشيخ يظهر من ذلك ان تعداد الاهالي منذ دخل

الاسلام مصر نقص تقصا كثيراً عن المدة القديمة خصوصاً في المدة
 الاخيرة من ايام المتصرف بالله فان في وقته تصرفت ايدي العدوان
 وزادت اسباب الطغيان وانتهب المحكام ايراد الحكومة واهملت
 السياسة بتولي غير المستحق عليها لاحتفال والدة الخليفة وقتئذ
 بطائفة العبيد فاشتعلت نيران الفتن اشتعالاً اضر باهالي القطر وطمت
 الجداول والمخجان وعجزت الاهالي عن زراعة ارضها لانه كان اذا
 علا النيل غرقت واذا لم يعلُ شرقت لعدم اجراء الطريق اللازم
 للري وتصريف المياه فادى ذلك الى صيرورة كثير من الارض
 منافع ماء وخرب كثير من الجهات البحرية واستمرت هذه الاحوال
 بل زادت زيادة فاحشة في زمن الباشاوات الذين كانوا مندوبين
 لسياسة الديار المصرية فان من اتى منهم كان لا يشتغل في السنة
 التي يقيمها الا بجمع المال لنفسه صارفا اوقاته في التمتع واللذات
 جاعلاً زمام الحكومة بيد من يوافقه على اغراضه من البيكوات
 وبهذا السبب كان الفشل مستديماً وعصا الخلاف بينهم مشقوقة
 وكثيراً ما يكون السبب في ذلك الباشا نفسه الذي هو منوط
 بادارة الامور فنشاء من هذا مضار اضعاف ما صار من قبل
 وامتدت ايدي الجند والعرب للنهب والسلب في الجهات البحرية
 والقبيلية فلم ينج من شرهم الا من دخل في حى قبيلة من العرب
 فحصل من هذا نقص كثير وبدا بالقطر خلل كبير وما يؤيد ذلك
 قول العلامة القريري انه في زمن المتصرف بالله كان ايراد مصر من

جوالي وخراج الف الف دينار في مبدأ امره وبعد مدة من حكمه
وصل الى ثمانمائة الف دينار ثم نقص فوصل الى خمسمائة الف
دينار الى ان عجز عن تأدية مرتبات الجند فابن هذا ما ضربه عمرو
بن العاص وعبد الله بن سعيد وما كان في زمن الخليفة المأمون
والخليفة المعتصم فانه بلغ في ايامها اربعة الاف الف ومائتين وسبعة
وخمسين الف دينار اذا بلغ النبل حد الوفاء وهو سبعة عشر
ذراعا وعشرة قراريط وكان خراجها ايام الحاكم الف الف دينار
وثمانمائة الف دينار ولما تولى بدر الجمالي وكانت ولايته سنة ٤٨٢
بلغ ثلاثة الاف الف ومائة الف دينار وفي زمن ابنه الافضل
بلغت خمسة الاف الف دينار ولم ينقص عن هذا القدر
زمن صلاح الدين وكانت مرتبات جنده ثلاثة الاف الف وستمائة
وسبعين الفا وخمسمائة دينار ومرتب المتقاعدين الف الف دينار
وفي زمن الملك الناصر بلغ الخراج تسعة الاف الف دينار وخمسمائة
واربعة وثمانين الف دينار ومائتين واربعة وستين دينارا بالدينار
الحبشي الذي قيمته ثلاثة عشر درهما منها ستة الاف الف ومائتان
وثمانية وعشرون الفا واربعائة وخمسة واربعون دينارا تجي من
الجهات البحرية وثلاثة الاف الف وثلاثمائة وخمسة وخمسون الفا
وثمانمائة من الجهات القبلية

فقال الانكليزي يا حضرة الشيخ ان تعداد اهالي مصر وقت
دخول الافرنج ارضها كان الف الف وستائة وثمانية عشر الف

نفس وتسعمائة وخمسين نفساً وكان عدد اهالي كل مدينة هكذا

| عدد | |
|-------|------------------|
| ١٥٠٠٠ | اهل رشيد |
| ٢٠٠٠٠ | اهل دمياط |
| ١٧٠٠٠ | اهل محلة الكبرى |
| ١٥٠٠٠ | اهل سكندرية |
| ١٢٠٠٠ | اهل اسيوط |
| ٠٥٠٠٠ | اهل قنا |
| ٠٧٠٠٠ | اهل جرجا |
| ٠٥٠٠٠ | اهل بني سويف |
| ٠٤٠٠٠ | اهل قليوب |
| ٠٣٠٠٠ | اهل بليس |
| ٠٧٠٠٠ | اهل المنصورة |
| ١٥٥٠٠ | اهل طنتدا ومنوف |
| ١١٠٠٠ | اهل المنيا وملوي |

فعلي هذا تكون اهالي المدن مائة وسبعة واربعين الفا وسبعائة وخمسين نفساً واما اهل القاهرة نفسها فكانوا مائتين وثلاثة وستين الفا وسبعمائة نفس وكان اهل القرى والكفور والعزب والنزلات الفي الف وسبعة وسبعين الف نفس وخمسمائة فيكون اهل القطر

جميعهم ألفي ألف نفس وستائة وثمانية عشر ألف نفس وتسعمائة وخمسين وذلك قبل ما كان زمن دخول عمرو بن العاص بألف ألف واحد عشر ألفاً وخمسين نفساً

وكان عدد قرى الوجه القبلي وكفورهِ وعزبه خمسمائة وخمسة عشر وعدد قرى الوجه البحري ألف وسبعمائة وتسعة وسبعين فمكون جميع البلاد بالوجه البحري والقبلي الفين ومائتين وأربعة وسبعين على مقتضى ما وجد في دفاتر الخراج وأما على مقتضى ما وجد على الخرطة فهو ثلاثة آلاف وستائة والفرق بينهما إنما حصل من كونهم في بعض الجهات يعدون عدة كفور بلدة واحدة فيقيد في الدفاتر كذلك ويقرب من هذا العدد ما كان في زمن الملك الناصر لأنه كان الفين ومائتين وتسعة وخمسين بلداً منها خمسمائة وأثنا عشرة بلدة في الوجه القبلي في ثمان مديريات وهي بلاد

| | |
|-----------------------|-----|
| بلاد مديرية شرق اطفنج | ٠٥٠ |
| بلاد مديرية الفيوم | ٠٩٧ |
| بلاد مديرية البهنسا | ١٥٦ |
| بلاد مديرية الاشمونين | ١٠٣ |
| بلاد مديرية منفلوط | |
| بلاد مديرية اسيوط | ٠٢٢ |

٢٦. بلاد مديرية اخميم

٤٨. بلاد مديرية قوص

والف وسبعمائة وسبع واربعون في الوجه البحري في ثلاث

عشر مديرية

بلاد

٢٠. ضواحي القاهرة

٥٩. بلاد مديرية قليوب

٢٨٠. بلاد مديرية الشرقية

٢١٧. بلاد مديرية الدقهلية

١٢. بلاد مديرية دمياط

٤٧١. بلاد مديرية الغربية

١٢٢. بلاد مديرية منوف

٤٦. بلاد مديرية ابيار وبني نصر

٢٢٢. بلاد مديرية البحيرة

٢٦. بلاد مديرية فوه

٠٠٦. بلاد مديرية نستروية

٠٠٨. بلاد مديرية سكندرية

٢٥٨. بلاد مديرية البحيزة

فمن ذلك يعلم ان اهالي القطر في القرن العاشر من الهجرة

كانوا قريبا من الفي الف وخمسة الف وهو قريب من عدادهم
 مدة الافرنج وبناء على ذلك يمكن مقارنة الازمان القديمة
 بالازمان التي تلتها ومعرفة تقدم الامة المصرية كل زمن
 وتاخرها

والكلام على مصر كثير فلنقتصر منه الان على ما ذكرنا
 وكان قد دعا الانكليزي بعض احبته ينزه نفسه في جنيته

- ٢٥٠
- ٢٥١
- ٢٥٢
- ٢٥٣
- ٢٥٤
- ٢٥٥
- ٢٥٦
- ٢٥٧
- ٢٥٨
- ٢٥٩
- ٢٦٠
- ٢٦١
- ٢٦٢
- ٢٦٣
- ٢٦٤
- ٢٦٥
- ٢٦٦
- ٢٦٧
- ٢٦٨
- ٢٦٩
- ٢٧٠
- ٢٧١
- ٢٧٢
- ٢٧٣
- ٢٧٤
- ٢٧٥
- ٢٧٦
- ٢٧٧
- ٢٧٨
- ٢٧٩
- ٢٨٠
- ٢٨١
- ٢٨٢
- ٢٨٣
- ٢٨٤
- ٢٨٥
- ٢٨٦
- ٢٨٧

المسامرة الثامنة والثمانون

الفلاحة والزراعة

فقال للشيخ قد دعانا احد المحبين لان نتروح في روضة له خارج المدينة بمسافة يسيرة واني مستصوب قضاء بقية هذا اليوم عنده في تلك الروضة ولنغتنم بهذه الطريقة رؤية جنينة فرانس وسرايتها وننعم نظرنا بروية بعض ضواحي المدينة وطيب هواء هذا اليوم وصحو السماء ولطافة شمسه ولتحق هذا اليوم بامسه وصاحب المنزل من الذين اجتمعت عليهم بالامس وهو من اعضاء الجمعية المشرقية ورئيس مجلس الزراعة وولي من عهد قريب نظارة الجفلك المعد لتجربة اخبار النباتات الغربية وطرق نجحها في ارض فرانس وله ممارسة تامة في امر الفلاحة وتنوع طرقها في جهات مختلفة وله في فن الزراعة كتب مفيدة واختراعات جديدة واقوى باعث لي

على اجابته كون بيته في نفس الجفلك فنطلع هناك على تجرباته
وظرفه التي يستعملها مع استنشاقنا الهواء النقي والنظر لوضوحي هذه
المدينة وقد ارسلت يعقوب ليجهز لنا ما يلزم من الاكل وامرته بان
يحضر العربية بعد ذلك

فقال الشيخ هذا ما قام بفكري فكانك عالم بسري فما تم
كلامهم الا ويعقوب قد حضر فقال للخواجا ان هناك مسافراً
يسأل عنك فقام الانكليزي متوجها اليه وغاب قريباً من ساعة ثم
رجع واخذ بيد الشيخ وتبعها ولده فقال له الشيخ من هذا فقال هذا
صاحبنا الذي اجتمعنا به في مرسيلا وقد حضر منذ يومين بالمدينة
والان جاء الى منزلنا ليسلم علينا فاخبرته بما عزمنا عليه فطلب ان
يكون معنا فقال الشيخ قد اصاب فانه من خير الاحباب وتم به
انسنا ثم ساروا حتى دخلوا منزلهم وكان المسافر قد سبقهم اليه فقام
لم وسلموا عليه ثم حضر الاكل فاكلوا وشربوا وكانت العربات
حاضرة فركب الشيخ وصاحبه والمسافر واحدة ويعقوب وولد
الشيخ اخرى وساروا الى ان وصلوا سكة الحديد فنزلوا جميعاً في
عربة واحدة واخذ الحديث بينهم يدور فيما للدنيا من الاحوال
والامور الى ان وقف الوابور بعد ربع ساعة فنزلوا بالقرب من
محطة وجدوا صاحبهم الذي دعاهم عندها ينتظرهم فسلم على الشيخ
ولده وعلى صاحبيه ثم امر بتقديم العربات فركبوها وبعد بعض
دقائق نزلوا قريباً من قصر مشيد عالي البناء يحيط بثلاث جهات

منه بساتين فيها من جميع انواع الاشجار المتوجة باحسن الازهار
 ووجدوا بباب القصر صاحبة المنزل وولدها ومعها بعض النساء
 اتراها فلما اقبل زوجها بالشيخ ومن معه قابلتهم بالتحية واجرت ما
 يلزم كعادتهم وبعد ذلك اخذ بيدها حضرة الخواجا الانكليزي
 ودخلوا الى ديوان بهج المنظر فيه احسن انواع الفرش فمكثوا به
 برهة ثم قال الانكليزي لصاحب البيت انما جننا هنا لئري سراي
 فرساي وما بارض حضرتكم ليطلع حضرة الشيخ على محاسن مبتدعاتكم
 في فن الزراعة

فقال ذلك قصدي ولكني اري الباقي من النهار قليلا والذي
 اراه ان تقيموا عندنا الليلة لئتم لنا الانس بكم وفي غد نذهب جميعا
 واطلعكم على ما اعلمه من امر هذه السراية منذ انشئت الى الان
 وما مر عليها من الاحوال

فقال الانكليزي الراي ما رأيت ولكن فيم نمضي بقية هذا
 اليوم فقال بالانس بحضرة الاستاذ والاطلاع على ارض التجربة
 وانواع آلات الفلاحة القديمة والمجددة

فقال الخواجا نرجوكم السماح في المبيت هذه المرة فان عندي
 بعض اعدار ولا بد لي من العود

فقالت صاحبة المنزل انا ممنونون لك حيث احللت الانس
 بساخننا وشرفتنا بحضرة الشيخ وحياتكم ان تفضلتم بالمبيت عندنا هذه
 الليلة تم انسنا وانبسطت بكم نفوسنا فشكر الشيخ فضلها ثم دعا لها

وقال الايام بيننا والعود احمد ثم اتفقوا على المحضور في يوم غير
هذا وقاموا لينظروا محل التجارب فلما وصلوا اليه وجدوه مكاناً
متسعاً يبلغ نحو ثمانين فدانا مقسوما الى اقسام معتدلة بطرقات
كذلك حسب الانتظام طولاً وعرضاً كل قسم مربع محاط باشجار
في بعضها انواع الخضراوات وفي الاخر انواع من نبات الاقوات
كل نوع في حوض ويعرف نبات كل جهة من اوراق ملصوقة
في قطع من الخشب قائمة في زوايا المحيطان مكتوب فيها قدر
البذر وعمره وسعة الارض التي هو بها والبلد التي ورد منه ووقت
بذره ومدة مكثه وهكذا فكان هناك قمح مصر الاحمر والابيض
وقمح بلاد العرب وقمح المسكوب وبلاد اخرى كل صنف في حوضه
في غاية الانتظام والاحكام بحيث تراها متساوية خضرة نضرة اعوادها
متساوية ما بينها من البعد قوية غليظة الساق طويلة الاوراق فيها
شدة خضرة تدل على قوة ارضها وكان صاحب الارض يقف
عند كل حوض ويبين لهم حسن نباته وصفاته وفوائده والبلاد
المجلب منها وقدر غلته وقدر الزيادة عن البذر ويبين نسبة ذلك
المحصول لغيره من جنسه في البلاد التي يزرع فيها والاسباب التي
نحجج بها وهكذا كل صنف الى ان وصلوا الى قصر صغير في باب
البستان فجلسوا هناك قليلاً ليسترجموا ثم دخلوا البستان فرأوا فيه
اصناف الازهار وانواع الفواكه والاشجار وغير ذلك مما يبهر العقول
وجميعها مجلوبة من بلاد متنوعة وكانوا كلما وصلوا شجرة غريبة بين

لهم ما يتعلق بها الى ان تمت نزهتهم ثم سار بهم الى المكان الذي به
 آلات الزراعة مثل المحاريث ذوات العجل والآلة البذر والحصد
 والدرس فكانت انواعا منها القديم المتروك باختراع احسن منه
 ومنها المستعمل من مدة وعلمت نتيجته ومنها ما هو جار تجربته
 وجميعها مخالف لما يعلمه الشيخ في مصر ثم عادوا الى القصر وجلسوا
 فيه ينظرون من شبائكه الى البستان وما حوله فرأوا الغابات
 على احسن شكل وصورة الارض في غاية البهجة وانواع المزارع تسر
 الخاطر وتروق الناظر فعجب الشيخ كل العجب واستحسن نظام ما
 رأى واثني على الخواجا كل الثناء ومدحه كل المدح على اهتمامه
 بهذا الشأن وصرف افكاره في تطبيق قواعد علم الفلاحة النظرية
 على العمل واجرائها بالفعل وقال له ان ثواب اعمال الانسان
 على قدر ما ينتج للخلق من الفائدة خصوصا فن الفلاحة فانه اكثر
 الفنون فائدة واعمالها للناس نفعا فمن يحسن طريقه ويعم نفعه ويكثر
 فائدته يكون ثوابه اكثر فاي امة تبعت ضوء مصباحه وسلكت
 سبيل نجاحه عظم ثوابها واشتهر بين الناس فضلها واما الامم التي
 لا ارض لها تزرعها كعرب البادية وكذا التي لم تشتغل به لجهلها
 بامرهم فمثلها كمثل الحيوانات العجم سواء بسواء وهذا القرن اقدم
 الفنون جميعا وبه اشتغلت الامم قبل الطوفان وعنهم اخذ من
 بعدهم يؤيد ذلك ما في الكتب المقدسة ان نبي الله نوحا عليه
 السلام زرع بعد خروجه من السفينة ومنه تعلمت خبرته حتى

انتشر في كثير من بقاع الارض بعد تبلبل الالسن وتفرق اولاده
وكذلك كان معروفا عند قدماء المصريين وغيرهم كاهل الهند
والصين وبابل وما يدل على فضله معرفة الانبياء له كنبى الله
اسحاق عليه السلام في ارض فلسطين ونبي الله ابراهيم وبعقوب
واولاده عليهم السلام لانه ارسلهم الى مصر لشراء غلال في زمن
اجذبت فيه ارضهم فحسبك فضلا بفن اشتغلت به الانبياء ولعمري
ان فضله لا يعادل ونفعه لا يماثل وهو اصل التقدم وكل الصنائع
فرع له .

فقال له صاحب البستان هذا من حسن اخلاقكم ولطف
طباعكم ثم قال له الشيخ وهل يحتاج في معرفة فن الفلاحة الى كثير
من الاعمال ويلزمه كثير من الممارسة

فقال ليس فن من الفنون يحتاج الى ما يحتاج اليه والمتفكر
فيه الممارس له لا يعرف كيف وصل الاقدمون الى معرفته وطرقه
المتشعبة المتنوعة سيما نبات الاقوات واستنباته والذي يزيد المرء حيرة
اهتداؤهم الى حبة القمح من بين سائر انواع الحبوب التي تزرع
وكان بعض الناس يزعم ان جميع الحبوب المغذية كانت تشتمل
على خواص وصفات وتكرار زرعها هو الذي صيرها اقواتا وهذا
القول لا عبرة به فان تقليب الصنف بالزرع وان غير بعض
صفاته لا يغير حقيقته بالكلية فالصحيح ان جميع الحبوب على اختلاف
اجناسها من ابتداء الامر بالهيئة التي نراها عليها الان وقد شوهد في

جهات كثيرة جميع انواع الحبوب يخرج من الارض بطبعه من غير استنبات وعدم مشاهدتها في بعض الجهات ربما كان من عدم الدقة في البحث او غير ذلك وعلى كل حال فن الزراعة انما وصل الى اليونان من المصريين ثم منهم الى الرومانيين ومن ذلك يعلم ان فن الفلاحة لم يدخل اوروبا الا بعد وجوده بافريقيا واسيا بزمن طويل ولذلك كانت سكان اوروبا في تلك الحقب تسكن الاجام والفلوات وتسمج كالحبوانات في الغابات للحصول على الافوات فبالضرورة كانت متوحشة خشنة مع ان كثيرا من جهات افريقيا واسيا في تلك الحقب كان محفوقا بالنعم مشهورا بالتقدم

واما ما يوجد في عصرنا هذا من المعرفة بالزراعة فجزء من فنها والذي يدل على ذلك انه لما تفرق الناس وتبلبلت الالسن بعد الطوفان وانتشروا في بقاع الارض فمنهم من وجد نفسه بارض سهلة الزرع كثيرة الخصوبة فاستعملوا فيها ما تعلموه من اصولهم ومنهم من وجد نفسه بارض ليست كذلك فلم يجدوا سبيلا الى استعمال ما يعلمونه من فن الفلاحة فمن صادف الارض السهلة زرع وتعيش ومن لم يصادفها هرع الى الاجام وتوحش وربما صادف بعضهم جهات فيها جميع انواع الحبوانات فاخترع طرقا لتكثيرها لبقوات بها وعلى مقتضى كثرة ما يلزم لفن الفلاحة يوخذ ان من استعمالها بقي مدة يستعملها بحالة بسيطة فلم يكن عندهم محارث ولا كانوا

يستعملون الحيوان في الحرث بل غاية الامر انهم كانوا يستعملون قوى انفسهم كما شوهد ذلك في كثير من بقاع الارض فانه لما استكشفت امريكا كان اهلبا يستعملون قوائم فكانوا يمسكون بايديهم الة ينكثون بها الارض ويقطون بها البذر تسمى في بلاد مصر بالمعزقة وللان جهات كثيرة لا تعرف غير الطرق القديمة فسكان جزيرة فرانس الجديدة يحرثون ارضهم بالآلة جميعها من الخشب و جهات اخرى ليس عندهم غير المعزقة و جهات لا يستعملون في شق الارض غير نوع الفوس وفي جهات من افريقيا على شواطئ نهر جانبي قوم اذا ارادوا حرث الارض اجتمعوا اربعة اربعة او خمسة خمسة وشقوها بسيوفهم وكان سكان الكانادا في الزمن السابق يشقون الارض بقرون الحيوانات وفي المدة التي كانت اكثر الامم غارقة في مجار الجهل كانت مصر منعمة البال ممتعة بالخيرات فان الفلاحة كانت عندهم على ما نراه الان لم تتغير فكان عندهم المحراث واللواطة وباقي الالات ومما يؤيد ذلك احترامهم للثور المسمى ابيس وما ذاك الا لما راوا فيه من المزية

فقال الشيخ وهل يعرف اول من اخترع آلات الفلاحة فقال نعم ورد عن المؤرخين ان اول مخترع للمحراث احد فراعنة مصر المسمى اوزريس وهو الذي علم سكان ما وراء النهر استعمال الثور في الفلاحة ولا ينكر استعمال الحراثة بمصر زمن

يوسف عليه السلام ولا استعمال الثور بارض العرب زمن ايوب
عليه السلام

وكان المحراث في الاصل مركبا من قطعتي خشب احدهما
قصيرة منبسطة على الارض تسمى البسغة وفي طرفها حديدة عريضة
تسمى السلاح وهي التي تشق الارض والثانية طويلة ممتدة الى امام
تسمى القوس وعند زاويتيها الحادة حديدة عريضة لتثبيتها ببعضها
تسمى البلنجة وعند موخر الخشبين ثالثة طولها نحو ستة اشبار تسمى
الرح وهي التي تكون بيد المحراث يزن بها المحراث حيث شاء وبقي
له اجزاء اخرى غير ما ذكر كنت اسمع بها من اربابها وهذا هو
الذي كان يحرث به اليونان والرومانيون واما بعض
جهات امريكا فكانت آلات حرثهم عبارة عن قطعة خشب
معوجة ثم عملوها فيما بعد من قطعتين ويؤخذ من قول ديودور
ان اليونان كانت تحرث على الحمير وان موسى عليه السلام نهى
عن ذلك

فقال الشيخ في بعض جهات الوجه البحري كالشرقية يستعملون
الى الان آلة تسمى المعزقة فيجمع اربعة رجال او اكثر ويبد كل
واحد منهم معزقة وينكثون الارض بعد بذرها فيتغطى البذر
والتلويط الى الان مستعمل في الوجه القبلي وهو عبارة عن امرار
قطعة خشب من نخل او غيره على وجه الارض اذا كانت كثيرة
الوجل بعد بذرها ولست اعرف طريقا ابسط من ذلك واظن ان

جميع الاراضي التي تزرع بهذه الكيفية هي اول الارض عمارة
واستنباطا لان هذه الكيفية اول ما يخطر بالبال وليس فيها كلفة
فقال الخواجا جميع الطرق المستعملة بمصر الى الان قديمة
جدا ومرسومة في البرابي وهي عشر طرق ذكر منها قدماء المؤرخين
طريقة وهي ان بعض الجهات بعد القاء الحب في الارض ياتون
بالخنازير ويدورون بها حتى يتواري الحب ولم تكن عقولهم قبل
الطوفان قاصرة على معرفة الحرث والقاء البذر بل كانوا يعرفون
ايضا كل ما يزيد لها في صلاح الارض كتشبيدها بالرماد وارواث
الحيوانات وكنعيمها بالمياه الكدرة كما هو جار بمصر الى الان وذكر
المؤرخون ما تقدمه المصريين من الاعمال الجسيمة مثل بحيرة
مورس التي بارض الفيوم والجسور العظيمة التي انشاها فراغت
مصر لحفظ الارض من الغرق وقت فيضان النيل وكالجداول
التي بواسطتها تفرق المياه على جميع الارض وهذا اقوى دليل على
ان الفلاحة وتثريد الارض كان امرا معلوما عندهم ويلزم من ذلك
معرفة كيفية الحصاد وان كان لا يدري الزمن الذي اخترع فيه
الاكتان المعوجنان المعروفتان عند المصريين بالمنجل والشرشرة
ولعلمهم كانوا قبل اختراعهما يقلعون النبات بايديهم لوجود ذلك الى
الان في جهات كثيرة واما الدرس الذي يستعمل الان لفصل
الحب من عوده فلا بد انه تاخر زمتا طويلا لان معرفته تحتاج الى
زيادة تقدم لما فيه من الصعوبة والذي كان مستعملا عند المصريين

وغيرهم في هذا الامر هو جعل الزرع بعد حصاده حزمًا ينقلونها
 لارض متسعة منتظمة اعدت لذلك ويدبرون البهائم فوقها حتى
 ينفصل الحب عن غيره وبعض الناس كان ياخذ قطعاً من الخشب
 ويسمر فيها احجاراً ويدورونها فوق تلك الحزم فينفصل الحب من
 غيره واهل فلسطين كانوا يستعملون عجلات ثقيلة فيدورونها
 بالبهائم وهذه الكيفيات باقية الى الان في جهات كثيرة من ارض
 فرانس وغيرها واما الصينيون فكانوا يستعملون مهرسه من رخام
 وكيفية التذرية لتمييز الحب عن التبن بواسطة الهواء باقية عند
 اغلب جهات الشرق وارض مصر واغلب المبلاد الحارة وآلة
 التذرية المسماة بالمذري قديمة جداً لا يعلم وقت اختراعها ولا شك
 ان اختراعها من يوم اختراع الفلاحة فهو واصل البناء من تقدم
 على الطوفان وبالجملة فجميع انواع الفلاحة وكذلك آلتها وانقانها
 انما حصل تدريجاً على حسب دقة الصنعة وكثرة لوازمها ومن
 ذلك جعل الحب خبزاً والافقيات به فانه يتوقف على اعمال
 كثيرة كالغريبله والطحن والنخل والعجن ثم تقطيع العجين وتسويته
 الى ان يصلح للاكل فان لكل عمل من هذه الاعمال آلات وكل
 آلة متوقفة على غيرها وغيرها متوقفة على غيره وهكذا فلا بد انه
 مضى على النوع البشري زمن وهو جاهل بجميعها ثم اضطرته
 الضرورة الى اختراعها شيئاً فشيئاً الى ان عرفها جميعها الا اننا لا
 ندرى كيف اهتدى الاقدمون لمعرفة ما في القمح من المادة الغذائية

وان كان ذلك لا يمنع من عزو هذه الفنون الى من كان قبل
الطوفان فانهم حين رست بهم السفينة واتشروا على وجه الارض
منهم من وقع في ارض فحمة لا تنبت شيئاً فاكتفى بما يجده في
وهادها من الكلاء وما يقدر على صيده من نجودها وما يقذفه البحر
من السمك ونحوه ومنهم من صادف ارضاً صالحة فزرعها وتقوت
بما يخرج من نباتها من غير طحن ولا خبز فان ذلك مما اهدوا
اليه على ما حكاه بعض الفلاسفة مما راوه من فعل الاسنان
بالحب حتى يصير كالدقيق ثم تلويك اللسان له حتى يمتزج بالريق
ثم ازدراده وبلعه فلما رأوا ذلك اتوا بمجربين كالرحى ووضعوا الحب
بينها واداروا احدهما عليه ثم اخذوه ومزجوه بالماء ثم وضعوه في
النار ليحجف ويصلح للغذاء الى ان اهدوا الى ما يلزم له من الآلات
كالمنخل والغربال والتنور كما ذكرنا

فقال الشيخ ومما يؤيد ذلك ما يفعله عرب البادية خصوصاً
في اسفارهم فانهم لا يتزودون بغير الدقيق فاذا ارادوا الاكل عمدوا
الى جانب منه فلتوه بالماء ثم اضرموه ناراً وصبروا عليها حتى يهدأ
لهبها فاذا هدأ وضعوا عليها العجين حتى يحجف بعض جناف
فياخذونه ويسونه ثانياً بما تيسر لهم من اللبن او العسل هذا داهم
في اسفارهم ومنهم من يقلي الحب ويستفه ومن المصريين من يلدده
بالنار قبل صلاحه ويدخره للطبخ ويسمى عندهم بالفريك

فقال الانكليزي وكذلك قبائل كثيرة من السودان
 لا يعرفون غير ذلك وكانت هذه الطريقة كثيرة الاستعمال في
 بلاد الهند بناء على قول هيرودوط ولكن هذه الطرق اخذت في
 الاندثار لتقدم الناس كل زمن فعلوا ان الغرض من الزراعة
 السنوية والانتفاع بها مدة السنة وان هذه الطريقة لا يتفجع بالبر
 بواسطتها الا مدة قليلة كشهر مثلا فلا بد انهم بحثوا عن الطرق
 التي تعم النفع ولكن يلزم انهم لم يصلوا اليها الا على التدرج وحيث
 كان في اكل الحب بغلافه عسر والنفس تأنف منه فلا بد ان
 اول شي اشتغلوا به انفصال القشر عن لبه وان اول شي استعملوه
 لذلك التحميص لان جميع القبائل المتوحشين من افريقيا وامريكا
 تستعمله الان واجمع المؤرخون على ان اول صنف اقتات به
 الاقدمون الشعير وحيث كان قشره لا ينفصل عنه الا بالطن
 وكانوا وقتئذ لم يعرفوه استعملوا التحميص لذلك والسياحون الى
 الان في بلاد الحبش لا يتزودون بغير الشعير المحمص وكانت
 الناس قبل اهتدائهم الى اختراع الرحي والطواحين تهرسه في
 اهوان فكان التحميص يسهل عليهم ذلك واما كيفية نقعه في الماء
 وتصفيته فقديمة وقد كان اليونانيون والرومانيون يستعملون ذلك
 ويتغذون به كما يفعل اهل الشرق بالارز واللان كثير من
 الناس تستعمل ذلك مثل قبائل الكموكيين فانهم لا يتقوتون
 بغير الشعير فيضعونه في الماء اولا الى ان يلين ثم يعصرونه ليميز

عنه قشره ثم يضعونه في قدور ويوقدون النار تحته الى ان يقلى
ثم يتناولونه بايديهم وليس لهم قوت بغير هذه الكيفية
ومن اليونان والرومانيين من كان يهرس الحب في اهوان من
خشب او من حجر لاخراج الدقيق وفصل اللب من قشره وقد
بقيت هذه الطريقة الى الان عند خلق كثيرين وقال هيرودوط
ان سكان جزائر الانكليز كانوا لا يستعملون غير هذه الطريقة
فكانوا يفركون السنابل بايديهم لينفصل الحب ثم يهرسونه في اهوان
ثم يعجنونه ويأكلونه نيئا واما اهل بيرو من امريكا فكانوا يحففونه
اولا على النار ثم يدقونه ويتناولونه بقطعة خشب كالمعلقة لا يفصلونه
من قشره وعلى ذلك كثير من المتوحشين الى الان واما عند تمدن
الخلق فكانوا قبل اختراع صنعة المنخل المعروف يعمدون الى بعض
اغصان دقيقة فينسجونها ويخلون بها ومنهم من كان ينخل بخرق
من القماش المنخل النسيج وما يشبهه قال بولين ان منخل اليونان
والرومانيين كان من السمار ومنخل اهل الاندلس من الغزل ومنخل
البحول من شعر الخيل وكانوا جميعا يعجنونه ثم يلحقونه نيئا كما
يفعل بعض سكان جزائر الانكليز ولم يهتدوا الى كيفية انضاجه
بالنار الا بعد زمن طويل ومنهم من كان في ذلك الوقت يمزج
الدقيق بالماء كالعصيدة ويضعه على النار حتى يغلي ثم يأكله
ومنهم من كان يضع فيه لحما ثم يسويه وذلك كان قوت قداما
الفرس والرومانيين واليونان واهل العراق كما قاله بولين ومنهم

من كان يقطع اللحم قطعاً ثم يلقيه في الدقيق ويسويه على النار
 فيعلم من ذلك قلة انتفاعهم وقتئذٍ بالبر لان تمام فائدته لا تكون
 الا بعد عجنه وخبزه وذلك يحتاج الى فكرة كبيرة واعمال كثيرة
 لم يهتدوا اليها الا بعد زمن طويل وان كانت تلك الصنعة
 بالنسبة الى زمننا قديمة لما ورد في التوراة من ان ابراهيم عليه
 السلام قدم لضيفه خبزاً مرققاً

فقال الشيخ هكذا خبز اهل البادية الى الان ولم في تسويته
 آلة من فخار يسمونها النبغة يخبزون فيها اذا حلوا ويحملهونها اذا
 ارتحلوا فاذا ارادوا الاكل عجنوا الدقيق ثم قطعوه قطعاً صغيرة
 ورققوه بايديهم على الواح من خشب ثم اوقدوا النار تحت النبغة
 حتى تحمر من داخلها فاذا انقطع الدخان اخذوا ما رققوه شيئاً
 فشيئاً ووضعوه على النبغة حتى ينضج

فقال الانكليزي هذه الكيفية لا باس بها وربما دلت على
 تقدم او تمدن اربابها واما القدماء فمنهم من كان يضع العجين على
 احجار محمأة ثم يغطيه بالرماد الحار ولعل ما قدمه ابراهيم الخليل
 لاضيافه من هذا القبيل وعلى ذلك بعض اهالي اسيا الى الان الا
 انهم يلفون العجين ببعض حشيش وقاية من الرماد وربما وضعوا
 فوقه جمرات كبيرة ومنهم من يضعه بين حجرين ثم يدفنها في الرماد
 الحار ومن التار من يعجنه كالعصيدة ويضعه في اناء ويوقد تحته
 ناراً حتى يفور ثم يتناوله الى غير ذلك مما لا حصر له وذلك

كله لا ينافي قدم التنور المسمى بالفرن وتقدمه على زمن ابراهيم عليه السلام وذكر بعض المؤرخين ان اول من اخترعه رجل مصري يقال له عنوس واما ما حكاه حضرة الشيخ عن العرب فليس خاصا بهم بل ذلك طريقة قبائل كثيرة من التركمان وغيرهم الا اننا لا ندري متى كان اختراع الخميرة واستعمالها والظاهر انها من الامور الاتفاقية كأن يكون عند بعض الناس قطعة عجين حامضة فاضافها الى عجين جديد ثم سواه فوجده ألد من الاول طعاما واسرع هضما فاعناده واخذه عنه من بعده وان كان كثير من اهل اسيا وافريقيا وامريكا لا يستعملونها الى الان وقيل انها كانت موجودة على عهد موسى عليه السلام وروي انه نهى قومه عن اكلها حين خروجهم من مصر واول آلة استعمالها الانسان في طحن الحب الحجارة ثم الرحي ثم الطاحون وبين اختراع كل آلة والتي تليها زمن طويل ونحن وان كنا لا نجزم بوجود الرحي زمن ابراهيم الخليل عليه السلام لكن نجزم بوجودها من ايوب عليه السلام وباستعمالها هي والطواحين عند المصريين كما يظهر ذلك من التوراة فانه ذكر فيها منع بني اسرائيل من ان تاخذ حجر الرحي الا برهن وكان الذي يديرها الخدم والعبيد وكانت مستعملة عند اليونانيين والرومانيين وجميع الامم الماضية

قال ناقل الحديث وكانت العربيات قد اعدت للجماعة على الباب فركبوها وسارت بهم نحو فرساي وهم يتحدثون بامر الزراعة

والفلاحة وما ينشأ عنهما من تقدم البلاد وإهلها الى ان جزم الشيخ
 بان مدار العارة على الزراعة فواقفه الجميع على ذلك وقال
 الانكليزي ان هذا هو القول الحق فانه لا تحل الثروة بجهة الأنا
 تقدمت فيها الزراعة ففي ارض فرنسا مثلا تقدمت الزراعة تقدماً
 جيداً حين بحثت الحكومة عن هذا الخصوص وذلك التقدم من
 ابتداء سنة ١٧٩٠ الى سنة ١٨٤٦ فكان محصول زراعة القطن
 سنة ١٧٩٠ مليارين ونصفاً وفي سنة ١٨٤٦ وصلت قيمته ضعف
 ذلك وفي العشرين سنة التالية لسنة الف وسبعائة وتسعين كان
 الربح غير محسوس لكن من ابتداء سنة ١٨١٥ شعر ان الربح ثلاثون
 مليوناً في السنة الواحدة ومن خمسة عشر الى ست واربعين صار
 يزداد حتى بلغت الدرجة المتوسطة ستين مليوناً كل عام

وبسبب هذا الفرق زادت اهالي القطر فان عددهم من سنة
 ١٧٩١ الى سنة ١٨١٥ كان يزيد في كل سنة عن التي قبلها مائة
 وعشرين الف نفس ومن سنة ١٨١٦ الى سنة ١٨٤٦ مائتي الف
 نفس واما من سنة ست واربعين الى خمس وخسين حصل
 تاخير فلم تبلغ زيادة كل سنة غير ستين الف نفس

واما بالنسبة للمحصولات فقد وجد ان صنف الغلال ضوعف
 من سنة ١٨١٥ الى خمس واربعين فكان في سنة ١٨١٥ اربعين
 مليون اكتوليترو وفي سنة ٤٥ ثمانين مليوناً ومحصول البطاطس
 ضوعف ايضاً حتى وصل الى خمس عشرة مرة زيادة عما كان في

سنة خمس عشرة وكذلك نوع الحيوان فقد بلغ عدد الحيوان الكبير
تسعة ملايين الى عشرة وعدد الخيل من مليونين الى ثلاثة وعدد
الضان ما بين اربعة وعشرين مليوناً وست وثلاثين مرة من
الملايين

وفي سنة ١٨١٢ كانت قيمة الاراضي المملوكة ومنها العقارات
الفا وخمسمائة مليون وفي سنة خمس عشرة بلغت الفين وثمانمائة
وثلاثة واربعين مليوناً ومع هذا فقد زادت قيمة الارض في قريب
من ثلاثين عاماً قدر خمسين في المائة هذا وان كان حسن الارض
وارتفاع قيمتها لا بد له من نفقات الاً اننا يمكننا تقديرها ولو على
وجه التقريب فنقول على فرض ان فائض المائة عشرة في كل سنة
تكون الستون مليوناً التي هي فائض ستائة مليون مصروفة على
الارض فلو وزعت على الارض المنزرعة بالقطر لوجد انه صرف
على كل اكتار من المساحة اثني عشر فرنكاً عشرة مئة في اصلاح
الارض واثنان في اصلاح حال الزراعة

وبعد ان كانت قيمة الاكتار سنة ١٧٩٠ لا تزيد عن خمسمائة
فرنك صارت الان تساوي الف فرنك فمقدار قيمة ارض الزراعة
بالقطر خمسون ملياراً وكانت قيمة موجود الزراعة لا تزيد عن
الف مليون فصارت الان خمسة امثال ذلك نصفها قيمة حيوانات
والآلات زراعة والنصف الاخر قيمة بذر وما يتبعه من سباخ وغيره
ومن هنا يعلم ان ربح الزراعة من ابتداء سنة ١٧٩٠ وصل الى اربعة

امثال ما يصرف عليها واجرة العمال وان زادت الا انها لم تبلغ
 ما يخصها وحيثئذ يلزم من يسوس الامم ان يجعلوا عدد الاهالي
 قاعدة لجميع ما يدبرونه وان يجتهدوا في ما به زيادة عددهم ليحصلوا
 على زيادة البركة والطريق في ذلك سهل لانا نعلم ان الله سبحانه
 لما خلق الخلق اودع فيهم اسراراً ينفون بها ويمثلون الارض وجعل
 تلك الاسرار متعلقة بالاقوات كما هو مشاهد فانك لو قطعت عن
 اي شي مادته التي يتغذى بها لاخذ في الجفاف ثم مات فيلزم
 الاعتناء بالامر الذي منه القوت وهو الفلاحة لاجل نمو الاهالي
 ولذلك ترى بعض الناس اذا راوا امة قد اضمحل حالها ونقص
 عددها قالوا ان ذلك ناشئ من كثرة الرهبانية فيهم ومحاربة
 الجيوش البرية والبحرية لهم فتراهم في تلك الاوقات يكثرون من
 البحث على الزواج وربما ساعدوا من عجز عن مؤنه وعاقبوا من
 اصر على العزوبة ومع ذلك لا يحصلون من مقصدهم على كبير
 فائدة لان ما ظنوه سبباً ليس بسبب فيكون مثلهم كمثل من يعالج
 بدواء من غير وقوف على اصل الداء فانهم لو امعنوا النظر وقارنوا
 امور الامة المحاضرة بالماضية لظهر لهم ان اسباب الفساد ليس الا
 اهل فن الفلاحة وميل الكثير الى الزهو والتعلق به وكثرة ما
 يستهلك ويصرف على القليل من الناس واثبت ذلك بان تقول
 لو سلمنا ان ازدياد اي نوع بخصوصه ليس الا لوجدنا فوق الارض
 ذئبا اكثر من الغنم لان الانثى من الذئاب تلد عدداً كثيراً في

بطن واحد ويتكرر ذلك منها في السنة الواحدة والغنم ليست
كذلك سبياً والعادة جارية بخصاء كثير من ذكورها وذبحها وليس
ذلك جارياً في الذئاب فلو كانت خصوبة النوع في ذاتها سبباً في
كثرته لكان عدد الذئاب لا حد له وربما ملا الأرض مع ان
الامر ليس كذلك فاننا نرى الغنم تزداد مع استمرار الاخذ منها وما
ذلك الا لكثرة مرعاها وقتله للذئاب

ومن ذلك بعض متوحشي امريكة وافريقة فان حالتهم كحالة
الذئاب لان تعيشهم ليس الا من الصيد والقتل فتري العدد
القليل منهم شافلاً لسعة عظيمة من الارض بحيث لو زرعت
وخدمت حق الخدمة لكفت اضعافهم ومع هذا لا تنقطع الخصومات
بينهم وليس عندهم رهبانية ولا عفة وما ذلك الا لقلّة القوت عندهم
وقد ثبت في كتب التاريخ ان الفدان الواحد عند الرومانيين
يكفي العائلة الكبيرة مع ان المتوحشين لا يكفي لقوته اقل من
خمس فداناً حيث كان جل هم الصيد والقتل فمن هذا تكون
الالف فدان مزروعة كافية لالف شخص وغير مزروعة لا تكفي
خمس من المتوحشين فظهر بذلك ان كثرة الاهالي تابع لاتساع
دائرة الزراعة فكما حصل الاجتهاد في خدمة الارض واصلاحها
ازداد المحصول وكثر الجنس وكلما اهملت وتركتم قلت الاقوات
وتقص العدد وان كل ما يستهلك في امر الزهو مضاد لمنفعة الامة

فيلزم مدير امر الامة ان يصرف جميع همته في توجيه افكارها نحو
البساطة والقناعة

وفي سنة ١٨٤٠ بلغت قيمة محصول الزراعة في ارض دولتنا
خمسة الاف مليون فرنك منها الف وستائة مليون قيمة محصول
اللحم والصوف واللبن والفراخ والباقي وهو ثلاثة الاف واربعمائة
مليون قيمة محصول الحبوب والحشائش وغيرها وكانت موزعة
بالنسبة لعمارة الارض المضروب عليها الخراج فخص كل اكنار
في الجملة مائة فرنك وايضاً بالنسبة لتفاوت الاهالي قلة وكثرة في
الجهات فكان ربع الارض يتحصل منه مائة وخمسون فرنكا ونصفها
مائة فرنك وربعها خمسون فرنكا فقط وسبب هذا الفرق ان
الربع الاول كان في كل مائة اكنار منه مائة نفس واما النصف
فكان لا يوجد في المائة اكنار الا خمسة وستون نفساً وكذلك
الربع الاخير كان لا يوجد في الاكنار منه الا اربعون نفساً وجهات
العمار في الغالب تكون بالقرب من التخت والمدن وشواطئ البحر
والجهات القليلة العمار الجنوب والوسط ونهاية العمار جهات الشمال
ويوجد في المائة اكنار منه مائتا نفس ونهاية القلة في العمار جهة
جبال الالب فلا يوجد في المائة اكنار هناك اكثر من عشرين
نفساً ولو جعلنا الدول مرتبة على حسب تعداد الاهالي نجد ان
بلاد الفلمنك يخص كل مائة اكنار منها مائة وخمسة وعشرين شخصاً
وبلاد الانكليز تسعين والمانيا وايطاليا ثمانين وفرنسا ثمانية وستين

واسبانيا وبرتغال اربعين والدولة العلية خمسة عشر وكذا
المسكوف .

ثم قال الانكليزي ان بلادنا وان كانت بعد الفلمنك في
الدرجة المذكورة الا انها مشهود لها بزيادة الاعناء بامر الزراعة
والفلاحة ولذلك كان محصول ارضنا اكثر من محصول ارض
فرانسا وليس ذلك من جودة ارضنا وانما هو من جودة الطرق التي
نستعملها والتفات الحكومة لما يحصل منه زيادة المنفعة والربح للاهالي
وان حصل في هذه الايام تقدم كبير للزراعة في فرانسا عن السابق
لكن بين المحصول عندنا وعندهم بونا بعيدا وها انا اوضح لحضرتكم
طريقة كل من الدولتين واقارن بين الطريقتين ليظهر الفرق
وقبل كل شي اقول من المعلوم ان اهم الامور القوت فان به قوام
البنية الادمية وهو انواع فمنها ما هو جيد للغذاء مفيد لقوة الانسان
ومصلح لبنيته ومنها ما هو غير ذلك وحيث كانت الانواع المتخذة
من دقيق الحبوب ليست كافية لقوام البنية وصحتها فيلزم ضم اللحوم
اليها لانها احسن شي في هذا المعنى وحيث يلزم ان كل بلدة يكون
بها زيادة عن الحبوب قدر ما يلزم للغذاء من اللحم وهو عبارة عن
مائة درهم لكل شخص كما استدل على ذلك الباحثون من ارباب
الدراية فاذا تقرر ذلك نقول قد نتج من الاحصاءات الرسمية التي
اجريت في بلادنا ان كل انسان من الانكليز يخصه كل يوم خمسة
وسبعون درهما ما يذبح واما الشخص الواحد من فرانسا فلا يخصه

غير تسعة عشر درهما فتكون النسبة بين تقدم الفلاحة عند الانكليز
والفرنسيس كالنسبة بين خمسة وسبعين وتسعة عشر
وهذا يدل على ان اعناء الانكليز باقتناء الحيوانات ازيد من
اعناء الفرنسيين وان علمهم بالقاعدة الاساسية لتقدم الزراعة اكثر
لانه اذا ازيد الحيوان امكن الحصول على احسن الغذاء واخصبت
الارض بواسطة السماد الموجب لازدياد المحصول والمرعى ومن
زيادتهما تزداد الثروة فاذا نظرنا لصف الاغنام مثلا عند الالبيين
وجدنا عند كل واحدة منها خمسة وثلاثين مليوناً مع ان ارض
بلاد الانكليز ليست مساحتها الا ٢١ مليوناً من الاكتار بخلاف
ارض فرنسا فانها ثلاثة وخمسون مليوناً فيخص كل اكتار من
ارض الانكليز رأسان ومن ارض فرنسا رأس واحد والمتحصل من
الصوف عند الانكليز ستون مليون كيلو جرام وعند الفرنسيين
كذلك ومن صنف اللحم كل عام عند الانكليز ثلاثمائة وستون
مليون كيلو جرام وعند الفرنسيين مائة واربعة واربعون مليوناً
وبهذا يعلم ان نسبة اللحم المتحصل عند الانكليز الى اللحم المتحصل عند
الفرنسيس كالنسبة بين عددي ثلاثمائة وستين ومائة واربعة
واربعين وهذه المقادير هي مقادير المتوسط لجميع جزائر الانكليز
اي ايرلندة وايكوسا وبريطانيا فلو نظرنا الى بريطانيا وحدها
لوجدنا في كل اكتار رأسين من الغنم مع انه لا يوجد في الاكتار

من فرنسا غير ثلثي رأس هذا ومحصول الرأس الواحد في بلاد
الانكليز ضعف محصوله في فرنسا فيعلم من هذا ان ربح الفلاح
الانكليزي ضعف ربح الفلاح الفرنسي في هذا النوع
وعلى ذلك تقاس ارباح البقر في كل من الجهتين وقد احصي
ثمن الجبن المبيع بمديرية شيبستين خاصة في السنة الواحدة فبلغ
خمسة وعشرين مليوناً من الافرنكات ولبن بقرة جميع فرنسا لم يبلغ
الآلاف مليون ليطروثن اللتر عشرة فرنكات واما المتحصل من
بقر الانكليز فضعف ذلك قدرًا وثمنًا فعلى هذا يكون ربح الفلاح
الواحد من الانكليز اربعة امثال ربح الزراع من الفرنسيين واغرب
من هذا تفاوتهم في عدد البقر بالنسبة لارضهم فان بقر الانكليز ثمانية
ملايين في واحد وثلاثين مليوناً من الاكثرات وبقر الفرنسيين
عشرة ملايين في ثلاثة وخمسين مليوناً منها فلو نسبنا بقر كل قوم
الى ارضهم لكان بقر الانكليز بالنسبة لارضهم اكثر من بقر الفرنسيين
بالنسبة لارضهم وان كانت ذبائح الفرنسيين اكثر عددًا لانهم
يذبحون من البقر في كل سنة اربعة ملايين فيها من اللحم اربعمائة
مليون كيلوجرام واما الانكليز فلا يذبحون من البقر الا مليونين
الا ان فيها من اللحم خمسمائة مليون كيلوجرام فاذا تأملنا ذلك علمنا
ان ما يذبحه الفرنسيين وان كان في العدد ضعف ما يذبحه الانكليز
الا انه يتقص في اللحم نحو الربع وسبب ذلك ان الانكليز لا تذبح
الصغير ولا المهزول وذلك لامرين الاول كونه غير مستوف لشروط

الغذاء والثاني ان ذبحه حينئذ يكون كضباع راس المال من قبل
 تربيعه سواء بسواء بخلاف الفرنسيين فانهم يذبحون من العجول
 الصغيرة اكثر مما يذبحونه من الكبيرة ولقلة هذا النوع عندهم
 لا يمكنهم الصبر الى ان يكبر الصغير فتضيع عليهم بذبحه فائدتان
 الاولى جودة اللحم والثانية الانتفاع به وايضا فان الانكليز من عادتهم
 اراحة البقر من الاشغال وتسميتها واما الفرنسيين فانهم يستعملونها
 في جميع الاعمال الشاقة ولا يذبحون الكبير منها الا اذا هزل لحمه
 وضعفت قوته مع اننا لو تأملنا فيما يكتسبونه من استعماله وفيما يضيع
 عليهم به لوجدنا ان استسمانه واستثماره اربح لهم من استعماله لانه
 بالبحث عن ذلك وجد ان قيمة البانها بفرنسا نحو مائة مليون من
 الافرنكات وقيمة اللحوم اربعمائة مليون وما يقابل شغلها مائتا
 مليون فيكون جميع ايراد البقر بفرنسا سبعمائة مليون
 واما الانكليز فان ثمن البان بقرهم اربعمائة مليون من
 الافرنكات وقيمة اللحوم خمسمائة مليون فجميعه تسعمائة مليون فتري
 ايراد هذا النوع عندهم قد زاد على ايراده بفرنسا مائتي مليون وان
 اعتبرنا ربع كل من الجهتين على حدته وجدنا مجموع ايراد الفلاحة
 بفرنسا خمسة الاف مليون من الافرنكات منها قيمة اللحم ثمانمائة
 مليون وقيمة الحنطة ستائة مليون فبااعتبار هذه المقادير تكون قيمة
 اللحم في فرنسا نحو السدس من ايرادها مع ان قيمته عند الانكليز

تبلغ ثلث ايرادها تقريباً وما ذاك الا لكون احوال الزراعة عندهم
متقدمة تقدماً زائداً

فقال صاحب المنتزه ان ما ذكرتموه صحيح ولكن قد تفتنت
المخلق الان لامر الزراعة ونمائها لوجود الخلطة العامة وحصول الالفه
النامة فاننا نجد كل انسان قد تحصل على ما فيه منفعة له ولو كان
على بعد منه لسهولة السفر وقرب المسافة بما حدث من الآلات
البخارية برّاً وبحراً فجميع الآلات التي كانت لا توجد الا عندكم قد
صارت موجودة عندنا وربما تحسنت زيادة عما عندكم فتقدمت
الزراعة واتسعت اصناف البضاعة وان كان لتاخير الزراعة اسباب
كثيرة واقواها تاثير الاحتقار باهل الفلاحة وعدم الالتفات اليهم
وترك التبصر في احوالهم وارتكاب ما تضع به ثمرات الفلاحة من
تسخير اهلها بالعسف والتهر والتعدي عليهم بما يتهمر حالهم ويفسد
عليهم اعمالهم وكالتغالي في الزينة والزهو والاكباب على اللعب
واللهو خلافاً لما يزعمه اخساء العقول من ان ذلك من لوازم الثروة
فان بطلانه لا يخفى على كل ذي بصيرة لانا لو اخبرنا ما كانت
تستهلكه اي امة في الزمن الغابر وما تستهلكه في الزمن الحاضر
وقارنا بين الزمنين لوجدنا بينهما فرقا عظيماً مثلاً النور كان لا
يوجد بمدينة باريز الا في بعض اماكن منها كالذي يخص رب
المنزل واما الان فتري جميع اماكن البيوت مضيئة وعلى ذلك لا
شك انه يلزم لها الان استصباح اكثر مما كان يلزم لها في سالف

الزمان ولا يتيسر الحصول على ذلك الا بزرع ارض له زائدة عما
 كان يزرع في الاول وذلك لا يكون الا بتقص مجزء مما كانت
 تزرعه لقوتها وفي ذلك من الضرر ما لا يخفى فضلا عما يلزم
 لجلبه الى المدينة من رجال الزراعة وحيوانات الفلاحة وما يلزم
 لهذه الحيوانات من زرع ارض لمعاها يتقص بقدرها من ارض
 الحبوب فاذا نقصت ارض الحبوب نقص القوت فينقص عدد
 الاهالي فان قيل لا يلزم ما ذكر لانه كان فيما مضى غابات مهملة
 وبرك ومناقع كثيرة معطلة وقد عمرت الان وزرعت فهلا تكون
 عوضا عما نقص من ارض الحبوب قلنا ذلك مسلم لو كان عاما
 في جميع الجهات فانا نجد بعض جهات كانت عامرة بالخلق فلما
 زرعت فيها هذه الاصناف ونقصت مزارع حبوبهم نقص عددهم
 فحيث لا شك ان الاكثار من الزينة وانواع التفاخر موجب لنقص
 ارض الاقوات فاما ان تتم من الخارج والا هاجرت الاهالي وتعطلت
 فضرر حب الزهو والفخر كضرر المحاربة بل اضر لان المحاربة وان
 كانت تضر بارض الزراعة لا تضر بالامة وان اضررت فضررها
 وقفي وما يؤيد ذلك انك ترى بعض جهات وقع فيها محاربات
 كثيرة وهي الان احسن مما كانت قبل الحرب لان الغالب ان
 الحرب اذا كانت في جهة وانلفت منها شيئا زاد عمار الاخرى
 بقدر ما تلف من الاولى وقد يتنبه الجميع بعد انقضاءها فيتركون
 الرفاهية فيعودون الى احسن مما كانوا فعلنا من ذلك ان

المحروب وكذا الامراض الوبائية ليست السبب في تدمير الامم اصلا
 بل السبب فيه جب الزهو والزينة ليس الا لانا لو فرضنا ان فرسا
 واحدا دخل مدينة للخيلاء به لا لعمله لم نشك انه ياخذ من ريع
 تلك المدينة لمؤنته ما يعدل مؤنة اربعة من نوع الانسان وهذا
 فرس واحد فما بالك بافراس او ما بالك بغيره من الحيوانات
 التي لا فائدة فيها الا النظر لذاتها او التامل في الوانها وهيئاتها ولا
 يقال ان اقتناء الحيوانات وان كثرت مؤنتها لا ضرر فيه لما يترتب
 عليه من تسميد الارض بروثها فتزيد في محصولها بقدر مؤنة الدواب
 والحيوانات التي بها لان ذلك انما يقال في الدواب والحيوانات
 التي باثري وارض الزراعة واما الحيوانات التي بالمدن فلا لان
 روثها بها لا قيمة له بل قد يصرف عليه دراهم لاخرجه من محله
 مع ما يلزم لذلك من تعطيل اشخاص من اهل الفلاحة لخدمتها
 وجلب مؤنتها وقد توهم بعضهم ان كثرة الامة وقتلتها تابع لما
 يستهلك قلة وكثرة اعني انه كلما كثر المستهلك كثرت الامة وكلما
 قل قلت وهذا التوهم لا يسلم به الا لو اقتصر على ما لا بد منه
 والواقع غير ذلك فانا نرى القليل من الامة يصرف اضعاف ما
 يصرفه الكثير منها فاذا تأملنا ذلك وجدنا ان معيار الثروة وعدمها
 تابع لكثرة المشتغلين بالزراعة وقتلتهم فكلما كثروا اخصبوا وكلما
 قلوا اجذبوا فاي قوم لم يشتغلوا بامر الزراعة وتوابعها كانوا وبالا
 على الامة عموما وعلى المشتغلين بها خصوصا فحيثئذ يجب على ولاة

الامر التنبيه لذلك وحمل اهل البطالة على العمل ولا سيما الشحاذين
 الذين اتخذوا التكفف صنعة فانهم يتفننون في الحيل ويعلمون بما
 تسوله لهم انفسهم من العلل فلا يمضي على الواحد منهم زمن قليل الا
 وقد تحصل على جزء من المال فمثل هؤلاء يجب منعهم وامرهم
 بالتكسب لئلا يقتدي بهم من يميل الى البطالة والكسل ليستغني
 بهذه الصنعة الخبيثة عن التكسب بالعمل فاذا تمهد هذا علمنا ان
 فن الفلاحة والزراعة هو الاصل بل هو اساس ثروة البلاد وعمارها
 واصل رفاهية اهلها فيجب على كل حاكم احترام المشتغلين بها
 والالتفات اليهم كل الالتفات ومساعدتهم بانواع المساعدات وتطبيب
 قلوبهم والرافة بهم والا كان كمن هدم اساس بيته بفاسه لان مثل
 كل ملك مع رعيته كمثل شكل هرمي الملك كراسه والرعية
 كتقاعدته واسه ورجال الدولة ما بين ذلك على قدر درجاتهم
 فكما ان كل جزء من اجزاء هذا الشكل حامل لثقل ما فوقه
 وهكذا الى الطبقة السفلى فتكون هي التي عليها ثقل الجميع كذلك
 ارباب الحكومة السياسية على اختلاف درجاتهم كلما فسدت درجة
 سرى ضررها الى من دونها وهكذا حتى تجتمع جميع المضار على
 الضعفاء واهل الفلاحة فلو قصر الملك نظره على من يليه من
 رجال دولته وصرف عن دونهم نظره فسد نظامه واختلت مملكته
 واحكامه فكما انه لا بقاء للشكل الا بقواعده كذلك لا بقاء للملك
 الا برعته فان تنبه الحاكم وانصف من نفسه عرف كيف يصون ولايته

من الخلل بان يشمل بنظره جميع رعيته لا يفرق بين الاجانب منهم
وذوي قرابته ولا بين ضعيف منهم وقوي وخص من بينهم اهل
الفلاحة بمزيد العناية والالتفات لانهم الحاملون لائقاله القائمون
بصالحه واعماله اذ لولاهم ما كان للملك قوام ولا تم له نظام وحيث
كانت الارض لا تفيد الا بقدر ما تستفيد لا فرق عندها بين
عظيم فتمكره ولا فقير فتحمره بل ان قام صاحبها بما يجب لها
وخدمها انتفع بها والا عدمها وهي على اختلاف انواعها لا يخلو شي
من اجزائها عن فائدة حتى الرمل الذي لا يصلح للزراعة لو وضع
منه شي في الارض السبخة او البرك المالحمة لاصلحها وكذلك اخراس
الارض لو نقيت مما فيها وحرثت لكانت اصلح من غيرها وكذلك
الارض الحجرية يؤخذ منها احجار للباني العظيمة ذات الاسوار فما
من انسان اقام في اي مكان وتيسرت له اسباب الراحة وانتفت عنه
الموانع الا تيسر له منه اضعاف قوته وتحصل على ما لا يتحصل عليه
غائص البحر لياقوته فلو فرض ان فداناً غرس اشجاراً الا تثمر وترك
الى نحو عشرين سنة لكان فيه من الخشب والقمم ما يقوم بهال عظيم
مع انه لم يلزم له الا قليل من العمل والعمال فما بالك لو غرس
اشجاراً ذات ثمر فلو فرضنا ان ذلك الفدان بعينه كان في المدة
المذكورة يزرع حبوباً لكانت فوائده اكثر منها في الحالتين السابقتين
فعلم من ذلك ان الناس تابعة للزراعة كثرة وقلة ولو كان ذلك
الفدان بعينه في ضاحية من ضواحي المدن قد هيا له صاحبه

محابس لريه وغرس فيه اشجاراً واجرى اليه انهاراً وجعل فيه عروشا
 أما كان بذلك يساوي اضعاف مثله من ارض المقرى والارياف
 وما ذاك الا لكثرة عماله واحنفاف الناس به فهذا دليل ايضا على
 انه كلما كثرت الناس بارض زاد محصولها وان الانسان لو خلى
 ونفسه لجعل من الارض المحجربة بساتين وكروما الا ترى ارض
 مرسليليا فانها كانت اولا جبالا ورمالا فاجتهد اهلها حتى حفروا
 فيها خنادق وطموا ارضها بالتراب واجروا اليها الماء ثم غرسوا فيها
 من انواع الفواكه والاشجار ما يستغل منه اموال عظيمة فلو احصينا
 عدد قرية وفرضنا انهم قائمون بخدمة ارضهم حق القيام لكان عددهم
 دائما في زيادة لان الجمع عليه عند ارباب الفلاحة ان الارض
 كلما خدمت زاد محصولها فليس محصول المحروث مرة كحصول
 المحروث مرتين ولا محصول الارض التي تسقى بماء المطر كالتي
 تسقى بماء العيون ولا محصول الارض التي سقيت كحصول الارض
 التي لم تسق وهكذا من محسنات الزراعة فالفلاحة لا شك انفع
 الصنائع اذا توفرت اسبابها واتفتت الموانع عن اربابها خلافا لقوم
 ذموها واستبجوها وعدلوا الى دماء الناس واموالهم فاستباحوها مع
 علمهم بان فوائد الفلاحة لا تعدها فوائد وادرار ارزاقها دائما
 متزايد وهم الاثنيون وسكان اسيا فكانوا يزعمون ان الفلاحة
 والتجارة ما يوهن القوى البدنية ويورث الذل للذرية فتركوا جميع
 الصنائع ولم يلتفتوا لما فيها من المنافع وعدلوا الى نهب الاموال

واسر ما قدروا عليه من نساء ورجال وعم ذلك جميع اوروبا
فانق خرابها وافسد العمار الذي كان بها وكان المنقطع للفلاحة
وقتل الارقاء ومن ياوي اليهم من الغرباء فارتحلت عنهم حينئذ
الفضائل الدثرية وقد كانت بقعتهم عين منبعها ومرج مرتعها وانظر
الى الرومانيين وما كانوا فيه من الخمول والتوحش فلما افاقوا
من خمولهم وتفتوا في الفلاحة علت شهرتهم وقويت شوكتهم ثم تقادم
بهم الزمن واهملوا امر هذا الفن واشتغلوا بالمحاربات قال امرهم الى
الخراب وضعفت دولتهم وانحطت صولتهم وانتهى بهم الحال الى
ان تقاسم ارضهم المتبررون وبالجملية فلم تر جهة اهلها فيها الزراعة
الا حل باهلها التحط والمجاعة

فقال الشيخ احسنت الا انه بغير العدل لا يتم صلاح اذ لولاه
ما قدر مصل على صلواته ولا عالم على نشر علمه ولا تاجر على
سفره وهو صفة في الذات تقتضي المساواة وهذه الصفة اكمل
الفضائل لشمول اثرها وعموم نفعها واليها الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم بالعدل قامت السموات والارض وتوضيح الكلام يحتاج الى
مقدمة في هذا المقام ذلك ان الله تعالى لما خلق الارض ودحاها
واخرج منها مائها ومرعاها وبث فيها من كل دابة فكان فيما خلق
نوع الانسان ولعلمه انه ليس كغيره من سائر الحيوان احوج بعضه
الى بعض في ترتيب معاشه ومؤنه وتحصيل ملبسه ومسكنه لانه
ليس كسائر الحيوانات التي تحصل بنفسها ما تحتاج اليه من غير

صنعة بل خلقه ضعيفاً لا يستقل وحده بامور معاشه
ثم مست الحاجة بينهم الى سايس عادل وملك عالم عامل
يضع فيهم ميزاناً للعدالة وقانوناً للسياسة توزن به حركاتهم وترجع
اليه معاملاتهم وكان مباشرة هذا الامر من الله تعالى بنفسه من
غير واسطة على خلاف ترتيب الملكة وقانون الحكمة فاستخلف
عليهم من الادميين خلائف وضع في قلوبهم العلم والعدل ليحكموا
بها بين الناس حتى يصدر ترتيبهم على قانون مشروع وتجمع كلمتهم
على امر متبوع ولا تتحقق العدالة الا بعد العلم باوساط الامور المعبر
عنها بالصراف المستقيم ولا تؤثر عدالة الشخص في غيره الا ان
اثر اولاً في نفسه اذ التأثير في البعيد قبل القريب بعيد قال
تعالى اُتَمَرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَسُونَ انْفُسَكُمْ فَمَنْ عَدَلَ فِي حُكْمِهِ
وَكَفَّ عَنِ ظُلْمِهِ نَصَرَهُ الْحَقُّ واطاعه الخلق وصفت له النعماء واقبلت
عليه الدنيا فهنئ بالعيش واستغنى عن الجيش وملك القلوب وأمن
الحروب ولم يخلق الله تعالى احلى مذاقاً من العدل ولا امر من
الجور لان اسر الملكة واركانها وثبات احوال الامة وبنائها
العدل والانصاف سواء كانت الدولة اسلامية او غير اسلامية فما
قاعدة كل مملكة واصل كل سعادة ومكرمة

فالواجب على الملوك وولاة الامور ان لا يقطعوا في حكم الا
من القانون المصنوع لهم سواء في ذلك العادات والزواج والامر
والمعاملات لانهم متصرفون في ملك الله وعباد الله بشريعة الله

ولذلك قالوا صنفان اذا صلحا صلحت الامة واذا فسدا فسدت
 الملوك والعلماء وقالوا اذا هم الوالي بالجور او عمل به ادخل الله
 النقص في اهل مملكته وفي كل شي حتى في التجارات والزراعات
 واذا هم بالخير او عمل به ادخل الله البركة في اهل مملكته وفي كل
 شي حتى في التجارات والزراعات فلا يصلح لهذا المنصب الا من
 قطع من الطمع امله ووافق قوله عمله وكذلك عماله ونوابه والا
 كان كما قيل

ومن يربط الكلب العقور ببابه
 فعقر جميع الناس من رابط الكلب

المسامرة التاسعة والثمانون

فرساي

وما وصلوا الى هذا المقام من المقال حتى وقفت بهم العربية
على باب الجنينة التي قصدوها فنزلوا وقصدوا القصر اولا ليروا ما
فيه من العجائب فدخلوه ولم يتركوا محلا منه حتى نظروه فرأوا فيه
صوراً وتمائيل واشياء كثيرة من هذا القبيل منها ما هو على صورة
عساكر مصطفة ومنها ما هو على صورة طير كأنه يناغي الفه ومنها
ما هو على صورة نساء في غاية الجمال ومنها ما هو على صورة خيل
مسومة وكأنها متهيئة لنزال او هجوم

ومنها ما هو على صورة بعض الملوك الاول ورجال الدول
فكانوا كلما مروا بصورة شرحها الخوaja الشيخ ولو لم يسأله عنها
فلما خرجوا قال الانكليزي للشيخ ايها الاستاذ كيف ترى فيما فعلت

حوادث الزمان وخطوب الحداث وتحوّل الاشياء عما كانت عليه
وخروجها عن موضوعها

فقال الشيخ كيف ذلك وما الذي خطر ببالك فقال ان
هذا القصر كان محلا للملوك لا يصل اليه شريف ولا صعلوك فلما
تقلبت به الايام وامتدت اليه يد الزمن عاما بعد عام اضحل حاله
وآل الى ما ترى مآله والذي وضع فيه الصور والرسوم التي رأيتها
هو لوي فيليب فلورأجه قبل قيام الفرنسيين حين كان مركز دائرة
الحكومة ومحل فصل كل مشكلة وخصومة فكان غاصا في النهار
باصحاب الحاجات والليل بانواع الملاهي والمستلذات ولولم يضع
فيه هذا الملك هذه الرسوم ما جنح اليه احد

فقال الشيخ ليس ذلك من الدهر بعجيب ولا عند ارباب
المعارف بغريب فكم لعبت الايام بمثله حتى ازالته من اصله كما
قال

هي المقادير تجري في اعنتها

فاصبر فليس لها صبر على حال

يوماً تريك خسيس العقل ترفعه

الى السماء ويوماً تخفض العالي

اذ من المعلوم ان الدهر لا يبقى على حاله بل لا بد له من

اعطاء ومنع وتخفيض ورفع وحركة وسكون وظهور وكفون وصحة

وعلّة ويسار وقلة فلا يدوم على حال الأ الكبير المتعال
 وأما الكون أجمع وما حوته جهاته الأربع فلا يخلو عن
 صحة وفساد وضلال ورشاد على حسب ما اقتضته ارادته العلية
 ودبرته حكمته الخفية فترى الشيء قد كسي حلل اليها وعلاه رونق
 المحسن والأزدها وعن قريب تراه قد حل به الفضا كل ذلك
 لمحكم وأسباب منها ما علم ومنها ما ضرب دون العلم به المحجاب
 ومن تصفح تواريخ الامم وتنبع اخبار الناس من عرب وعجم وجد
 ان كل زمن لا بد فيه من تغير ومحن ومن يطلع الآن على هذا
 المكان ويتامل في بنيانه واتساعه وإتقانه وما أخذه من الارض
 يحكم على واضعه بالغرور ولكن هكذا دأب الأسان على ممر
 الدهور فانه كلما تمني حالة وبلغها تمني اعلى منها وهكذا الى ان
 يأتيه هادم اللذات ومشتت الجماعات فيجده غريقاً في بحر شغلته
 فيجذب به من بين اهله واجبته فهناك تنقطع علايق اوهامه وتثبت
 حبال اغتراره بأيامه ولنترك الآن الكلام في هذا الشأن وادخل بنا
 البستان نريج الخاطر باستنشاق ارجه العاطر ومنتع الناظر بزهره
 الزاهر فساروا حتى دخلوه فكانوا كلما مروا بنوع من ازهاره او
 ناحية من نواحيه او شجرة من اشجاره ساله الشيخ عنها فيطلب له
 في وصفها وخواصها ولطفها الى ان وصلوا كهفا حوله اشجار يسمع
 منه تغريد اطيبار فوجدوا عنده مصطبة من حجر لجلوس كل من

مرّ فجلسوا وانفق ان ذلك اليوم كان يوم فتح مجاري المياه بجمع
فيه خلق كثير من اهل باريز وغيرهم فحصل عند الشيخ من العجب
ما ذهب به كل مذهب فسأل صاحبه الانكليزي عن اصل هذا
المكان وعن زخرفه واتقنه هذا الاتقان

فقال له الأولى ان تسأل في ذلك صاحبنا الفرنسي لانه
ادرى باحوال بلاده فقال له الفرنسي هذا من حسن اخلاقكم
والأفتاريخ هذه البقعة مشهور بين الخاص والعام من اهل
اوروبا لان له حوادث جسيمة في ازمة مختلفة ترتب عليها
تقلبات كثيرة. فيغلب على ظني انها بعض معلوماتكم ولكن هكذا
يكون الظرف عند اربابه فاقول ان هذا المكان لم يكن في الاصل
كما تراه الآن بل كان بقعة لا تؤلف ولا تسكن ما بين منخفض
وعال ومجاري مياه وتلال لا شيء بها سوى غابات ولا ياوي
اليها الا الحيوانات وكذلك المدينة التي تراها على ما تراها عليه لم
تكن الا عبارة عن كفر صغير مشتمل على قليل من البيوت
كالعش لا يسكنه الا اوغاد الناس وطغاهم هكذا كان اصل
هذه البقعة ثم في القرن السادس عشر من الميلاد انشئ به كنيسة
ثم مارستان لمعالجة من يمرض من خدمتها لانهم كانوا رهبانا لا
ماوى لهم سواها فبقيت كذلك مدة واعظم محل كان بها في ذلك
الوقت بيت لاحد البروتستانتين الذين نجوا من القتل في واقعة

برقمي ثم قبض عليه وقتل واستولت الحكومة على جميع متروكاته
وانعم ببنته على بعض من يلوذ بالملك الى ان تولى لويز السادس
عشر فاخذ ارض ذلك البيت واطاف اليه ما يجواره من الارض
وانشأ في الجميع قصرًا وحديقة

فقال الشيخ اذا كان هذا المكان في الاصل على ما ذكرت
من الصفة فما الذي اعجبه منه حتى الفه

فقال الفرنسي لا شيء الا انه كان يهوى الصيد وكان
ذلك المكان بطريق غابة مشهورة بالحيوانات الغريبة ولم تكن
سكك الحديد وقتئذ موجودة فاتفق انه ذهب مرة ليصطاد
فامسى عليه الوقت فبات فيه في طاحونة مهجورة وامسى عليه
الوقت مرة اخرى فبات في خماره فاشترى تلك الارض وما بجانبها
ووضع فيه ما يلزم له لياوي اليه اذا حصل له مثل ذلك ثم لما
اتم القصر والحديقة شرع في عمل سكة الحديد بين قصره وباريز
واجتهد في تصفية هوائه فجمع العمال من الرجال وازال ما كان
حوله من التلال وطم المنخفض وردم المناقع فألفه الناس واتخذوا
لم به مساكن فانسعت عمارته وتغيرت صفته ثم مرض الملك
مرضا شديداً فوكل امر الملك الى امه ماري ميديسي فاسأت
التدبير ولم تعول في امر الملكة على وزير ولا مشير بل سلكت
طريق العسف ففسد ما بينها وبين رجال الحكومة خصوصاً
ريشليو وكان من اعيان رجال الدولة واقربهم الى الملك فانها

فعلت معه ما لا ينبغي فعله مع مثله فلما برى الملك من مرضه
 وجلس محله رأودته أمه في طرده وطرده من بيتي اليه فلم يوافقها على
 ذلك بل ارسل اليه ليرده الى ما كان عليه فوجده متأهباً للخروج
 من البلد خوفاً على نفسه من سعاية ام الملك به فامته فعدل عما
 كان عازماً عليه وحضر الى الملك وترجاه في ان لا يعود الى
 الخدمة لئلا يقع بين الملك ووالده شيء بسببه فلم يقبل عذره
 بل الزمه المقام معه لعلمه بصداقته وكفايته فلما لم يجد له مخلصاً
 من المقام معه قال له ان كان لا بد من ذلك فاول ما اشير
 به عليك ان تعمل طريقة نأمن بها شر هولاء المفسدين اشارة لقوم
 ساهم وفيهم والدة الملك فقال له الملك هذا رأي سديد وكلما
 اشرت به في حقهم قريب غير بعيد فقال ينبغي نفي فلان وفلان
 حتى الوالدة ففعل كما قال وامر بنفيهم في الحال حتى والدة
 فلم تعد للملكة بعد ذلك وجعل الحبل والعقد بيد ريشليو
 فنفذت كلمته وقويت شوكته وقام بتدبير الملكة وحده وبلغ
 من نفوذ الامر وحسن الراي حداً لم يبلغه احد قبله ولا بعده
 فاكتسبت هذه البقعة في تلك المدة من الرونق والبهيا ما يجلب
 عن الاحصاء ثم لما مات الملك وجلس محله ابنه لويز الرابع
 عشر احتفل بها وصرف فيها اموالاً كثيرة حتى نقلها الى حال
 احسن من حالها الاول فكان هو الذي اتقنها هذا الاتقان
 وجعلها على هذه الصورة التي تراها الان فان الملوك الذين

اتوا بعده وإن كان لهم بها اثار الا انها ليست شيئاً بالنسبة
 لما ابتدعه هو كما هو ظاهر فجميع ما تراه فيها مما يسر الناظر
 ويشرح المخاطر ليس الا من اتقان الملك المذكور وكان الذي
 اغراه على هذا المكان حتى ابرزه في غاية من الحسن والاتقان
 عشقه لاحدى تواع الملكة وكان لا يتمكن من منادمتها الا في هذا
 المكان فما اغراه واغواه الآداء الحب الذي اعتراه ففصل هذه البقعة
 تفصيلاً غير تفصيلها الاول وجمع فيها الرسوم الهندسية وصور
 الحيوانات وغرس حول بعض الاقسام ازهاراً وحول بعض اخر
 اشجاراً ورتب في كل جهة فساقى وحيطاناً ونوافير وخلقجاناً ومغارات
 وصخوراً ونحو ذلك من كل ماله نظير في البراري والبحور
 وجعل فيها اماكن لمن اراد ان يستريح من التعب واماكن لمن
 اراد اللعب واماكن للحيوانات البرية ومثلها لانواع الطير وكان
 يعمل بها في بعض الاوقات ولائم يصرف فيها ما لا يصرفه ايام المواسم
 ولما رأى ان ماء البرك المجاورة لها لا يفي بما انشأه فيها من الفساقى
 والخلقجان وسقى الاشجار جمع المهندسين وامرهم بعمل طريقة لتكثير
 الماء بها فصنعوا لها آلات جسيمة تنقل الماء من نهر السين اليها
 وصرف على ذلك اموالاً عظيمة حتى وصلت اليها فلم يكتف بذلك
 بل جمع العساكر والعمال وامرهم بحفر النهر المعروف بنهر الاور
 فاقاموا في حفره مدة كابدوا فيها انواع المشاق ومات كثير منهم
 ومع ذلك كان لا يرثي الحالم ولا يراف بهم بل كان يتهدد

المأمورين ويوعدهم ويعاقب كل من تأخر عن العمل
 قال بعضهم انه اجتمع في حفر هذا النهر ما ينيف على
 ثلاثين الفا واما قدر ما صرف على القصر فلم اتحققه الا اني
 رأيت بعض اوراق تدل على ان ما صرف فيه مائة وتسعون
 مليوناً وقتئذ هذا ومع قيام الحرب واشتعال نارها كانت العملية
 في القصر مستمرة ما بين نقاشين وبنائين ومصورين الى ان اشرف
 الملك على الارتحال وقربت اليه اوقات الزوال فبنى كنيسة رتب
 فيها قسسا وخدماء فكان يحضر اليها كل يوم احد وخميس فقلده
 في ذلك اتباعه وخواصه فكان اذا حضر اليها تبعوه وازدحموا عليها
 واذا تخلف لم يحضر منهم احد وكان غالب ايام ذلك الملك مصروفة
 في تنظيم هذا المكان فكان يقسم اوقاته فيجعل وقتا لنومه ووقتا
 للمطالعة في اخبار دولته وقومه ووقتا لخلوته واجتماعه باحبته
 ووضع بجانب سريره لوحا عليه رسم صورته وصورة امه وزوجته
 فاذا اتبه من نومه كانت تلك الصور اول ما يقع بصره عليه وكان
 اذا جاء وقت قيامه من نومه دخل عليه الموكل بخدمته فينبهه ثم
 يخرج ويدعوه بالحكيم ومن يلوذ به فيغمزون رجله ويلقون عليه
 بعض عبارات غزلية وكلمات هزلية حتى يعود اليه نشاطه وتراجع
 اليه حواسه ويتم انبساطه ثم ترفع الستارة فيدخل عليه احد خواصه
 ومعه كتاب الدعوات فياخذه منه ويدخل به خلوة فيمكث فيها
 ما شاء ثم يعود الى مكانه ويلبس ثيابه ويخرج فيجد القسيس والعمال

في انتظاره فاذا وقع بصره عليهم وقعوا له ساجدين ثم يامر كلا من
 عماله بالانصراف الى اعماله فينصرفون ويبقى هو مع بعض خواصه
 يتحدثون في حيل الصيد وانواع المصيد هكذا كان دابه فانظر الى
 هذه المدينة بعد ان كانت في اول امرها كغراً لا يذكر كيف صارت
 احسن مدينة في الدنيا وما ذاك الا لاقامة الملوك بها واخفالم
 بشأنها وتنظيم شوارعها وجمع انواع الملاحب في مراتبها فعمرت
 ضواحيها وملاأت الخلق نواحيها وانشي بها خماير كثيرة ومحلات
 مزخرفة لمبيت الاغراب وورد اليها الخلق من كل جهة خصوصاً
 ايام اطلاق المياه وغلت اجرة البيوت بها غلوا لا يخاطر ببال وقل
 ان يوجد بها محل الاجرة خال فكانت فرساي مدة جلوس لوزير
 الرابع عشر على التخت محل انس وانسراح وولائم وافراح ثم اتى
 ولده من بعده فلم يجر على سنن والده في تقسيم اوقاته على ما قدمنا
 بل صرفها جميعها في حظوظه النفسية ما بين مخادنة نساء وفجور
 ولعب وهو وشرب خمر حتى كان من شدة اكبابه على المنكر مع
 احبابه يجعل له آلة توصل اليه ما لزم من غير احتياج الى خدم
 فاقبل عليه المفسدون من كل حدب وحسنوا له التبيح من الشهوات
 واغروه بسائر المنكرات فعم الفساد وانتشر بين العباد ولا تسلم عما
 كان يهديه الى النساء فانه ما يجلب عن الاحصاء وقد بلغني من
 فعله التبيح واسرافه انه اهدى مرة الى بعض صواحيه قلادة ثمنها
 مليون وستائة الف فرنك فانظر كيف كانت هذه البقعة مدة

لوزير الثالث عشر ومدة من جاء بعده وكيف صارت مدة لوزير
السادس عشر من حسن حالها واستقامة احوال نساءها ورجالها
حيث كان حسن السيرة ممدوح الفعل والسريرة يحب العلم واهله
ولم يرتكب شيئاً مما ارتكبه من كان قبله الا ان الزمن الذي كان
تصرم في الفساد قد الزم الرعية وكذا الحكومة بديون لا يرجى لها
سداد فشكوا اليه ذلك فرق لحالم واخذ يجمع ما تشتت من شملهم
ويهون عليهم الامور ويعدهم ويمنهم بما يجلب لقلوبهم السرور
وكان الذي قبله قد شرع في اعمال جسيمة نافعة كبناء ميناء شربور
وحفر خليج سربوني مع خلو خزانة المملكة من الدرهم والدينار
واضطرار الرعية الى من ينظر في احوالهم اشد اضطرار فجمع النواب
وكل من اشتهر من روساء الطوائف فكانوا الفا ومائتين واربعة
عشر وجعلهم ثلاث درجات

الاولى القسيسون ومن يلهم فكانوا ثلاثمائة وثمانية
الثانية اعيان المدينة ووجوهها فكانوا مائتين وثمانية وتسعين
الثالثة اعيان الزراع وعرفاء القرى وارباب الضياع فكانوا
ستمائة وسبعة وامر بتهيئة محل لهم يجتمعون فيه فبيثوا لهم المكان
الذي هو مدرسة ابتدائية الان وعينوا يوماً لافتتاحه فحضر الملك
وكان عن يمينه اهل الديانة وعن يساره وجوه اهل المدينة وجلس
الوزراء على قدر مراتبهم وكانوا جميعاً في ذلك اليوم قد حضروا
وعلمهم ملابس الزينة الموشاة بالذهب وغيره ما عدا الاهالي فكانوا

بهياتهم المعتادة وبعد ان كان هذا المجلس يسمى بمجلس النواب
 اطلقوا هذا الاسم وسموه بمجلس الملة ولما كان من عادة امثالهم في مثل
 ذلك ان ينزعوا برانطهم ويظلموا واقفين ولم تراخ تلك العادة في
 ذلك الوقت قال بعض المحاضرين هذا خروج عن العوائد
 الرسمية وخلل في القوانين السياسية واكثروا من الكلام في ذلك
 فلم يلتفت الملك اليهم وشرع في مقالة تلاها عليهم فذكر فيها مسألة
 الدين وعدم انتظام عوائد الفردة ونحو ذلك من الامور التي تضرر
 منها الاهالي ثم ختمها بامر النواب بالاتفاق على طريقة لاصلاح
 خلل هذه الابواب ثم قام ناظر الخاصة وتلا مقالة بين فيها ما
 اجمله الملك في مقالته فذكر ان قدر الدين ثلاث مليارات وتسعون
 مليوناً وان الايراد لا يقوم بالمنصرف بل يتقص عنه في كل سنة نحو ستة
 وخمسين مليوناً وخمسمائة الف فرنك وان قدر الايراد خمسمائة
 وواحد وثلاثون مليوناً واربعائة واربعون الف فرنك وان من
 العدل والانصاف ان تكون وجوه الناس كغيرهم في الفردة وان
 جميع ما يلزم للحكومة يوزع على جميع النفوس من غير تمييز بين رئيس
 ومروءس ثم قال فاما ان نتفقوا جميعاً على كلمة واحدة واما ان
 تبدي كل طائفة ما يظهر لها وعلى كل لا بد من اعمال الفكر في
 تخليص الحكومة من ورطة هذا الامر ثم اذن لهم بالانصراف
 فانصرفوا فلما كان اليوم الثاني حضروا فقالوا الصواب صرف
 النظر عن اراء رؤس الطوائف وان يؤخذ راي كل شخص على

حدثه فمن كان اكثر عمل برأيه فنفر بعضهم من هذا الرأي فلما بلغ
 الملك ذلك امر بعدم تغيير المعتاد ونهى عن الدخول في كل امر
 يوقع بين الناس الفساد واذن لهم بالانصراف فانصرفوا واغلقت
 الابواب فنشأ من ذلك امور لا يحصرها لسان ولا يحيط بها جنان
 كما هو مذكور في تواريخ الامة الفرنسية فترتب على ذلك تدوين
 الاحكام السياسية والقوانين الفرنسية وظهر نابليون بوناپرت
 وتعبت الدول على الامة الفرنسية فانتصر عليهم وسنتكم على
 ما وقع بين هؤلاء القوم في يوم بعد هذا اليوم

المسامرة التسعون
الجيولوجيا
او علم طبقات الارض

ثم ركبوا سكة الحديد وتوجهوا الى باريز فصادف دخولهم
غروب الشمس فاستأذن صاحبهم الفرنسي وتوجه الى منزله وبقي
الشيخ مع صاحبه الانكليزي ولما لحق كلا منهما من التعب من كثرة
المشي طول يومه استأذن كل منهما صاحبه ودخل محل نومه وعند
الصباح اتى الفرنسي الى الانكليزي فاخذه وذهب به الى الشيخ
فتلقاها بالقبول واحسن لها في القول ثم قال الفرنسي للشيخ
كنت كتبت الى صاحبنا الانكليزي كتابا رجوته فيه تبليغ السلام
الى حضرتكم وان يترجمكم في قراءة دروس لنا في علم العربية
بالمدرسة المشرقية وقد سألته البارحة عما تم عليه الامر فاخبرني انكم

قبلتم رجاءه فارسلت الى اعضاء الجمعية ابشرهم بذلك فسروا جميعا
غاية السرور وكانوا يظنون ان اجابتكم الى ذلك من ابعد
الامور

فقال الشيخ قد نجحت مقاصدكم لا خاب قاصدكم وكيف امتنع
من ذلك والعلم بنهي اهله ان يمنعوه اهله وها انا مستعد لما ترومون
ومتهمي لما ترغبون ولم يكن الباعث لي على اجابتكم ما ذكرتموه في
المكتوب الذي حررتموه بل اقول كما قال انا موصول بنعمة من
حبله بالود موصول ثم اتفقوا على اليوم والساعة وقام الفرنسي
مع الانكليزي واذا بابن الشيخ دخل عليه وقبل على عادته يديه
فاخبره والده بما صار وبما انخط عليه القرار وانه عازم على انجاز
الوعد ومتوجه اليهم في بعد غد

فقال له ولده ان يعقوب اخبرني حين استشعر بهذا الخبر ان
له رغبة في حضور هذا المجلس ولكنه يخشى ان لا يأذنوا له
فقال له الشيخ قل له عني لا عليك من ذلك ولا مانع من
حضورك معنا هنالك ثم اذن لابنه بالانصراف وحذره من تضييع
الوقت اذا اراد الطواف وكانها كانت كرامة للشيخ فان يعقوب كان
قال له قبل دخوله على والده ان هنا مكانا على نحو ساعة من
باريز يعمل فيه في مثل هذا اليوم كما يعمل في الموالد في بلادكم
وفيه ما يشرح الخواطر ويسر النواظر فلما خرج من عند والده
واخبره بما قيل في شأنه تم انبساطه وتنبه نشاطه وقال له هل لك

في الذهاب الى هذا المكان لنرى ما فيه وتنتشق نemat هاتيك
الجنان فلم يجد له بدا من الموافقة عملا بقولهم شرط الموافقة الموافقة
فركبا عربة وسارا فقال له ابن الشيخ اتذكر ايام كنا راكبين البحر
حين كنا نرى دخانا صاعدا الى السماء فكنا نراه في الليل كأنه
مخلط بشهب وهب وكان الخواجا يقول لوالدي انه خارج من
جوف الارض فاظن ان هذا من ذلك وذلك يقضي بوجود حرارة
شديدة في جوف الارض حتى تذوب منها هذه المعادن والاحجار
وتندفع على وجه الارض وتثنى سلينا ذلك فكيف وصل الانسان
الى جوف الارض حتى علم ما هناك

فقال له يعقوب قد سألت عن مسائل مشكلة والاجابة عنها
على مثلي معضلة ولكن على حسب الامكان اذكر لك ما يحضرنى
فيها الان مما سمعته من بعض العلماء واطلعت عليه في كتب
الفلاسفة الحكماء انما يجب ان تعلم اولاً انه لا ينبغي للانسان ان يحكم
على الاشياء بظواهرها وانها كانت كذلك من اول امرها فان
الارض التي تراها مكسوة باصناف النبات مملوءة بانواع الحيوانات لم
تكن قبل ذلك كذلك حتى المدن التي تراها الان عالية البنين
معمورة بالسكان لم تكن كذلك بل لا بد وان يكون قد تداول
عليها تلبات منها ما اوقع اهلها في مضرات ومنها ما البسهم ثياب
ثروة وسعادات فاذا كان هذا فيما على ظاهر الارض فلا مانع من
ان يكون ما في باطنها كذلك فانالو نزلنا الى ما في جوفها من مغارات

عميقة كمغارات الفحم الحجري مثلاً لوجدنا حرارة باطنها اشد من حرارة ظاهرها وهكذا كلما نزلنا ثلاثة وثلاثين متراً نجد حرارة اشد مما فوقها وايضاً فان الارض مركبة من طبقات ومعادن بعضها فوق بعض منها المستقيم وغيره وقد يكون بعض الطبقات مفصولة عن بعضه بمادة ليست من جنسه وغير ذلك مع اننا لو نزلنا الى باطن الارض وامعنا النظر لوجدنا في خلال مادتها بعض عظام واثربعض نبات فمن اين كان هذا النبات والحجوان واي حيوان كان ومتى كان في هذا المكان أفلا يدل ذلك على وجود تقلبات مضت في الاعصر والازمان التي انتقضت وقد اعنى علماء كل زمان بالبحث عن هذه العظام فظهر لهم انها عظام حيوانات كانت في ازمان مضت ثم انقرضت عن اخرها

وحيث كانت تلك العظام غائرة في جوف الارض وعلى بعد عظيم من سطحها ينبغي القطع بمرور تقلبات عظيمة وادوار مختلفة اوجبت بلاءها وامتزاج ما بقي منها بالمواد المعدنية والحجرية فقال له ابن الشيخ واي علم يشرح هذا الحديث وهل هو قديم او حديث

فقال يعقوب العلم الذي يذكر فيه ذلك يسمى باللغة الفرنسية علم الجيولوجيا ومعناه علم طبقات الارض او علم تكوين الارض وهو علم حادث لم تؤسس قواعده ولم تنتشر فوائده الا في القرن السابع عشر من الميلااد ومستنده المشاهدات والاطلاع على ما خفي من

طبقات الارض فكانوا كلما كشف لهم شي اثبتوه واستتجوا منه
غيره ولذا ترى هذا العلم دائماً يتسع شيئاً فشيئاً وهو علم نفيس اذ
به يمكن نسبة كل طبقة من طبقات الارض الى الزمن الذي
تكونت فيه واخشى ان تكلمت معك فيه ان تسأم من طول
المقام او كثرة الكلام

فقال قل ما شئت ولا تقصر في الايضاح ولا تبخل بالافصاح
فاني لكلامك سامع

فقال يعقوب اذ قد الزمتني بالاجابة وان ابين لك خطأ
الراي وصوابه فاقول

اعلم ان علماء هذا الفن يقولون بتغير ظاهر الارض وباطنها
اما تغير ظاهرها فما هو مشاهد لكل احد واما تغير باطنها فقد استدلوا
عليه بشيئين احدهما ما وجدوه في خلال طبقاتها من الاثار
الحبوانية والنباتية والثاني الاتقاد والاشتعال الذي وجدوه في
باطنها كالذي رأيناه حين كنا بالبحر فلما رأوا ذلك قالوا لا بد
ان يترتب على هذا الاتقاد فوران وغليان يوجب تعدد
الطبقات وارتفاع كل طبقة على التي فوقها وان تغلغل بعض
اجزاء الطبقات السفلى بين اجزاء الطبقات العليا ومن ذلك
العظام ونحوها وكان البحث عن هذا الامر في اول الزمن
مجهولاً فكان بعض القدماء اذا رأوا اثر حيوان او نبات اكتفوا
برؤيته ولم يبحثوا عن سببه وبعضهم بعده جزء من اجزاء الارض

وبعضهم ينسبه الى ما يشبهه من الحيوانات الا انه كان يخترع له
 بعض حكايات خرافية واقوال وهمية فينتقلها عنهم من يأتي بعدهم
 ثم من بعدهم وهكذا فمن ذلك ما نقل عنهم وكانوا قد رأوا عظما
 يشبه بعض اعضاء الانسان فنسبوه اليه وقدروا له طولاً وعرضاً
 غير طولها وعرضه المعروفين

واول من تكلم في هذا الفن العالم الشهير الفرنسي المسمى
 بيرنار باليس وكان في القرن السادس عشر من الميلاذ فالف في
 ذلك كتابا بين فيه ان جميع الاثار النباتية والحيوانية التي توجد
 خلال الاحجار لم تكن الا بقايا حيوانات واشجار كانت مخلوقة في
 قيعان البحر ومحلها الان هو الذي كانت خلقت فيه من قدم الزمان
 ثم اتى من بعد هذا العالم في القرن السابع عشر علماء ايتاليون
 فاقتفوا اثره وقالوا برأيه وصاروا يكتبون كلما رأوه من الاثار
 وينسبونها الى اصولها ومن ذلك العهد اتسعت دائرة هذا العلم وكثر
 اهله ثم انهم اتقسموا قسمين قسم ينسب تكوين الارض الى النار
 وقسم ينسبه للماء وكل اقام على مذهبه دليلا اسس قواعده واثبت
 بالبراهين فوائده مع اجماعهم على ان جميع ما يوجد من اثار الحيوانات
 والنبات كان له اصل في الخلق وطريق الاستنباط من هذه الاثار
 طويل لا حاجة لنا به الان فعلى اي حال لولا وجود هذه الاثار
 واشتغال اهل هذا الفن بها اناء الليل واطراف النهار لكان هذا
 العلم الى الان في حيز الاهمال كعلم قدماء المصريين فانه بقي زمنا

طويلا لا يلتفت اليه وكان كثير من الناس يظنه مجرد نقش
 وصور ولا يخطر بباله انه من عظيم الاثر الى ان ظهر شامبليون
 الفرنسي فتأمل في اصوله وقواعده واظهر الخبايا من فرائده حتى
 وقف على تاريخ المصريين وعلم كثيرا من حوادث الاقدمين
 فكذلك هذا العلم فان العالم الشهير المسمى كوفي الفرنسي ما
 تكلم على تكوين الارض والتقلبات التي استمرت من بدء الخلق الى
 زمنه والتي تعتبرها الى الان الامن تتبعه تلك الاثار وامتحانها
 ونسبتها الى ما يشبهها واما اشتعال المواد وانقادها في تخوم الارض
 فكان الاقدمون يقولون به فوافقهم على ذلك المناخون وبنوا ذلك
 على امور منها ازدياد الحرارة كلما تعمق الانسان وتغلغل في جوف
 الارض فانه كلما نزل ثلاثة وثلاثين مترا زادت الحرارة درجة كما
 تقدم ومنها البركان والمياه النابعة من جوف الارض ومنها البخار
 الذي يصعد من جوف الارض في بعض البقاع فهذا كله دليل
 على وجود الحرارة

وبناء على ما قلنا من زيادة الحرارة درجة في كل ثلاثة
 وثلاثين مترا تكون الحرارة في المركز ١٩٥٠٠٠ درجة وعند ذلك
 تكون جميع المواد التي في هذه الدرجة تامة السيلان ويؤخذ مما
 اسلفنا ان الطبقة الظاهرة التي تجهدت بتأثير البرودة كانت قبل
 ذلك سائلة بتأثير المواد السائلة والابخرة المحبوسة تحت الارض
 فلما اثرت البرودة في القشرة الظاهرة جمدت المواد المتذوقة المهاسة

لها وتنقص حجمها نحو العشرة كما هو شأن كل مائع تجهد
 وحينئذ تجسور الطبقة الارضية التي هي ظرف اوسع من
 مظروفها فربما كان بينه فضاء وقد يمتلأ واذا حصل في الظرف
 انخفاض وارتفاع تكوّن من على ظاهره ما يسمونه سلاسل الجبال
 وقد ينفخ الظرف فتحات فتخرج منها مواد سائلة فترتفع الى الجوّ ثم
 تسقط على سطح الارض فيكون منها هذه الجبال الشائخة الموجودة
 في جميع جهات الارض هذا اذا كانت الفتحات واسعة فان كانت
 ضيقة عادت المواد المتدفقة منها اليها فكان ما يسمونه العروق
 المعدنية او الحجرية وقد يكون الخارج من تلك الفتحات مواد
 معدنية او حجرية فينتحلل منها مواد ملحية او جيرية او غير ذلك فاذا
 اخلطت بالبجارج كان من املاحها ما يسمونه ارض الرسوب فاذا
 تقرر ما ذكرناه من احوال القشرة الارضية وما يعرض لها علمنا انه
 مغير لصورتها ومبدل لهيئاتها وانه ناقل للبجارج عن مواضعها ولكن
 لا يكون ذلك الا بعد مضي ادوار من الزمن طويلة تسكن الارض
 وتستقر في كل دور منها فتنتقل المواد السائلة منها الى مواضع
 قريبة او بعيدة عنها على اختلاف تأثير الماء قوة وضعفا فاذا استقرت
 كان ما يسمونه الارض المتقولة وما ذكرته لك في بيان اصل
 الجبال والصخور والبركان والعروق المعدنية وتموج الطبقات
 الارضية وقذف المواد السائلة في باطنها الى ظاهرها وتخلل بعضها
 بين طبقاتها وبيان ارض الرسوب والارض المتقولة انما هو على سبيل

الاختصار والا فالكلام على ذلك بعيد الفرار
وقد جعل علماء هذا الفن جميع المواد المتذوفة التي تكونت
منها كرة الارض ثلاث طبقات

الاولى الطبقة التي كانت سائلة ثم جمدت بالبرودة وسموها
الارض المتبلورة

الثانية المواد التي في فرار الجار كالرمال ونحوها وسموها
اراضي الرسوب

الثالثة الاراضي البركانية وتسمى المتبلورة ايضاً الا ان تلك لها
صفات تميزها عن غيرها كالاثار النباتية والحيوانية وهذه تحدث من
تأثير المواد الكامنة تحت الارض وهذه الطبقات الثلاث وان كان
بعضها فوق بعض الا انها ليست على نسبة واحدة والا كانت معرفة
علم تكوين الارض سهلة لا صعوبة فيها اذ يتوالي فعل البراكين
وقذفها بانواع مختلفة في مواضع وازمان متعددة تكون الطبقات
التي تحدث ما يقذف نارة متقطعة وقارة تستحيل الى نوع اراضي
الرسوب ويتبدل النوع بغيره فحينئذ لا بد لكل من اراد ان يقف
على حقيقة اي ارض ان يعرف اولاً ما قيل فيها ومن اي نوع هي
ثم بعد ذلك يحكم عليها

فقال ابن الشيخ بقي عليك امور ذكرتها ولم تاتي لها ببرهان
قلت ان هناك حرارة مركزية ولم تذكر سببها وهل هي سابقة على
التكوين ام حصلت بعده وذكرت ان البرودة تؤثر في الارض

ونسبت اليها تجهد الطبقة الارضية السطحية حتى حبست بتجهدتها
 المواد الداخلة وانه يحصل في الطرف بواسطة البرودة ارتفاع في
 بعض المواضع وانخفاض في بعض اخر فتحدث الوهاد وسلاسل
 الجبال ولم تبين اسباب هذه البرودة وكذلك ذكرت المياه ولم
 تذكر سبب جريانها هل هو تلك المواد المقذوفة ام غيرها وعلى كل
 فإين كانت مواد التكوين قبل وجود الكون

فقال يعقوب لا تعجل علي فاني اعلم انك ستسألني عن ذلك
 كله وانما اخرت بيانه لضرورة تميم الكلام على المقدمات التي سمعتها
 فاذا ثبتت في ذهنك اتبعتها بذكر المقصود من هذا العلم وهو معرفة
 مادة الارض وكيف كانت قبل ان تكون بهذه الكيفية واي شي
 اثر فيها حتى صارت في هيئتها الحالية وجرت فيها المياه وعمرت
 بالانسان والنبات وسائر انواع الحيوانات فاقول لا يخفى عليك ما
 تقدم ان درجة حرارة مركز الارض كبيرة جدا لا يقاومها شي ولو
 كان في غاية الصلابة فعلى هذا يلزم ان تكون جميع مواد الكون
 في ذلك الحين بخارية وان يكون حجمها وقتئذ قدر حجمها جامدة
 الفأ وثمانمائة مرة ولذلك قالوا ان حجمها كان قريبا من حجم
 الشمس الذي هو قدر كرة الارض الغامرة ولكن بدوران المادة
 الارضية في الفضاء البارد المحيط بها من جميع جهاتها كانت تبرد
 بالتدريج الى ان انتقلت من الحالة البخارية الى حالة الميوعة ثم الى

الصورة الكروية التي يقبلها كل مائع وتوضيح ذلك يعلم من علم
يقال له علم تحريك الاجسام

وحيث كان للارض بدورانها حول محورها حركة خاصة
بها يترتب عليها تعاقب الليل والنهار كما هو مذكور عند اهل
هذا العلم حصل لها وقت ان كانت سائلة من الانتفاخ والاستدارة
ما يحصل لاي مائع دار حول محوره بان علت وانتفخت من وسطها
وهو المنطقة المسماة بخط الاستواء وانبسخت وهبطت من طرفيها وهما
المحلان المعروفان بالتطين فتغير شكلها وبعد ان كانت بخارية
صارت مائعة ولم تؤثر البرودة في جميع المواد بل منها ما بقي على
حاله الاصلية فكان منه جو عظيم السعة له اشعة متشرة في الفضاء
يتخلل منها بخرة الماء والمواد الارضية وانما لم تتجدد لان حرارة الجو
في ذلك الزمن كانت شديدة حافظة لبقائها على حالتها البخارية
ولان ضغط الجو على الكرة في ذلك الزمن كان اقوى من ضغطه
عليها الان لثقله بما فيه من البخرة المائية والترابية والمعدنية فلم
تتجمد وتنزل لشدة الحرارة والضغط وقتئذ ولا شك في ان جميع
بخرة الجو كانت فوق بعضها على حسب ثقلها وخفتها فكان اثقلها
اسفلها وهي الطبقة التي تلي الارض كالبخرة الحديدية والنحاسية
والبلاتينية فكانت هذه الطبقة في غاية الثقل والكثافة وفوقها بخرة
المواد الاقل منها ثقلا وكثافة كابخرة الاملاح المعدنية والكبريتية
والفسفور وفوق هذه الطبقة بخرة المواد الهوائية الخفيفة الصافية

كبخار الماء والاكسجين والازوت والاسيد كربونيك وهذه الانجزة
 كلها وان كانت متفاوتة ثقلا وخفة الا انها كانت دائما في قلب
 واستحالة من حالة الى حالة فكان ينفصل منها تيارات وعواصف
 فتمزق ما جاورها من الطبقات وتنفذ منها فيكون لها عند ذلك
 رعد وبرق اعظم مما تسمعه الان وكذلك كرة الارض تتأثر من
 المواد التي في جوفها فيحدث فيها كذلك تيارات شديدة تدفع تلك
 المواد الى جهات مختلفة فيتولد منها ما يقال له الكهربائية فيكون
 لها عند ذلك من الرعد والبرق والاصوات المختلفة فوق ما تسمعه
 الان هذا ما كانت عليه الارض والجو في مبدأ امرها وكانت
 الارض وما يحيط بها سائرة في مدارها في فضاء متسع محيط بها
 من سائر جهاتها وبسبب شدة برودة الفضاء التي كانت بحيث
 لا تنقص عن مائة درجة تحت الصفر كان كلما تقادم الزمن
 وقوي تأثيرها على الارض نقصت ميوعتها واخذ ظاهرها في
 الانجهد شيئا فشيئا ولم يجهد دفعة واحدة بل في نقط متفرقة
 وازمنة مختلفة ثم تجمعت واتصلت ببعضها حتى سترت الكرة الملتهبة
 ويظهر ان تلك الطبقة في ذلك الزمن كانت رقيقة جدا وان كان
 سمكها الان ثمانية واربعين الف متر لان نسبتها لنصف القطر
 كواحد من مائة وثلاثين فلرقتها كانت لا تقاوم المواد السائلة
 داخلها بل تتشقق من بعض المواضع فيخرج من باطنها بعض
 مواد ترتفع الى الجو ثم تسقط وتجمد فتكون منها الجبال والعروق

التي توجد خلال الارض في كثير من المواضع كالنحاس والتوتيا
والاشموان والرصاص وهذه العروق نارة تكون عمودية ونارة تكون
مائلة وكثيراً ما تكون على غير انتظام وقد يتفرع من تلك العروق
فروع ومن الفروع فروع اخرى الى ما لا نهاية له فمن ذلك
يظهر ان السطح الظاهري للارض كان مختلفاً في الاتجاه والارتفاع
والانخفاض والسعة والشكل والنضريس وبسبب استمرار التأثير
الداخلي عليها كانت دائماً تتغير الى ان وصلت درجة برودة السطح
حداً يمكن معه سقوط المواد البخارية من الجو على سطح الارض
بصفة الميوعة انما لشدة حرارة الجو كان الماء الساقط منه وقتئذٍ
شديد الحرارة ايضاً لان حرارته كانت مائة درجة فاذا نزل ووجد
ظاهر الارض شديد الحرارة لم يستقر عليها بل يتصاعد ثانياً ويقطع
طبقات الجو الى ان يصل الى الطبقة العليا ويحل في البرودة
فيستحيل من الحالة البخارية الى الميوعة وينزل الى سطح الارض
ثانياً في هيئة المطر فتحيله حرارة الارض الى بخار ويصعد في الجو
ثانياً وهكذا كلما نزل يتقلب بخاراً وكلما صعد يتقلب مائعا الى ان
يبرد سطح الارض فيستقر عليها لان الماء كلما نزل ياخذ جزءاً من
حرارتها فاذا برد سطحها استقر عليها ولم يستحل بخاراً ثم لم يزل
يزداد حتى عم جميع الارض وتسلطن عليها وتمكن من حبس الحرارة
في جوفها وان كانت في بعض الاوقات تتنفس بعض تنفسات
فيتغير شكل ظاهرها ومن ذلك الوقت ابتدأت الارض في دور

جديد ومع تسلطن الماء على ظاهرها لم يزل الماء الذي في باطنها
 شديد الحرارة ولما كانت الطبقة العليا التي هي ظرف لظاهر الأرض
 مركبة من السليس والانتيموان والبوتاسي والصودا وكانت هذه
 المواد تتأثر بتأثير الماء والهواء والحرارة حصل لها في تلك المدة
 استحالآت اوجبت استقرارها في قرار البحار وصار ينفصل منها جواهر
 دقيقة كالرمل ومواد طينية ومن شدة جريان التيارات المائية كانت
 تأخذها معها الى مواضع فتتركها فيها فتترسب فتتكون منها الأرض
 التي تسمى بأرض الرسوب ومن تأثر المواد الطينية بالحرارة ذابت
 وتجمعت فلما تعطلت الحرارة بردت فتكونت عنها الأرض التي تسمى
 بالأرض الشيستية أي ذات الصفائح التي منها الأردواز فمن ذلك
 يعلم أن الأرض الطينية الأردوازية فوق الأرض الطينية وإن
 الأرض في ذلك الزمن كانت عبارة عن جزيرة صغيرة يحيط بها
 ماء حار من كل جهة وإن البحار كان بها طين كثير فرسب
 بازدياد البرودة وعظم به سمك الطبقة السطحية وإن المواد الداخلة
 كانت تخرج منها فتكون جبالاً وصخوراً صوانية وشستية وإن
 البرودة كلما اثرت في الأرض نقص حجمها وتمزق سطحها وخرج
 منها مواد سائلة فتجمد وتستحيل الى صخور ومياه ممزوجة بمواد وإن
 هذه الحوادث تكررت مراراً كثيرة لا يعلم عددها إلا خالقها ولهذا
 نجد في طبقات الأرض الأولى وهي التي تكونت في الدور الأول
 عروفاً صخرية متقاربة من بعضها وفي خلالها معادن مختلفة وأما

الاثار الحيوانية والنباتية فلم يشاهد منها شي خلال الصخور التي امتحنت في الدور الاول ولذلك قالوا ان الارض كانت في تلك المدة مجردة عن النبات والحيوان وهذا هو الظاهر لان الحرارة كانت وقت ذاك شديدة والظلمة مطبقة لكثرة الابخرة المائعة من وصول حرارة الشمس الى الارض فلما تتابع نزول المطر وفتق طبقات الظلمة صفا الجو ودبت البرودة في الارض ووصلت اشعة الشمس اليها ومن ذلك الوقت اخذت في الظهور ولكون الحرارة لم تنعدم بالكلية لم يظهر في ابداء الامر الا بعض نبات وحيوانات بحرية محارية فكان كلما ضعفت الحرارة كثر النبات والحيوان فكان يظهر منها في كل دور جنس فيمكنك ما شاء الله ثم غيره فيمكنك كذلك وهكذا الى ان وصلت الحرارة حداً يمكن معه بقاء نوع الانسان فعند ذلك خلق الله النوع البشري واسكنه الارض وامتعه بجميع ما خلق قبله فيها

وقد وجد في الطبقة الطينية آثار حيوان ونبات فاستدلوا بها على وجود هذين النوعين حين تكوين هذه الطبقة واجمعوا على ان اول ظهور الاجسام الحساسة ابي الحيوان والنبات كان في الماء لانه هو الذي اودع فيه سر الحياة ثم اخلفوا في السابق منها والظاهر انه النبات لان ما وجد من اثاره اكثر مما وجد من اثار الحيوان واني وان كنت اطلت عليك الكلام في هذا المقام فما تركته اكثر ما ذكرته ولعلك فهمت معتقد اهل هذا العلم في اصل تكوين

الكرة الارضية الى ان ظهر فيها اصناف المخلوقات واكتست بانواع
الحيوان والنبات.

ومن جملة معتقدهم قولهم ان سمك الطبقة التي تجهدت وحسبت
المواد السائلة ثمانية واربعون الف متراً وان تكوينها لم يكن دفعة
واحدة بل كان في اربعة ادوار

الدور الاول وجد فيه الصخر والصوان والساق والثاني
والثالث وجد فيها باقي الاحجار والرابع وجدت فيه الارض التي
كانت زمن الطوفان وهي التي نحن بها الان وطريقهم في ذلك كله
الاستكشاف وما عثروا به في خلال الارض من المعادن والاحجار
واثار النبات والحيوان

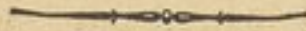
فقال ابن الشيخ لعل هذا كله مبني على ما فهموا وان كان
الواقع خلاف ما زعموا فان تدبير الكون وابعاده من عالم الخفاء الى
عالم الشهود امر لا يحيط به الا القادر المتفرد بوحدة الوجود والذي
يسعنا في مثل ذلك ان نجعله من جملة الممكن وتباعد عن القطع
فيه بشي مما يمكن ولكن لا بأس بعلم ما قيل في هذا الفن سواء
المظنون منه والمتيقن لان معرفة مثل هذه الامور ربما تفيد العلم
بحقيقة الكون في سابق الدهور فالمرجو من فضلكم استيفاء الكلام
على ما قيل في هذه الادوار وكيف كان قلبها الى ان وصلت الى
الدور الذي وجد فيه الليل والنهار وعلى الارض كيف كانت
ومتى كانت ومن اي شي تكوّنت وما الذي يميز به كل دور

عن غيره ولا تؤاخذني فيما عودتني عليه من كثرة السؤال وطلبي
منك الاطناب اذا شرعت في اي مجال لان بضاعتني في هذا المعنى
قليلة ومدركتي لفهم مدركاتكم كليله

فقال يعقوب لا مواخذه ولا لوم وهل توسمت مني شيئاً من
ذلك في غير هذا اليوم وكيف يكون ذلك مني او يؤثر ما يشعر به
عني أأست بحسوبيكم ولا شغل لي غير خدمة جنابكم وغاية ما أقول
هبوني امراً ان تحسنوا فهو شاكر

لذاك وان لم تحسنوا فهو صافح

ولكن ارى الوقت لا يسع الكلام في هذا المعنى فقم بنا الى
المجتمع لننظر ما فيه ولا بدان نعود الى الكلام في هذا الشأن حتى
نستوفيه



المسامرة الحادبة والتسمعون

نادرة

وكان المكان الذي جلسا فيه قريبا من الطريق ولكن
لاستتاره بالشجر كانوا يرون الناس ولا يرونهم فلم يحصل لابن الشيخ
ما كان يحصل له اذا مشى في طرق المدينة حيث كان لا يمر بطريق
من طرقها الا رأى الناس قد احناطوا به من كل جهة كما هي
عادتهم اذا رأوا غير ابناء جنسهم او احداً تزبي بغير زيمهم ثم قاما
ومشيا حتى بلغا المحل الذي عيناه للعربة وكانت واقفة بجوار
فندق دخلاه واكلا فيه وشربا ثم خرجا وسارا الى الجهة التي
قصداها فوجدا خلقا كثيرين مجتمعين في فسحة خارج البلد بها
حوائيت من خشب تنقلها اصحابها وتذهب بها اي مذهب ووجدا
بالفضاء المذكور زحاما كثيرا فنزلا عن العربة ومشيا بطوفان من

جهة الى جهة فلم يجدا شيئاً يستغرب وتمنى ابن الشيخ ان لا يكون الى ذاك المحل ذهب خصوصاً لما رآه وسمعه مما يكدر خاطره وينفر طبعه وخشي ان طال المقام ان يحصل له ما يؤذيه او يتغير قلب والده عليه فقال ليعقوب ارحل بنا من هذا المكان فاني ما رأيت احداً الاً وظننت انه شيطان فخرجنا مسرعين فرأيا في الطريق محلاً على باب مکتوب ما معناه من اراد ان يرى اغلظ امرأة على وجه الارض واطول واقصر رجل كذلك فليدخل هذا المكان

فقال ابن الشيخ ليعقوب ادخل بنا هذا المكان لعننا نجد فيه شيئاً نتروح به وينسينا ما كان فوافقه ودخلاه فوجداه في غاية ما يكون من الاتقان وفيه الكراسي كثيرة مصطفة فجلسا في ناحية منه فنظرا الى صدر المجلس فوجداه خالياً وبجانبه فرجة وعليها ستارة واذا برجل امرد مهول الخلقه مفرط الطول يظهر عليه سن الشباب قد خرج من خلف ستارة ومشى حتى توسط المحل ومعه رجل يقول للحاضرين هذا الرجل من الهند وطوله يزيد عن مترين فقام اليه اطول رجل من الحاضرين ووقف بجانبه فلم يبلغ ثدييه فوقف برهة كاد ان يغشى بها عليه فاخذ بيده الرجل الذي كان معه واجلسه لانه مع صغر سنه وطول قامته لم يكن فيه قوة للحركة اصلاً حتى لو دفعه ابي انسان بيده لوقع على الارض ثم خرج رجل اخر متناسب الاعضا رخم الصوت طلق اللسان حسن العبارة خفيف الروح لا يبلغ طوله هندابية وله لحية فصار يتقصف

ويرقص ويصنع حركات غريبة ويفعل افعالا تدل على قوة عجيبة
 ثم عمد الى فرده من جزمة الرجل الكبير الحجم فدخلها حتى غاب
 عن اعين الناس ثم خرج منها وكان ذلك الرجل كلما خاطبه
 احد فهم بادنى اشارة واجاب بافصح عبارة ثم جلس بجانب الرجل
 الاول وخرجت امرأة لم ير اغلظ منها فاخذت تتحرك كأنها ترقص
 وتترنم وتعاني خفة الحركة وغلظ الجسم يمنعها وتكلف السرعة وتقل
 البنية يدفعها فلما انفض الثلاثة من لعينهم خرج ابن الشيخ ويعقوب
 فوجدا بالباب ازدحاما لم يرياه حين دخولها وقد احاط بهما خلق
 كثيرون ممن كانوا داخل المحل وخارجه فلم ينفذا من بينهم الا
 بغاية المشقة ثم سارا الى ان وصلا العربية فركباها فقال ابن الشيخ
 يا عجبا لهذه الامة ويا ليت شعري ما اوجب انكباهم هذا الانكباب
 وازدحامهم علينا حين خروجنا من الباب

فقال يعقوب هكذا دأب الافرنج خصوصا الفرنسيون فان
 لهم عناية بكل ما يرونه مخالفا لعوائدهم ولوراوه الف مرة
 فقال ابن الشيخ ويا ليتهم اقتصروا على النظر من بعد ولم تمتد
 الى ثيابي منهم يد بل كان بعضهم يقبض عليها ويتأمل فيها وبعضهم
 يقلبها ظهرا لبطن كأنه يشتريها فكنت اتغافل واغض بصري
 واتجاهل خوفا من النزاع والخصومة

فقال يعقوب ان غالب ما رأيت من اهل الريف وسكان
 البادية فتجد عقولهم قاصرة وحمائمهم من غير سبب ظاهرة وقد

احسنت فيما فعلت فانك لو خاطبتهم لم تا من شرهم وربما كان
يتروى على ذلك اكثر مما رأيت

فقال ابن الشيخ حاش ان يكون اهل ريف مصر كذلك
فانك لا تراهم الا مشغولين بامر انفسهم ولوراوا غريبا ببلادهم ولو
كان زيه مخالفا لزيهم لا يعنون النظر اليه وان نظروا اليه نظروا
نظرا اخلاص بحيث لا يدركه الا قليل من الناس

فقال يعقوب هكذا اقتضت حكمة الملك الديان وانت تعلم
انه ليس في الامكان ابداع مما كان انسيت نصيحة والدك وهو آخذ
بيدك ويقول لك يا بني ما نازعني احد في امر الا اخذت في امره
بثلاث ان كان فوقني عرفت له فضله وان كان دوني رفعت قدرتي
عن منازعته وان كان مثلي تفضلت عليه فالاحسن ان تصفح صفح
الكرام وان لا تضيع وقتنا في تتبع عثرات اولئك الاقوام فاخبرني
عن اي الثلاثة الذين رأيتهم كان عندك اغرب

فقال ابن الشيخ اما بالنسبة لمن خلق الذر وفصل له اعضاء
وجعل لبعض الدود اسنانا كالمقاريض بل امضى وخلق الانسان
من نطفة ثم من علقة واخرج من جوف الصخرة السماء اضعف
حيوان ورزقه فلا غرابة ولا عجب

واما بالنسبة لعوائد الخلقه فالقصير احق بالاستغراب واولى
لان الرجل الطويل وان كان غربيا في خلقته وطول قامته وعدم
قوته لا يساوي الرجل القصير في ذلك فانه مع فصاحته وطلاقة

لسانه تراه قد بلغ من القصر الغاية ونخافة الجسم النهائية ولكن لا ادري هل هو من الفرنسيس ام من غيرهم وهل سنه على قدر جسمه ام لا

فقال يعقوب انك لو القيت بالك الى كلامه حين خروجه لعرفت منبته واصل لسانه وقدر عمره وما كان من امره فانه ذكر عند خروجه انه رجل من جزيرة بالبحر المحيط الجنوبي وان عمره تسع وثلاثون سنة وانه اقام ببلاد الانكليز وفرنسا مدة وساح باكثر بلاد اوربا ولذلك كان يتكلم مع كل انسان بلغته فقال ابن الشيخ ما اظن خلقا بهذه الصفة الا ان يكون من ذرية ياجوج وماجوج فان منهم على ما قيل من طوله شبر ومن طوله شبران وغايته ثلاثة اشبار فقال يعقوب وما ياجوج وماجوج واين موضعهم من الارض فقال ابن الشيخ هم جيل من اولاد ادم وموضعهم خلف السد الذي بناه الاسكندر ذو القرنين وذلك انه لما وصل في سيره الى مغرب الشمس عند جبل ارمينية واذربيجان وجد هناك قوماً فشكوا له منهم وجعلوا له جعلاً على ان يجعل بينهم وبين ياجوج وماجوج سداً فضربه على احدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم داخل السد قبيلة واحدة فقال يعقوب لا مانع من ذلك ولكن الذي اعلمه واطلعت عليه في كتب التاريخ ان اللابونيين والسهويد كلهم قصار ولعلها

خاصة في هواه قطرهم وطبيعة ارضهم وان الملوك في الزمن
 السابق كانت تتخذهم اضحوكة لم ويغدقون على من اتى اليهم
 بواحد منهم حتى قيل ان اهل المشرق لما علموا ان سبب الرغبة
 فيهم حقارة جسمهم استعملوا طرقا تمنع الطول فكثرول فكان
 الرومانيون يجمعون منهم في اوقات سرورهم ويفرون بينهم حتى
 يقتل بعضهم بعضاً ثم عز وجودهم في القرون الوسطى وقد كانت
 الامراء تستعملهم في البريد لتوصيل الاخبار وذكر المؤرخون انه
 وجد في القرن السابع من الميلاد رجل لم يبلغ طوله ثلثي ذراع
 معاري فعندي ان كل من كان من هذا القبيل فهو من ذاك
 الجيل

المسامرة الثانية والتسعون

الجمعية الشرقية

وبينا هما في الحديث لم يشعر الا وهما داخل المدينة فسارا
 حتى وصلا محل الشيخ فنزلا عن العربية ودخلا عليه فوجدا عنده
 صاحبه الانكليزي فبدأ ابن الشيخ بتقيل يد والده ثم تحوّل
 للانكليزي فصافحه وقعد بجانبه وكان قد حان وقت ذهابهم الى
 منزل رئيس الجمعية فقال الانكليزي لابن الشيخ هبني نفسك فانا
 متوجهون هذه الساعة فقال ابن الشيخ ان اذن الوالد فسمعا
 وطاعة ثم انهم قاموا جميعا وركبوا العربية وسارت بهم حتى وصلوا
 منزل رئيس الجمعية فقابلهم بغاية الاحترام وحياتهم تحية الكرام وكان
 بالمجلس جماعة من مشاهير العلماء ورجال الجمعية الشرقية ووجوه
 الامراء فاخذ رئيس الجمعية بيد الشيخ حتى اجلسه وقعد بجانبه

وآتسه وكان بالمجلس مع صاحبة المنزل نساء كثيرة فقعد الجميع
 يتجادبون اطراف الحديث الى ان حان وقت الطعام فقاموا جميعا
 واخذ كل واحد منهم بيد امرأة وجاءت صاحبة المنزل الى الشيخ
 واخذت بيده فتبعها ومشى معها حتى دخلت به محل الطعام
 فجلست والشيخ عن يمينها وصاحبه الانكليزي عن يسارها وجلس
 صاحب المنزل في الصف الثاني وابن الشيخ عن يمينه وجلس
 الباقيون في مواضعهم التي رسمت لهم فاكلوا ثم رجعوا الى محل
 الجلوس كل ذلك وهم محنفون بالشيخ احفاف الهالة بالتمر ومحفلون
 به احفالم بملك مطاع فيما امر وكان كل من خطر بباله شي يتعلق
 بفن العربية تلتف في ابدائه فيجيبه الشيخ بجواب لا يحوم حوله من
 عده فيعجبون من بلاغة عبارته وعذوبة لفظه وجودة حفظه

المغامرة الثالثة والتعمون

الفرنسيس في مصر

وكان بالمجلس رجل فرنساوي ممن توجه مع نابليون الى
 مصر وشهد وقعته باهلها وانتشار رجاله في اعمالها واطلع على ما كان
 من امرائها قبل توجه الفرنسيين اليها فظهر للشيخ من اطراف كلام
 ذلك الرجل حبه للمصريين وميله للعائلة المحمدية فقال له اكنت
 بمصر ايام حوادثها مع الفرنسيين فقال وقبل ذلك ايضا
 فقال الشيخ اني لا اتحقق ذلك لصغر سني اذ ذاك وغاية ما
 اتخيله اني كنت ارى والدي في تلك الايام كل ما دخل وخرج
 يقول لوالدي ماذا ترين في هذا المخرج العرب في البادية تنهب
 والماليك تفسد وتخرب والفرنج في الطرق تقتل وتسلب فمن فر
 من قوم وقع في يد اخرين ونحو ذلك من الكلام الذي يخيف

الابطال ويزعج النساء والاطفال مع اني اعلم طبع المرحوم في تجلده
وتجملده بين اهل بلده فما اضطره الى بث هذه الشكوى الافظاعة
ما رآه من عموم البلوى

فقال له ذلك الرجل لو بحثت عن اصل ذلك كله لوجدته
من المماليك الذين جعلوا مصر غنيمة لهم وقسموا ارضها وقراها بينهم
فانهم كانوا يجزبون الاهالي والعرب علينا ويجذرونهم منا بقولهم انه
لا غرض للفرنج من بلادكم الا سلب اموالكم وهتك اعراضكم وصر فكم
عن دينكم ونحو ذلك من المنفرات مع ان الفرنج كانوا برئيين من
ذلك كله لا غرض لهم الا اصلاح الحال واتقاذ الناس من ورطة
هؤلاء الجهال فلو قدر وبقينا بارض مصر الى الان لكان خيراً لهم
ولكن من سوء حظ المصريين انه حدث بقطرنا بعض حوادث
ترتب عليها عود رئيسنا بونا برت الى البلاد فخرجنا منها بعد ان
غذيناها بفلذ اكبادنا ورشحنها بدم اولادنا ومع ذلك فقد رسمنا لهم
بها قوانين جليلة واثاراً عامة النفع جميلة يرجى منها الخير ويتقى بها
الضير كالترعة الملاحمة والحلوة والقناطر الخيرية والمطابع وتقسيم مصر
الى اخطاط لكل خط حاكم وعسس يطوف فيه ليلاً ونهاراً يمنعون
الشورور واهل الفساد ويخشون على كس الطرق والشوارع
وتنظيفها ومن محاسن مبتدعاتنا الامر بتعليق قناديل على ابواب
البيوت والوكايل والخانات فكان حكام الاخطاط يطوفون بالليل
فاذا وجدوا بيتا او خاناً ليس على بابيه قنديل سمروه للمحافظة على

ما فيه فاذا طلع النهار اتوا بصاحبه فيجازونه على حسب ما يرون
 ومنها انشاء استنابليه لعلاج المرضى جمع لها من الاطبا والادوية
 ما يلزم لكل داء وهي فيما بين القاهرة ومصر تسمونها بالقصر العيني
 ومنها الكورنينات وتعين محلاتها في كل مدينة وغير ذلك من
 الاعمال التي لو لم تشتغل بها افكارنا ما كانت خطرت لم على بال
 لان شان المصريين بل سائر المشرقيين الاقتصار على حفظ القرآن
 ومعرفة بعض امور دينية يقفون عندها ولا يتعدون حدودها ولا
 يغوصون في معاني الكتب واسرارها وكذلك حكاهم وكان من
 يلي امرهم من المالك ونحوهم لا همة لهم الا تحلية سروج الخيل
 والاكباب على الملاهي طول الليل ولبس السراويل الواسعة الذيل
 والاكثر من الخدم والغلمان واستتباع ذوي الوجوه الحسنان وهذا
 كله ربما كان مانعا من تصرف العقل وزيادة الفكر خصوصا وهم
 مقتصرون في التفكير في القرآن على ما يظهر من مبانيه ما بين
 الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والبحث على الزهد في الدنيا
 ولذتها والتحذير من التوسيع فيها والاعتزاز بزهرتها ونحو ذلك ما
 تخاف منه القلوب ويزهد من تأمله في كل شي محبوب في الدنيا
 ومطلوب حتى يبيع الحاضر بالغائب ويعود نفسه على الرضى بكل
 ما حل بها من المصائب ويذهل عما فيه صلاح معاشه ويهجر
 اسباب ثروته واتعاشه

فقال له الشيخ اما ما ذكرت من نسبة ما وقع بين المصريين

والفرنسيس للمالك فمن المعلوم ان المدافعة عن الوطن في ذلك الوقت كانت واجبة على العموم لا فرق فيها بين مالك ومملوك وشريف وصعلوك وعلى فرض ان الاهالي انما قاموا تبعاً لرأي حكامهم الذين هم امرؤهم فهل فعلوا غير ما يلزمهم

فقال الانكليزي ان ما يقول الشيخ حق فان ميل الانسان الى اهل ملته وديانته امر فطري ألا ترى ان اهل باريز لم يفتحوا ابواب المدينة للملك هنري الرابع الا بعد ان رجع عن المذهب البروتستاني الى مذهبهم مع انه من بيت الملك والجبهع فرساوي واصل الدين واحد

فقال الشيخ من هنا يعلم ان لا لوم على المصريين في امتناعهم من الخضوع للفرنساوية والدخول تحت طاعتهم بحسب الميل الطبيعي من عدم الرضى بحكم من خالفهم في الدين والجنس وترك من هم معهم على ملة واحدة وعوائدهم وقوانينهم في الاحكام متحدة فقال له ذلك الرجل الشيخ كل ذلك معقول ومقبول الا ان الفرنسيين لما دخلوا مصر لم يحدثوا بين المسلمين بدعة على غير رأي امرائهم وعلمائهم بل ما فعلوا فعلا الا بمشورتهم واخذ رأيهم كما يعلم ذلك من المنشورات التي عليها امارات رضاهم واستحسانهم فكانوا معينين لذلك جملة من اكابرهم اهل الحل والعقد منهم الشيخ خليل البكري تقيب الاشراف والشيخ عبد الله الشرفاوي والشيخ محمد المهدي والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ محمد الامير

وغيرهم فبونا برت رئيس الجيوش مع علو همته وسعة باعه واطلاعه
 وحسن ادارته وسياسته لم يستقل في مصر بارائه ولم يكلل حكم
 البلاد الى امرائه بل انتخب جملة من كبار علماء المصريين واعيان
 تجارها المعتمدين وفتح لهم دواوين وضم اليهم مترجمين ورتب لهم
 مرتبات واغدق عليهم بالعلوفات وفوض الحكم اليهم وعول في
 حل كل مشكلة عليهم وبالجملة لم يفعل ما يخل بشرفكم ولا ما
 يضر بقطرك وانظر الى ما حصل منه لما تغلب على جزيرة مالطة
 ووجد بها اسرى كثيرين من اهل الاسلام فانه اطلقهم وجهزهم
 وارسلهم محفوظين الى بلادهم واعلن ان لا يؤخذ احد من اهل
 الاسلام من بعدهم اسيراً وقبل وصول جيشه الى مصر ارسل
 يذره عن الفساد والتعرض لشي ما بايدي اهل تلك البلاد
 ويقول لهم ما معناه انكم ستدخلون مصر آمنين مظفرين منصورين
 وتهزمون حكامها المتحدين مع الانكليز فقد قطعوا على تجارنا السبيل
 وبالغوا في ظلم اهل وادي النيل واعلموا ان الامة التي تقصدونها
 امة محمدية وكلمتهم التي ينبي عليها امر دينهم لا اله الا الله محمد
 رسول الله فاي اياكم ان تغيروها عليهم او تصرفوهم عن قوازينهم وعليكم
 ان تكرموا ائمتهم وقضاةهم ولا تحدثوا شيئاً في مساجدهم وجوامعهم
 واعلموا ان عوائد بلادهم ليست كهوائد بلادكم فينبغي ان تستأنسوا
 باهلها وتطبعوا بطباعهم واياكم ان يدخل احد منكم دار احد او
 يتعرض لامرأة فان ذلك عندهم منكر فمن فعل ذلك منكم حل به

البأس وعد من ارادل الناس واول بلدة تنزلون بها الاسكندرية
وستجدون بها من اثار من اسسها ما يروق بالكم. به ويقطع عن
التعلق ببلادكم امالككم وما كفاه هذا التشديد وما انذرهم به من
الوعيد بل صدر منه منشور يقتل من قطع السبيل من العسكر
او فعل شيئاً من المنكر او غصب من احد شيئاً ولو درهما ثم جمع
ضباط العساكر والالايات وضمنهم ذلك كله وهكذا كانت افعاله
واقواله كلها فلم يكن مراده مجرد التغلب واشهار نفسه بالحرب بل
كان جل غرضه وغاية امله ان يكون الناس كلهم في امان
ورفاهية حال وان لا يتعرض احد لاحد في عرض ولا مال
وكان وصول بونايرت بجيوشه الى ثغر اسكندرية لخمسة عشر
يوماً من المحرم سنة الف ومائتين وثلاثة عشر هجرية الموافق لشهر
حزيران سنة الف وسبعائة وثمانية وتسعين ميلادية فلما دخل
اسكندرية جمع علماءها واعيانها وانتخب منهم سبعة قلدتهم زمام
الاحكام وما تحتاج اليه البلدة من النظام منهم الشيخ محمد المسيري
والسيد محمد كريم وقال لهم على مقتضى الحرية لا يلي الحكم الا
عقلاء الرعية لان جميع الخلق سواء في العدل والحكم بالحق وقبل
خروجه من اسكندرية الى مصر عمل دستوراً يتضمن جميع ما مر
وزيادة كما هو مبين في تاريخهم وكان قد احضر معه من
الروسية مطابع تطبع باللغة الفرنسية والعربية فطبع عدة فرمانات
وفرقتها بالديار المصرية ثم شرع في ترتيب ديوان فجمع له ستين

شخصاً منهم أربعة عشر يقال لهم المجلس الخصوصي والباقون يقال لهم الديوان العمومي كل ذلك اظهارة للعدل ورقفاً بالرعية فقال الشيخ جميع هذا صحيح مسلم غير انه لا يخفى ان زمن الحروب عادة يكون زمن شدة على الناس وما يقع فيه من المصائب يكون غالباً على غير رضى الروساء وقد تقع امور فظيعة توجب تغيير الطباع مثلاً تخريب المساجد وانتهاك حرمتها وقهر العلماء وتحريم التجار كل ذلك قد وقع بمصر مدة هذه الحرب مع نهي بونايرت عنه فكان داعياً لنفرة الاهالي

واما كتابة المشايخ الى الاقاليم بالمسألة فذلك امر واجب عليهم لحنن دماء الناس لما راوا من قيام العربان واهل الفساد وكثرة التمل والسلب والنهب وضرورة ان الاحكام كانت قد تغيرت والناس كانوا مضطربين لم يعودوا على الحكم الجديد والتبس المفسد بالمصلح فقصد العلماء تسكين الفتن وحفظ الانفس والاموال وبالجمله فلم يكن للمصريين داع الى النفرة عن احكام الفرنسيس غير الحمية الدينية مع ما حصل من الشدائد التي جرت العادة بمصونها في زمن الحروب وتجديد الاحكام

ثم ان الرجل الفرنساوي انصرف من بينهم وقام كل في محل استراخته فقال ابن الشيخ لايه قد استفدت من ذلك المجلس ان الفرنسيس سبق لهم انهم استولوا على مصر وما كنت اظن ذلك ولا خطر بيالي فقال يا بني قد استولوا عليها وحكموا فيها وامروا ونهوا

وفعلوا فيها الافاعيل لولا ان الله خلاصها منهم فقال وما كانت
احكامهم فيها وقوانينهم وكيف كانت وقائهم في فتح البلاد وقهر
العباد

فقال الشيخ يا بني اني كنت وقت حلول الجيش الفرنسي
بمصر صغيراً لا اعي ما يقال ولا ما يفعل ولكني منذ هاجرت من
بلدي الى مصر لطلب العلم كنت اسمع بما كان من الفرنسيين
فكنت كلما سمعت عنهم شيئاً فيدته حتى جمعت من ذلك كتاباً
وجلدته

فن احكامهم انهم ضربوا على الاملاك والعقار ضرائب فجعلوا
على الاعلى ثمانية ريات فرانسا والوسط ستة والادنى ثلاثة
وضربوا على المعاصر والسيارج والوكائل والمخانات فمنها ما
جعلوا عليه ثلاثين ومنها ما جعلوا عليه اربعين كل على حسبه
وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم ولصقوها في مفارق الطرق
وارسلوا منها نسخاً للاعيان وعينوا المهندسين لتمييز الاعلى من الادنى
وبالغوا في الضبط والاحصاء وتقييد الاسماء فضاقت بالخلق الفضاة
ومنهم من استسلم للقضاء ولم تدبر العوام في العواقب فانتبذ منهم
جماعة وتناجوا فيما بينهم ووافقهم من المتعمين من لم ينظر في عواقب
الامور ولم يتفكر انه في القبضة مأسور فتجمع الكثير من الغوغاء
من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم فقاموا متحزبين وعلى الجهاد
عازمين وبرزوا السلاح والات الحرب والكفاح وهدموا مصاطب

المحوانيت وجعلوا احجارها متاريس في عدة جهات وترسوا بها
 فلما رأى الفرنسيس منهم ذلك تحيزوا الى القلاع وكان كبيرهم
 ارسل الى المشايخ فلم يجيبوه فامر بضرب المدافع والبونيات على
 البيوت والحارات وتعمدوا على الخصوص الجامع الازهر وحرروا
 عليه المدافع والقنبر فلما سقط عليهم ذلك نادوا ياخفي الالطاف
 نجنا ما نخاف وهربوا من كل سوق ودخلوا في الشقوق وتتابع
 الرمي من القلعة والكيمان حتى تزعزعت الاركان وهدمت الدور
 وسقطت بعض القصور وخرب كثير من البيوت والوكائل وعظم
 المخطب واشتد الكرب فركب المشايخ الى كبير الفرنسيس ليرفع
 عنهم هذا النازل ويمنع عسكره من الرمي المتراسل فعاتبهم في التاخير
 واتهمهم بالتقصير فاعنذروا له فقبل منهم ثم بعد هجعة من الليل
 دخل الفرنسيس المدينة ومروا في الازقة والشوارع من غير معارض
 ولا مانع وهدموا ما وجدوه من المتاريس ودخلوا الجامع الازهر
 بالنعال والسلاح وربطوا خيولهم بصحنه ومقصورته وكسروا
 قناديله وسهارته وهشموا خزائن الخدمة والمجاورين واخذوا ما
 وجدوه به من الكتب والمتاع بل طرحوا نفائس الكتب في
 ميضاته واتفقوا الوفا من مجلدات مؤلفاته ثم قرروا على الناس
 فردة اخرى قدرها مائة وستة وثمانون الف ريال فرانساً مع ان
 الناس ما أدوا الفردة الاولى حتى قاسوا فيها من الشدة ما لا يوصف
 ومات اكثرهم في الحبوس وتحت العقوبة ومنهم من هرب وخرج

على وجهه فجعلوا على العقار والدور مائة الف ريال فرانساً وعلى ارباب
الحرف المستورين ستين الفا وقسموا البلد ثمانية اخطاط وجعلوا
على كل خط خمسة وعشرين الفا ووكلوا ذلك الى مشايخ الحارات
ومن كان ساكناً بتلك الاخطاط من الامراء مثل المنسب بجهة
الحنفي وعمر شاه وسويقة السباعين وضرب الحجر ومثل زين الفقار
جهة المشهد الحسيني وخان الخليي والغورية والصنادقية والاشرفية
ومثل حسن كاشف جهة الصليبية والخليفة وما في ضمن تلك
الجهات من العطف فجعلوها على ثلاث نمر فعلى النمرة الاولى ستون
ريالاً وعلى الثانية اربعون وعلى الثالثة عشرون والزموا المستأجر
بدفع مقدار ما يدفع المالك والدار التي لا يجدون لها صاحباً
يأخذون ما عليها من جيرانها ثم نادوا ان كل من لا يدفع ما
عليه بعد اثنين وثلاثين يوماً من المنادة تنهب داره ويحاط بموجده
وتتبعوا نهب الدور باذني شبهة ولم يوجد لهم شفيع تقبل شفاعته ولا
متكلم تسمع كلمته واحتجب كبير الفرنسيس عن الناس وامتنع من
مقابلة المسلمين وكذلك قلده عظامهم وزاد ان عينوا لجمع تلك
الاموال رجلاً قبظياً يسمى شكر الله فنزل بالناس منه بلاء شديد
فكان يمشي وصحبته عسكر من الفرنسيس وجماعة من الفعلة بايديهم
آلة الهدم فاذا دخل داراً ولم يدفع له صاحبها ما عليه امرهم بهدمها
واقبح شي ما فعله باهل بولاق فانه كان يجبس الرجال مع النساء
ويدخن عليهم بالقطن والكتان ثم فعل باهل مصر كذلك كل

ذلك في شهر واحد وفي اخره قاموا دفعة واحدة على جميع الخانات
 والوكائل فحتموا عليها ثم صاروا يفتحونها واحداً واحداً وياخذون
 ما فيها فيقومونه بانجس الاثمان فان بقي لم شي من الغرامة اخذوه
 من جاره وان زاد شي احوالوا صاحبه على جاره وهكذا حتى اخلوا
 جميع الخانات والوكائل من البضائع واخذوها واربابها ينظرون
 وكانوا اذا فتحوا خاناً او دكاناً ووجدوا به اشياء ثمينة او صرة فيها
 دراهم او دنانير اخذها امناءهم ووكلاؤهم بحضرة صاحبها وفي ذلك
 الشهر بعينه حرروا دفاتر العشور فاحصوا جميع الاشياء جليلها
 وحقيرها ورتبوها بدفاتر وجعلوها اقلاما يتقلد من يتعهد بدفع ما
 وضع عليها وجعلوا جامع الازيك الذي بالازبكية سوقاً للزيادة
 في تلك الاقلام فكان يجتمع الاثنان فاكثر في قلم واحد وربما
 تعهد الشخص الواحد باقلام متعددة ثم شرعوا في هدم الحسينية وما
 خرج عن باب الفتوح وباب النصر من الدروب والحارات
 والمساجد والحمامات والحوانيت والاضرحة فكانوا اذا دهموا داراً
 لهدمها لا يكون اهلها من نقل ما بها ولا اخذ شي من انتقاضها
 فينهبونها ويهدمونها وينقلون الانتقاض النافعة من البلاط والخشب
 الى عماراتهم وابنتهم وما بقي من كسارات الخشب تجعله الفعلة حزماً
 ويبعونه على الناس باغلي ثمن لعزة حطب الوقود وقت ذلك
 فتلف للناس من الاملاك والعقار ما لا يقدر قدره كل ذلك مع
 مطالبتهم بما تقرر على املاكهم ودورهم من الفرضة فكان يجتمع على

الشخص الواحد في الوقت الواحد النهب والهدم والمطالبة بالفرضة
 وكان لهم في المطالبة بالفرضة امور قبيحة ولما قسموا الاخطاط على
 الامراء ومشائخ الحارات ضموا اليها اعوانا والزمو كل امير ومشائخ
 حارات خطه بما خصه من الغرامة فكانوا اول ما يجتمعون
 بديوانهم تبتدى الكتابة بكتابة التنبيهات وهي اوراق صغيرة باسم
 الشخص والقدر الذي عليه وعلى شقاره وعلى هامش الورقة حق
 طريق الحامل لها ثم يدفعون الى كل واحد من اولئك الاعوان
 جملة من تلك الاوراق فلا يفتح الانسان عينه الا والمعين واقف
 على بابه ويده ذلك التنبيه فيعده بالوفاء فاذا قبل عزه لا يفارقه
 حتى ياخذ منه حق الطريق وما يفارقه الا وقد اتاه معين اخر
 بتنبيه اخر فيفعل معه كما فعل الاول فاذا سعى الانسان جهده
 حتى ادى ما عليه وظن انه تخلص من ذلك فحالا يجد خلفه معيناً
 اخر ومعه تنبيه جديد فيقول له ما هذا فيقول ان الفرضة لم تكمل
 وقد جعلنا على كل عشرة خمسة او ثلاثة او ما سولت لهم انفسهم
 وهكذا من الغرامات التي هي اشد من الدواهي

ومنها انهم قرروا على مشائخ البلاد مقررات يقومون بدفعها
 في كل سنة زيادة على الخراج وجعلوا البلاد اعلى وهي ما كان طينها
 الف فدان فاكثر واوسط وهي ما كان طينها من ٥٠٠ فدان
 الى ما دون الالف وادنى وهي ما كان طينها دون الخمسمائة
 فجعلوا على الاعلى خمسمائة ريال وعلى الاوسط ثلثمائة وعلى

الدون مائة وخمسين واستملوا اسماء البلاد والكفور من القبط
فاملوها عليهم حتى الكفور التي خربت من مدة سنين فرموا
اسماء من غير مسميات ثم امروا بتوزيع مليون على ارباب الصنائع
والحرف وهو مائة وستة وثمانون الف ريال فرانسا وان يدفعوها
على ثلاثة اقساط كل اربعة اشهر ثلثها

هذا أنموذج ما كان منهم بمصر

فقال ابنه وما منعك البارحة في مجلس المحاورة ان تذكر لهم

هذه الافاعيل التي صدرت منهم

فقال الشيخ يا بني اي فائدة في ذكر ذلك الا المنافسة والمناقشة

خصوصا ونحن بين اظههم وقد قالوا

ودارهم ما دمت في دارهم * وحيهم ما دمت في حيهم

وقيل ايضا

ودارهم في دارهم وحيهم * في حيهم وأرضهم في أرضهم

لا سبوا وهم عارفون بجميع ذلك فلا فائدة في حكايته الا

تغير النفوس ومن يتأمل فيما كان يصدر منهم مما ظاهره العدل

والاصلاح يجد انه لا يخلو من دسيسة ومكيدة لتحصيل اغراضهم

مثلا اطلاقهم الاسارى المسلمين الذين وجدوهم بالطة فانما هي

مكيدة من مكائد الحرب وذلك انهم حين وصولهم الى نغرا الاسكندرية

كتبوا كتباً وارسلوها الى البلاد التي هم قادمون عليها تطميناً لهم

لئلا يتنبهوا وبجاربهم فاوهموهم انهم قادمون من قبل السلطان

وارسلوا هذه الكتب مع هؤلاء الاسارى وارسلوا بصحبتهم جواسيس
 من مالطة يعرفون اللغة العربية ويتكلمون بلغة المغاربة فلم يمتازوا
 عن اسارى المسلمين فلما وصلوا الى مصر صار الجواسيس الذين
 ارسلوهم يوسوسون للناس ويشبطونهم ويحملون عزائمهم عن القتال
 فكانت هذه ايضا مكيدة من مكائد الحرب فلما قامت الحرب بين
 المسلمين والفرنسيين خفي اكثر الاسرى ولم يدر اين ذهبوا وما
 ذهبوا في الحقيقة الا الى جيش الفرنسيين ليخبروهم بما سمعوه وما
 شاهدوه من المسلمين

ومن افاعيلهم انهم حبسوا بعض العلماء فما اطلقوهم حتى بلغهم
 محبي الوزير الاعظم بجيوشه فخرجوا من غير منازعة ولا معارضة
 وعمل بينهم وبين الجيش العثماني والانكليزي شروط مفصلة هي
 وجميع وقائعهم بمصر في بطون التواريخ وقد انتقضت تلك السنون
 واهلها وتلك الايام نداؤها بين الناس هكذا عادة الله في خلقه لا
 معتب لحكمه ولم يطلعنا على حكمه فكم سلط اقواما على اخرين كما
 دلت عليه كتب الاول وقد يسلط الفجار على الابرار وله في ذلك
 حكم واسرار وكان خروج الفرنسيين من ديار مصر في شهر الله
 المحرم سنة ١٢١٦

المسامرة الرابعة والتسعون

العقائد

وفي اليوم الثاني بعد طلوع الشمس دخل الانكليزي عند
 الشيخ وجلس بعد ان ادى واجبات التحية ثم قال ايها الشيخ قد
 عن لي من مجلس البارحة ان اسألك عن مسألة خطرت ببالي
 فقال الشيخ ما هي فقال يؤخذ من الكلام السابق ان بين المسلمين
 والنصارى عداوة مع انا نسمع في كتابكم آية تدل على خلاف ذلك
 قال الشيخ اي آية قال لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا
 اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين
 قالوا انا نصارى (الآية)

فقال الشيخ صدق الله العظيم في كلامه القديم فقد قال
 المفسرون كالنخعي الرازي وغيره في تفسير هذه الآية ان مذهب

اليهود انه يجب عليهم ايصال الشراى من يخالفهم في الدين باى طريق كان فان قدروا على القتل فذاك والامغبغصب المال او السرقة او بنوع من المكر والكيد والحيلة وقد روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال ما خلا يهوديان بمسلم الا هما يقتله

واما النصارى فليس مذهبهم ذلك بل الايذاء في دينهم حرام كما في دين الاسلام وايضا فان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا كما هو مشاهد فيهم والحرص معدن الاخلاق الذميمة فان كل من كان حريصا على الدنيا طرح دينه في طلب الدنيا واقدم على ارتكاب كل محذور لطلب الدنيا فلا جرم ان تشتد عداوته لكل من نال مالا او جاها بخلاف النصارى فانهم في اكثر احوالهم معرضون عن الدنيا زاهدون فيها مقبلون على العبادة تاركون لحب الرئاسة والتكبر وكل من كان كذلك فلا يحسد الناس ولا يؤذهم ولا يخاصهم بل يكون لين العريكة سهل الانقياد للحق قريبا الى قبوله كما قال تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى اخر الآيات فهذا هو معنى مودتهم للمسلمين واما الديانة فالتدرك مشترك بينهم وبين اليهود في مخالفة المسلمين بل اليهود يخالفون في الالهيات فقط والنصارى يخالفون في الالهيات والنبوات

فقال الانكليزي ان ما تقول ايها الشيخ حق فان النصارى كانت صفاتهم حميدة كما ذكرت لكن الان دخلت فيهم اصداد

تلك الصفات وتشعبت مذاهبهم واعتقاداتهم وجرت بينهم العداوة
والبغضاء ولم فلسفة قبيحة ومقالات شنيعة في الديانات والرسل
والكتب السماوية

فقال الشيخ نعم يظهر بعض ذلك على وجه الرجل الفرنسي
الذي كان معنا البارحة

فقال الانكليزي هذا الرجل من ضمن الفلاسفة المتعمقين وله
كتاب عمله في الاعتقادات وقد قرأت منه جملة وافرة فوجدته
يذكر فيما يتعلق بالاديان ان جميع الملل مستمدة من منبع واحد
وان بينها اشتراكا في القضايا الاساسية كالتوحيد فدين الاسلام
مستمد من دين اليهود من حيث الاصول فقط بخلاف دين
النصارى فمستمد من دين اليهود من حيث الاصول والفروع
معاً فدين النصارى مبني على دين اليهودية كما تبنى الدور والقصور
على قواعدها فيهدم دين النصرانية بعدم تمسكهم بكتب اليهود ومع
ذلك فهو لا يعترف بوجود موسى بن عمران ويستدل على نفيه
بعدم ذكره في كتب بني اسرائيل ويقول ان نبي الله داود وابنه
سليمان وارميا واشعيا جميعاً سكنوا عن ذكره واحكام بعضهم مناقض
لاحكامه مثلاً قول موسى ان الله يعاقب الابناء بظلم الاباء الى
الجبل الرابع يخالفه قول حزقيال ان الابناء لا يعاقبون بظلم ابائهم
ويقول ان ما يعزى الى موسى من الاحكام هو ما يعزوه الهنود الى
نبي يسمى نجوس وجميع ما اثبت لموسى ثابت لنجوس فانه ولد بمصر

والتي في النيل وتربي في جبل ببلاد العرب واوحى اليه بالرسالة
الى امة متبررة وعبر البحر الاحمر بانفلاق البحر له ولم يتل قدمه
واضات من جبينه اشعة الانوار الا ان نجوس لما ضرب بعصاه
الارض لم تنبع عين ماء كما حصل لموسى في ضربه الحجر بل نبعث
عين نبيذ وكانت عصاه ذات حربة مزينة باغصان العنب

وقد زعم علماء اوروبا ان نجوس سابق على تاريخ موسى
فيمكن ان كلمة موسى جعلت علامة على امر كان في تلك الازمان
كما استعملوا كلمة اوميروس الشاعر اليوناني في الجاهلية للدلالة على
بعض الحوادث العظيمة

ويقول ان التوراة كتاب مؤلف وليس من الكتب السماوية
متكئا في ذلك على قول ماري اغسطس انه لا يصح بقاء الاصحاحات
الثلاثة الاولى على ما هي عليه وعلى قول اوريجين بان ما في
التوراة مما يتعلق بخلق العالم امور خرافية بدليل ان كلمة براه
العبرانية وهي يفتح الباء وشد الراء وسكون الهاء معناه رتب ونظم
ولا يرتب احد شيئا وينظمه الا اذا كان موجودا من قبل فاستعمال
هذه الكلمة في خلق العالم تقتضي ان مادة العالم كانت موجودة
من قبل فتكون ازلية ويكون ملازمها وهو الزمان والمكان ازليين
وحيث انهم قالوا ان المادة ذات حياة فتكون الروح ايضا ازلية
لانها هي التي بها الحياة وبما ان المادة هي النور والحرارة والقوة
والحركة والمجذب والقوانين والتوازن فتكون الحياة والمادة كالشي

الواحد لا يمكن انفصالها وجميع ذلك يخالف ما في التوراة
ويقول ايضاً ان الستة الايام التي ذكرها موسى لخلق العالم هي
الازمان الستة التي ذكرتها الهنود والجنهارات الستة التي ذكرها
زروطشت للعجوس وان الفردوس الذي كان فيه ادم انما هو بستان
الهيبريو الذي كان يخفزه التنين وان ادم هو اديمو المذكور في
ابزور ويدام وان نوحا واهله هو الملك دوقاليون وزوجته ييرا
وهكذا

ويبالغ في القدح في التوراة ويقول انها مبتدأة يقتل الاخ
اخاه واغتصاب الفروج وتزوج ذوي الارحام بل البهائم وذكر
النهب والسلب والقتل والزنا ونحو ذلك من الامور التي لا يليق
ان تنسب لمن اصطفاه الله تعالى وجعله امينا على اسراره الالهية
فانظر الى اجترأ هذا الرجل على نبي الله موسى عليه السلام وعلى
كتاب الله التوراة مع ان التوراة هي اساس الانجيل فما يقال فيها
يقال في الانجيل ولذلك يقولون ان رسالة عيسى قد نهت عليها
اليهود من قبل بقولهم انه سيجي اليهم مسيح وكلمة مسيح ككلمة مساييس
ومساييس لقب شريف باللغة العبرانية وقد لقب به اشعيا النبي
كبروس ملك الفرس كما في الاصحاح الخامس والخمسين ولقب
به ايضاً حزقيال النبي ملك مدينة صور ومع ذلك فلم يلتفت هذا
الرجل الى شي من ذلك فقال ما قال ومن اعتقادات النصارى
ايضاً ان الله تجسد في صورة عيسى وانه هو الاله وليسوا اولى قائل

بهذا التجسد بل قيل قبلهم في جزاكا وبرهمة بقُدس الهند وقيل في
 ويشنوانه تجسد خمسمائة مرة وقال سكان البيرو من امريكا ان
 الاله الحق تجسد في الهم منكر قباق بن الشمس وكذا سكان
 الاسكنديناوة قالوا ان الله تجسد في الهم او دين وان ولادة عيسى
 من بكر بتول بفتح روح القدس يشبه قول اهل الصين ان الهم
 فُوِه ولدته بنت بكر حملت به من اشعة الشمس وكان المصريون
 يعتقدون ان اوزريس ولد من غير مباشرة احد لاهه

وقول النصارى ان عيسى مات ودفن ثم بعث ورفع الى السماء
 حياً قال بئله قبلهم المصريون في اوزريس المصري وفي اورونيس
 من اهالي فنيقية وفي اوتيس من اهالي فريجية الا انهم لم يقولوا
 برفعه الى السماء وكما قيل ان اودين كان قد بذل نفسه وقتلها
 باختياره بان رمى نفسه في نار عظيمة حتى احترق وفعل ذلك
 لاجل نجاة عباده واحزابه فكذلك النصارى يعتقدون ان حلول
 الاله في عيسى وارساله وموته انما كان لاجل فداء الجنس البشري
 وتخليصه من ذنب الخطيئة الاولى خطيئة ادم وحواء واما ادريس
 النبي فقد رفع الى السماء بدون ان تكفر عنه الخطيئة ولا شك
 ان هذا خرافة ولم كلام كثير من هذا القبيل يطول شرحه ولا
 فائدة في ذكره

فقال الشيخ نعوذ بالله من هذا الضلال الذي لا ينشا مثله

عن عاقل ولكن من يضل الله فلا هادي له ومن يهدي الله فما
له من مضل .

قال الانكليزي بل منهم من ينكر جميع الكتب السماوية
ويقول انها من تأليف البشر جمع فيها مؤلفوها حوادث القرون
الخالية

فقال الشيخ مثل هؤلاء القوم لا تجوز مجالستهم ولا معاملتهم
ولا مخالطتهم فانهم ينكرون الرسل والكتب وينقصون الاله الحق
سبحانه فالحمد لله الذي فصلنا عن ذلك الرجل بسلامة
ثم ان العربية وصلت بهم الى المحل فنزل الشيخ ودخل
عند الخوaja وقال اريد ان افق على ما يقول النصارى في نبي
الله عيسى بن مريم وفي الاداب النصرانية فقال الخوaja ان اغلب
النصارى يقولون ان العلماء الاولين مجمعون على ان شريعة
عيسى ليست الا متممة لشريعة موسى وموضحة لما اشكل من احكامها
حتى قال بعضهم ان عيسى والحواريين كانوا يهودا واستدلوا على
ذلك بما نقل عن الحواري بولص انه ختن تلميذه تيموته في مدينة
ليسترة وحث الرومانيين على الخنثان وانه قال لهم ان اليهودي الحق
من كان يهوديا باطنا وظاهرا ويقول الحواري جاك (يعقوب)
للحواري بولص كما في الباب التاسع عشر من كتاب اعمال الحواريين
فلتعرف جميع الناس انك على شريعة موسى ويقول بولص
لغوسطس في الباب الخامس والعشرين من ذلك الكتاب اني لم

يحصل مني ما يخالف شريعة موسى ولا قوانين النصرانية فهذا
 اصل دينهم واعتقاد حوارهم ومتقدمي علمائهم فلم يقل احد منهم
 بالوهية عيسى ويدل على ذلك ما نقله بعضهم عن ماري بولص
 انه قال في الباب الخامس من رسالته الى الرومانيين ان نعمة الله
 قد نشرت علينا من الاحسان الموهوب لانسان واحد وهو عيسى
 المسيح وقال في الباب الثامن من هذه الرسالة نحن شركاء المسيح
 في وراثته احكام الله

وقال في رسالته للقلبيين تخلقوا باخلاق عيسى فانه كان
 على صورة الرحمن ولم يطمع قط في مساواته وقال ايضا لاهل
 افسوس في الباب الاول من هذه الرسالة اللهم ربنا ورب المسيح
 عيسى جد علينا بعقل الحكمة وللعبريين في الباب الثاني انكم قد
 صيرتم عيسى اقل من الملك بيسير وكذلك بما قاله اوربيوس
 اسقف مدينة قيصرية في الباب الاول من تاريخ ابناء دين
 النصرانية انه لا يعقل ان الوجود يعني وجود الله بجل في صورة
 بشرية ونحو ذلك من العبارات المنسوبة الى الحواريين واتباعهم
 المؤمنين فلم يقل احد منهم بالوهية عيسى ولا خطرت له على بال
 فقال الشيخ هذا هو كلام العقلا ولعل هولاء هم الذين مدحهم
 الله في كتابه وشبه بهم نبينا بعض اصحابه

واما تهودهم في الدين فلعلم ارادوا الرجوع الى الحق واليقين
 وهذا شيء لا محذور فيه اذا عرفوا معناها وعملوا بمقتضاها

فقال الانكليزي الا انهم بعد موته بثلاثة وخمسة وعشرين
سنة شمسية دبّ قههم القول بالوهيته وذلك ان قسطنطين الاول
جمع رؤساء الديانة في مدينة نيقة وحملهم على القول بها فاتبعوه الا
ثمانية عشر اسقفا فلم يتحولوا عن اعتقادهم ثم بعد ذلك باربع وثلاثين
سنة اجتمع رؤساء الديانة ثانياً بمدينة ريميني وتكلموا في هذا المعنى
فاتفق منهم اربعمائة اسقف على عدم الوهيته واتبعهم الباقيون
ومكثوا على ذلك نحو اثنتين وعشرين سنة ثم اجتمعوا مرة ثالثة
بمدينة القسطنطينية سنة ٢٢١ ميلادية فاستقر رأي الجمعية على
الوهيته وبقي الحال على ذلك الى اليوم

فقال الشيخ هذه امور لا نستطيع الموافقة عليها ولا شك انه
كان وقتئذ لرؤساء النصارى آراء ومقاصد في تقريرها ولو
تاملوا اوفى تامل لرأوا الادلة ناطقة بان الله تعالى واحد احد
يستحيل عليه الحلول والاتحاد والتعدد ومشابهة خلقه في امر من
الامور وهو حي لا يموت وقادر لا يعجز لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وانما عيسى عبد من عبيده
خلقته بقدرته التامة من غير اب كما خلق آدم من تراب من غير
اب ولا ام وافاض عليه النبوة والرسالة وقد انطقه الله بالحق وهو
في الهدى فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني
مباركاً ايما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ويوم
القيامة يتبرأ منهم ومن مقالتهم هذه فيقول سبحانه ما يكون لي ان

اقول ما ليس لي بحق ثم يقول ما قلت لم الا ما امرتني به ان
 اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيذا ما دمت فيهم
 وبالجمله فبطلان هذا المذهب واضح للعيان ومستغن عن
 البيان وما احسن ما قاله البوصيري في هزيمه تبكيها لم وتبكيها
 عليهم فمن ذلك قوله

أله مركب ما سمعنا * باله لذاته اجزاء

الى ان قال

أهو الراكب الحمار فباو يح اله يمسه الاعياء
 فقال الانكليزي وما الذي تروونه يا معشر المسلمين في امر

عيسى

فقال الشيخ ان الذي يلزم اعتقاده في امر عيسى على ما اخبر
 به نبينا الصادق المصدوق في القرآن والسنة انه ابن مريم بنت
 عمران واسم امها حنة فكانت حنة لا تلد فنذرت ان رزقها الله
 ولدا جعلته من سدنة بيت المقدس اي خدمته فحملت حنة ومات
 زوجها عمران وهي حامل فولدت بنتا وسمتها مريم ومعناها بلغتهم
 العابدة ثم حملتها واتت بها الى بيت المقدس ووضعتها عند الاحبار
 وقالت لم دونكم هذه المنذورة فتنافسوا في تربيته لان اباهما وهو
 عمران كان من ائمتهم فقال زكريا انا احق بها لان خالتها زوجتي
 فاخذها وضمها الى ايساع خالتها فلما كبرت مريم افرد لها زكريا
 غرفة فلما بلغت من العمر ثلاثة عشر سنة ارسل الله تعالى جبريل

ففتح في جيبها فحبلت بعيسى وولدت له بيت لحم وهي قرية قريبة من
القدس سنة ٢٠٤ من تاريخ الاسكندر فلما جاءت مريم الى قومها
بعيسى تحمله قالوا لها لقد جئت شيئاً فرياً واخذوا ليرجموها فتكلم
عيسى وهو في المهد فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً
وجعلني مباركا اينما كنت فلما سمعوا كلامه تركوها ثم ان مريم
اخذت عيسى وسارت به الى مصر فاقامت به اثني عشرة سنة ثم
عادت به الى الشام ونزلا الناصرة وبها سميت النصارى فاقام بها
عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة فاوحى الله تعالى اليه فسار الى الاردن
وهو النهر المسمى بنهر الشريعة فاغتمسل فيه وابتدأ بالدعوة وهو ابن
ثلاثين سنة لستة ايام خلت من كانون الثاني لمضي ثلاث وثلاثين
وثلاثمائة للاسكندر

واظهر عيسى عليه السلام المعجزات فاحيي ميتا يقال له عازر
بعد ثلاثة ايام من موته وجعل من الطين طائراً قيل هو الخفاش
وابراً الاكهم والابصر وكان يمشي على الماء ويلبس الصوف والشعر
وياكل من نبات الارض وانزل الله عليه المائدة وسبب نزولها
ان الحواريين الذين اتبعوه وكانوا اثني عشر رجلاً قالوا له هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فسأل عيسى ربه
عز وجل فانزل عليه سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة
تحتها فنزلت وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى
عليه السلام وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ثم قال لهم

يقم احسنكم عملاً يكشف عنها فقال شمعون رأس الحواريين انت
 اولى بذلك فقام عيسى وتوضأ وصلى وكان عليها مندبل فرفعه
 وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية تسيل دما وعند
 رأسها ملح وعند ذنبها خل وحوها الوان البقول ما خلا الكراث
 ومعها خمسة ارغفة على واحد زيتون وعلى الثاني غسل وعلى الثالث
 سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله
 أ من طعام الدنيا ام من طعام الآخرة فقال ليس منها ولكنه شي
 خلقه الله بقدرته فقال الحواريون ياروح الله لو اريتنا من هذه
 الآية آية اخرى فقال يا سمكة احبي باذن الله فاضطربت ثم قال
 لها عودي كما كنتِ فعادت مشوية ثم رفعت المائدة وقيل مكثت
 تنزل يوماً وتغيب يوماً الى اربعين ليلة

فقال الانكليزي ان اليهود يزعمون انهم قتلوه وبعد قتله

صلبوه

فقال الشيخ كذبوا والله ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
 وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع
 الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه ليزيده شرفاً لديه وذلك
 انه لما اعلمه الله انه سيرفعه اليه دعا الحواريين وصنع لهم طعاماً وقال
 لهم احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا عشاءم وقام
 بخدمتهم فلما فرغوا من الطعام اخذ يغسل ايديهم ويمسحها بشبابه
 فتعاضلوا ذلك فقال من رد علي شيئاً ما اصنعه فليس مني فتركوه

حتى فرغ ثم قال لهم انما فعلت هذا بكم ليكون لكم اسوة بي في خدمة
 بعضكم بعضا واما حاجتي اليكم فتدعون الله لي ان يؤخر اجلي فلما
 نصبوا انفسهم للدعاء اخذهم النوم فجعل عيسى يوقظهم ويقول ما
 تصبرون لي ليلة فقالوا ما ندري ما لنا لقد كنا نسمر فنطيل السمر
 وما نقدر عليه الليلة فقال يذهب بالراعي وتفرق الغنم وليكفرن
 بي احدكم قبل ان يصبح الديك وليبيعي احدكم بدرهم يسيرة ولياكلن
 ثمني

وكانت اليهود قد جدت في طلبه فذهب رجل من
 الحواريين اسمه نطليانوس الى فيلاطوس الملقب هيرودوس وكان
 رئيسا على اليهود اذ ذاك وقال ما تجعلون لي اذا ادلتكم على المسيح
 فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها وذهب بهم ليدلم عليه فرفع الله عيسى
 اليه والتي شبهه على الذي دلم عليه فاخذوه وربطوه وجعلوا
 يقودونه مجبل ويقولون له انت تزعم انك تحيي الموتى افلا تخلص
 نفسك ثم قتلوه وصلبوه

وبين رفع عيسى ومولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة
 وخمس واربعون سنة وعاشت مريم امه نحو ثلاث وخمسين سنة
 لانها حملت به وهي بنت ثلاث عشرة سنة وعاشت معه ثلاثا وثلثين
 سنة وبقيت بعد رفعه ست سنين افمن كانت العبودية من صفاته
 والاكل والشرب من ضروراته يعقل انه اله او يتصور انه ابن الله
 مع اجماع جميع العقلاء على عدم الوهيته واتفاق جمهور الفلاسفة

والحكما على عبوديته واظن ان ضرر الخلق على العموم انما يأتي لهم
 من قبل من تصدى من غير استعداد لنشر العلوم ممن قال منهم
 بحلول الوجود المطلق فيما عداه وبني على هذا القول الخطاء ما
 بناه فقال ان الانسان اشرف انواع الحيوان فهو اولى بالحلول
 واستنتج من ذلك ان الاله اتحد بالصورة البشرية وهو اعتقاد فاسد
 ورأي عن الصواب حائد لا يقبله عقل ولا يساعده نقل وايضا
 لا يلزم على القول بالحلول الذي زعموه بالنسبة لعيسى ان يقال
 الانسان اله او الاله انسان هذه نتيجة هذا الزعم الغريب الظاهر
 الفساد لعقلاء العباد

ومن الغريب تقدم الاوروباويين في كثير من الفنون والصنائع
 مع بقائهم على هذا الاعتقاد الفاسد فلعل المانع لهم من رفضه ما
 يسمونه بالبوليتيقي فلولاها لم يبق له عندهم اثر بالكلية واغرب من
 هذا كله قدحهم في الاسلام واهله مع عدم معرفتهم بشي منه من
 اصله اذ لو تأملوا الاشارات القرآنية وما ورد من الاثار النبوية
 لعثروا بالتمدين الذي يطلبونه وقد حرموه واهتدوا الى ميزان العدل
 الذي يحاولونه وما اقاموه ولعل الحامل لعلمائهم على استمرار هذا
 الرأي بينهم رغبتهم في بقاء الباباوية التي معناها السلطنة على جميع
 اهل الارض لانهم يزعمون ان البابا نائب عن الاله الذي يدعونه
 فاين هذا من دين الاسلام المبني على ان الله واحد في ذاته وفي
 صفاته وفي افعاله واحد لا من قلة وموجود لا من علة لا يحيط به

مكان ولا يشتمل عليه زمان ليس منفصلا عن شي ولا يفصل
 عنه شي ولا يجعل في شي وليس مثله شي وهو الخالق لكل شي الغني
 عن كل شي ارسل محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق
 ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون فعم بدعوته المشارق
 والمغرب ولم يفرق في امره ونهيه بين الاجانب والاقارب لتقوم
 الحجة وتضح المحجة وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن
 بينة فمنهم من اهتدى واجاب ومنهم من ضرب بينه وبين الهداية
 حجاب ليميز الخبيث من الطيب واهل الجنة من اهل جهنم وكل
 ذلك لحكم واسرار هو بها اعلم وهكذا كان في كل امة خلت رسول
 يدعوهم الى الله واعتقاد ان لا اله سواه كما ارشدنا الى ذلك القرآن
 العظيم المنزل على عبده ورسوله الكريم سيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم وشرف وعظم

فقال الانكليزي هل عندكم علم بعدد الانبياء والرسل
 فقال الشيخ نعم الا ان ما يجب علينا معرفته على التفصيل
 خمسة وعشرون رسولا وهم المذكورون في التنزيل وجمعهم بعضهم
 في قوله

حتم على كل ذي التكليف معرفة

بانبياء على التفصيل قد علموا

في تلك حجتنا منهم ثمانية

من بعد عشر ويبقى سبعة وهم

ادريس هود شعيب صالح وكذا
 ذوالكفل آدم بالخنار قد ختموا
 ومنهم اولوالعزم خمسة جمعهم بعضهم في قوله
 محمد ابراهيم موسى كليبه

وادم عيسى هم اولوالعزم فاعلم
 فعيسى عليه السلام من اولي العزم لصبره على اذى قومه
 ورئيسهم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه مبین ومصدق
 لما قبله من كتب الله تعالى
 وقد اخترع النصارى اشياء لم يخبرنا عنها كتابنا وذلك
 كالتمعيد الذي تنسبه النصارى الى عيسى بن مريم فما هو وما
 سببه وما وجه نسبه اليه

فقال الانكليزي التمعيد هو الغسل وذلك انهم يغمسون
 اولادهم في ماء المعمودية يعتقدون تطهيرهم به كالحنان لغيرهم ويامرون
 كل من اراد ان يدخل في دينهم بالاغتسال فيه
 واما نسبه الى عيسى فلم يثبت انه عمدا في حياته ولا
 امر احدا به وهذا التمعيد وان اشتهرت نسبه اليهم لم يكن خاصا
 بهم بل كانت الهنود من قبلهم يغتسلون في نهر الكنك وكذلك
 قدماء المصريين كان كل من اراد منهم ان يتلقى اسرار (ماري
 متراس) يعهد الى نهر او بئر فيغتسل فيه وليس ذلك اول شي
 اخلقوه اذ منه قولهم فيمن اذنب انه لا تقبل توبته حتى يعترف

للتيسيس بخطيئته اذ لم يثبت ان عيسى الزم احداً بالافرار له بذنبه بل هذه عادة مجارية من عهد ايزيس احد الهة المصريين وغيره من الهة اليونانيين وكذلك اليهود كانت معتادة على الاعتراف بذنوبهم لاجبارهم

واما الاعتراف بالقضاء والقدر والجنة والنار فاول من تكلم في ذلك سقراط وتبعه افلاطون فقسم الارواح الى طاهرة وغير طاهرة وقسم غير الطاهرة الى ما يمكن تطهيرها بالنار وما لا يمكن تطهيرها اصلا

واما التثليث الذي يقولون به فانه ما اتاهم الا من كلام افلاطون التابع فيه لثيمة احد علماء لوتريس ثم سرى منه الى من بعده حتى وصل الى اليهود وهم الذين لقنوه للنصارى وكذلك زي اهل التدين والجنثي على الركب ووضع القسيسين ايديهم على رؤس الناس وقرأتهم بعض كلمات للتبرك بها كل ذلك كان موجودا عند قدماء المصريين

ومن جملة دعوى النصارى قولهم ان الحكمة لم يتكلم بها احد قبلهم مع انه قد سبقهم الى الكلام عليها سقراط وكنفوشيوس وانطونين وارسطو ويوسيد وغيرهم وكذلك الفلاسفة الاسطوانييون اي الذين كانوا بالاسطوانة وهي مدرسة زينون الفيلسوف فكل هؤلاء كانوا قبلهم وقد تكلموا بها وحملوا الخلق عليها حتى صناعة تركيب الالفاظ وتاليف الكلام وكان الرومانيون قبلهم يعاقبون على

الزنا وكذلك كان للسياسيين قوانين في عقاب كل من ارتكب
 ذنباً او خطيئة او تكلم بما لا ينبغي فكل هؤلاء كانوا جميعاً في زمن
 لا يدرون فيه ما النصرانية ولا اهلها وكذلك قولهم بالعفو عن
 المسيء فانه قد سبهم اليه ايضاً فيتاغورس وكان قبل المسيح بنحو
 ستائة سنة حيث قال ما معناه لا تجتهدوا في الانتقام من اعدائكم
 بل اجتهدوا في ان تصيروهم من احبابكم وكذلك قولهم لا تفعلوا
 مع غيركم ما لا تحبون ان يفعل بكم فان زروطشت قال مثل
 ذلك وقد كان قبل حرب تروادة بدهر طويل حيث قال افعل
 مع غيرك ما تحب ان يفعل معك واذا شككت في قبح شي او حسنه
 فامسك عنه وكذلك قال كنفوشيوس مثل ذلك وكان قبل
 المسيح بخمسة مائة وخمسين سنة وكله ماخوذ من كلام هونغ حيث
 قال ما معناه انس المسيء واسأته ولا تفكر الا في الطيبات وفعل
 الخيرات

وقال سينبق اذا اردت ان يكون الله راضياً عنك فكن عادلاً
 وكفى بالمرء تعظيها لله ان يتبع اوامره
 وقال سليمان عليه السلام اول الحكمة مخافة الله فاذا علمنا
 ذلك ظهر لنا ان النصرانية لم تأت بشي كان معدوماً عند من
 قبلها الا ان عندهم امرين لا افهم سرهما ولم اجد احداً من قدماء
 المؤرخين قالها

فقال الشيخ وما هما فقال انهم ياكلون فطيراً يسمونه قربانا

ويعتقدون انه لحم المسيح ويشربون شرابا يسمونه اذكاراً يعتقدون
انه دمه .

فقال الشيخ ان دين النصرانية ليس مذموماً في الاصل بل هو
شريعة من شرائع الله تعالى وكذلك دين اليهودية ولما جاء الاسلام
نسخ جميع الشرائع ثم ان اكابر النصارى في القديم غيروا في دينهم
وبدلوا وحرفوا فقد عرض له البطالان من جهتين من جهة نسخه
بالشريعة المحمدية ومن جهة التغيير والتبديل الذي وقع فيه من
علماء الديانة

فقال الانكليزي نعم جرت العادة بان صلاح الام وفسادها
انما يكونان بصلاح الروساء وفسادهم وعندنا روساء الديانة كثيرون
ولكل منهم اغراض يريد تحصيلها وترى لهم حثاً شديداً على التبرك
بالصليب وتقريب القرابين ونحو ذلك لكن لا يخلو ذلك عن
الاغراض

فقال الشيخ اني اراك تتعجبهم في امور كثيرة وذلك من
انصافك وشدة نظرك وكان ابن الشيخ مصغياً فقال ما معنى الصليب
وما معنى القران وما الفرق بين الكنيسة والدير ونحو ذلك
فقال الشيخ لقد رأيت في بعض الكتب كثيراً من عوائدهم
وعقائدهم وعرفت معابدهم ومراتب روسائهم فمن ذلك ان اصل
تبرك النصارى بالصليب وهوشي ذو خطوط اربعة يجمع اصلها
المحور انهم اعتقدوا ان الذي اخذته اليهود وصلبته هو المسيح وان

صلبه كان على شي بهذه الصفة وانهم سقوه الخمر في حنك الخنزير
 فلما قام حرض على حمل الصليب وان القربان رثيف مستدير
 عليه صلبان كثيرة يجز في كل بيت كل يوم احد من الصوم الكبير
 ويحمل الى الكنيسة فاذا فرغت الصلاة اخذ القسيس بعضه وفرق
 بعضه فتصرف به النصارى فيفطرون عليه كل يوم الى الجمعة
 وهكذا وان من اسماء روسائهم الجائليق وهو الرئيس بالنسبة الى
 السلطنة الظاهرة ومنها المطران وهو القبة الورع المستصحب للبس
 الصوف الاسود واصل هذا الترتيب عندهم ان القاري للانجيل
 من اول وهلة يقال له شماس فان اتقن حفظه وفهمه صار قسيساً
 ويدوم على ذلك ما دام عنده زوجة فان ماتت زوجته ولم يتزوج
 غيرها صار مطراناً وان تزوج غيرها سمي صالح القسوسية وخرج عن
 مراتب العلم فان تنزه المطران عن الذفر وما يخرج من الارواح
 صار بتركا على مذهب الارمن واما الروم واليعاقبة والنسطورية
 فلا يكون عندهم بتركا الا من تنزه عن النساء وعن اكل الارواح
 وما يخرج منها من اول عمره الا العسل والسبك لانه خليفة
 المسيح وطاعة هولاء فرض واما الاسقف والراهب وغيرها فاسماء
 للمتعبدين خاصة

واما المعابد فالبيعة هي المعبد الصغير غير المرتفع والدير المعبد
 الكبير الكثير المرافق والمحاريب والكنيسة ما اشتملت على عواميد
 الاناجيل ولم يرفع بناؤها والصومعة مكان رفيع دقيق الاعلى واسع

الاسفل والقله مثلها الا انها لا تسع اكثر من واحد والزبار منطقة
تشد في الخصر وقت الصلاة مشتملة على صليب اذا شدت كان
على السرة ولولا ان كلامنا في ذلك يشبه الفضول مع وجود اهل
ملتهم لزدتكم كثيراً من امور ديانتم

فقال الانكليزي وهل كتب المسلمين اكثر من كتب الفرنج
اني لا اظن ذلك فان للفرنج تأليف عديدة في فنون شتى وقد
اطلعوا على كثير من كتب المسلمين ومارسوها حتى تفسير القرآن
وصحيح البخاري ومتمن خليل وغير ذلك

فقال الشيخ اسرار الكتب لا توخذ الا عن اهلها الذين تلقوها
مسلسلة واحداً بعد واحد الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
ليس حاصل الا في علماء الاسلام الذين استنارت بصائرهم فادركوا
معاني الكتب واسرارها نعم قد فرط علماء المسلمين في هذه الازمان
في فنون شتى حتى جهلوا واتقنها غيرهم كفن التاريخ والرياضيات
ونحو ذلك فلو انهم التفتوا لذلك واتقنوه لانقادت لهم جميع الامم
ومعلوم ان العلم على اقسام علم للاخرة وعلم للدنيا وعلم لها معا فلو
اتقنوا جميع العلوم لكان خيراً لهم ومع ذلك فعلماء الدين هم المدوحون
المثني عليهم في كتب الله تعالى وعلى لسان رسله وكفى العلم واهله
شرفاً قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله تعالى هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله تعالى فاسئلوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون وقول النبي صلى الله عليه وسلم مثل

العلماء في الارض كمثل النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر
 وقوله فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وقوله ان الملائكة
 لتضع اجنتها لطالب العلم رضى بما يصنع وقوله ما اكتسب
 مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى
 ولكن للعلم حقوق واداب لو ذكرت لك بعضها لوقعت في العجب
 العجاب منها قوله صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل ما لم
 يخالطوا السلطان او يداخلوا الدنيا وبالجملة فمن اطلع على اخبار
 المتقدمين وما كتب فيها من حين ظهور هذا الدين وجد ان لا
 نور لعلم الا والقرآن مصباحه ولا مطلب لمعرفة الا وهو مفتاحه
 فهو الذي نشر راية العز على جميع العلوم والمعارف واستظلت بظل
 لوائه غرائب الفنون واللطائف اذ بظهوره زالت من القلوب الاحن
 وانقطعت من بين الناس اسباب الفتن لجريانه على قانون مقبول
 قد تلقته القلوب السليمة بالقبول ومن تبع احكام الملل وتامل في
 قوانين الاول وجد ان لا موجب للنزاع على الاطلاق الا ما فرق
 بين اليهود والنصارى من الاختلاف والشقاق فان فرق النصارى
 متشعبة جدا مع شدة بغض بعضهم لبعض فضلا عن بغض اليهود
 لجميع فرق النصارى وبالعكس حتى قالت اليهود ليست النصارى
 على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي وقد جاء القرآن
 فيه تبيان كل شي وهدى ورحمة وليس في احكامه اختلاف ولا
 تناقض

فقال الانكليزي أليس عندكم مذاهب مختلفة كذهب مالك
والشافعي والحنفي والحنبلي والليث والثوري وغير ذلك فضلا عن
اختلاف اهل كل مذهب في مسائل مذهبهم

فقال الشيخ كلهم من رسول الله ملتبس ليس بينهم تباين
كلي بل احكامهم كفروع الشجرة التي اصلها واحد
فقال الانكليزي فما بال مساجدكم لا تحلونها ولا تزينونها
كما تحلى كنائس النصارى وبيع اليهود

فقال الشيخ قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن زخرفة
المساجد لئلا تلهي المصلي عن الخشوع وحضور القلب مع الله تعالى
ومع ذلك فهي في غاية الاحترام فلا يدخل فيها احد بالنجاسة ولا
القاذورات ولا يتكلم فيها بلفو الحديث ولا يدخلها جنب ولا
حائض ولا نفسا ولا يشهر فيها السلاح ولا ترفع فيها الاصوات
ولو بالعلم فهي مع احترامها وتعظيمها لا تليق زخرفتها ولا تشييدها
لان المقصود فيها التذلل والخشوع ولذلك ورد ابنوا مساجدكم جما
يعني بلا شراريف وابنوا مدائنكم مشرفة وكان موضع مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قبورا للمشركين وخربا ونخل افامر
بالقبور فنبشت وبالحرب فسويت وبالنخل فقطع فصفوا النخل
قبلة المسجد وجعلوا عضائده الحجارة وقال اجعلوه كعريش موسى
وكانت تصل الايدي الى سقفه ولما ولي عمر بن الخطاب الخلافة
وامر بتجديده قال للقيم على العمارة اكنن الناس من الشمس والمطر

واياك ان تحمرا او تصفر فتفتن الناس فاذا فرغت من العارة
 فاجعل فيه القناديل الا انه صلى الله عليه وسلم كان يامر بتطيب
 المساجد وتنظيفها وتجهيزها وصيانتها من الروائح الكريهة ويقول
 ان المسجد لينزوي من الخامة كما تنزوي الجملدة في النار ويقول
 جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وصناعكم وبيعكم وشرائكم
 وخصوماتكم ورفع اصواتكم واقامة حدودكم وسل سيوفكم ولا تتخذوها
 سوقا ولا طريقا ولا تمرؤا فيها بلم نبي

فقال الانكليزي اني ارى لجميع كلامك حلاوة وطلاوة
 ولا يمل من سماعه ولا يسأم من استرجاعه وقد ذكرت جملة من
 احكام الاسلام كالصلاة والزكاة فهل لك ان تفيدني عنها شيئا

فقال اما الصلاة فهي قرينة ذات احرام وسلام او سلام فقط
 وهي افضل الاعمال بعد الشهادتين وهي عروس العبادات اي تشبه
 العرس في اشتغالها على القرآن والدعاء والذكر والتسبيح والتحميد
 والركوع والسجود والخشوع والوقوف بين يدي الله تعالى وغير
 ذلك من العبادات الكثيرة في عبادة واحدة كما ان العرس يشتمل
 على اصناف الماكل والالعب والفرح والزينة والنزاهة ولها شروط
 صحة وشروط وجوب واركان وسنن وفضائل

واما الزكاة فهي مال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص اذا
 بلغ قدرًا مخصوصا في زمن مخصوص ويصرف في جهات مخصوصة
 فقال الانكليزي وما ذلك قال اما المال المخصوص المأخوذ

فهو ربع العشر في العين الذهب والفضة والعشر كاملاً في الحبوب
 اذا سقيت بالسيح ونصف العشر ان سقيت بالآلات وشاة واحدة
 في اربعين شاة الى اخر ما هو مفصل في محله واما المال المخصوص
 الماخوذ منه فهو العين والحرق والماشية واما التدر المخصوص فهو
 النصاب وهو عشرون ديناراً في الذهب ومائتا درهم في الفضة
 وخمسة اوسق في الحبوب الى اخر ما هو مفصل واما الزمن المخصوص
 فهو الحول او مجي الساعي في الماشية او طيب الحبوب واما الجهات
 المخصوصة فهي الاصناف الثمانية المذكورة في الاية انما الصدقات
 للفقراء الخ وشرعة الزكاة لتطهير الاموال والانفس ولها شروط
 واركان واداب يطول شرحها منها انها تخرج من جنس المال
 المذكي فلا يجزيه جنس عن غيره ولا ردي عن جيد ولا سقيم عن
 سليم قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال تعالى
 يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم وما اخرجنا لكم من
 الارض ولا تبهوا الخبيث منه تنفقون

واما الصوم فهو الامساك عما يصل الى الجوف او الرأس من
 قبيل الفجر الى غروب الشمس وله شروط واركان واداب ومن
 فضائله انه يضعف الشهوة ويهذب الخلق ويصفي الباطن ولذلك
 قال صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة
 فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اي قاطع ولم
 يجب منه في كل سنة الا شهر واحد وهو شهر رمضان ولا يقوم

صوم غيره مقامه ويجرم عندنا صوم خمسة ايام من كل سنة وهي يوم
 عيد الفطر ويوم عيد الاضحى والثلاثة التي بعده وتسمى ايام التشريق
 ومن حكمه مشروعية التشبه بالملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام
 فينبغي فيه العزلة عن الناس والاشتغال بالقرآن والصلاة والاذكار
 ومن اداها تعجيل الفطر وتأخير السحور ومنها الافطار على وتر من
 الرطب او التمر وما احسن ما قيل في ذلك
 فطور التمر سنة

رسول الله سنة .

ينال الاجر عبد

يجلي منه سنة

ولا ينبغي ان يجعل شهر فكاهاة ولعب
 واما الحج فهو قصد بيت الله المحرام لاداء فريضة الاسلام ولا
 يجب الا مرة واحدة في العمر ومحل وجوبه ما لم يمنع من ذلك
 مانع كفقرا او اتقطاع طريق او مرض او عدم رفيق قال تعالى والله
 على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
 فقال الانكليزي لا يخفى على حضرة الشيخ ان الله لا مكان
 له فلم خصت هذه العبادة بهذا المكان دون غيره
 فقال الشيخ هكذا اقتضت الحكمة الازلية والارادة الربانية
 قال بعضهم

اني اطلعت على البقاع وجدتها

تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وقد روي ان الله تعالى لما اهبط ادم من الجنة قال له اني مهبط معك بيتا يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى حول عرشي فلما كان زمن الطوفان رفع فكان الانبياء يحجون ولا يعلمون مكانه فلما بوأه الله لابراهيم بناه من خمسة اجبل حراء وثبير ولبنان وجبل الطير وجبل الخيرو كما تفاضل المنازل الروحانية كذلك تفاضل المنازل الجسمانية وهيات ان يساوي المخلق بين دار بناؤها لبن التراب والتبين ودار بناؤها لبن العسجد واللجين ففرق بين مدينة اكثر عمارتها الشهوات ومدينة عمارتها الآيات البينات فقد يجد الانسان قلبه في مكان اكثر ما يجده في غيره وذلك ليس للاجر والتراب بل للاجر والثواب او مجالسة الاتراب كما قال

اقبل ارضا سار فيها جمالها * فكيف بدار فيها جمالها
وقد طاف بهذا البيت مائة واربعة وعشرون الفا من
الانبياء سوى ما لا يعلمه الا الله من الملائكة والاولياء فهو البيت
الذي اصطفاه الله على سائر البيوت وله سر الاولية وقد اثنى عليه
ذو العزة والجبروت قال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي
بيكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن
دخله كان امنا وقال صلى الله عليه وسلم خير بلدة على وجه الارض

واحبها الى الله مكة الى غير ذلك من الاثار الدالة على فضلها
فوالله لولا العوائق الشاغلة لبسطت لك متون اياتها ونشرت
عليك فنون دلائلها وكان قد حان وقت القيام فاستأذن الشيخ
وقام وهو يكرر هذا الكلام

يا رحمة الله للعباد * اودعك الله في الجهاد
يا بيت ربي يا نور قلبي * يا قرة العين يا مرادي
يا كعبة الله يا حبياني * يا منج السعد يا رشادي

المسامرة الخامسة والتسعون

نادر

ثم دخل مخدعه ونام حتى الصباح فافاق فدخل عليه ابنه فقال له اين كانت غيبتك وفيما اتقضت ليلتك قال له كنت مع يعقوب والنخوجا الطلياني في غرفة بجواركم فوجدنا بها كثيراً من رجال ونساء وفيهم صاحبة المنزل وهي التي اخذتني واجلستني بجوارها والذي اخبرني الى هذا الوقت اني رأيت بعضهم يحاجي بعضا بمسائل معماة منها ما كنت افهمه ومنها ما لم اتعقل معناه فقال له والده هل بقي منها في ذهنك شي قال نعم من ذلك ان احدهم قال لثلاثة ممن كان هناك لياخذ كل واحد منكم ورقة اي من الاوراق المعدة للهو واللعب بشرط ان لا تزيد تقطها المرسومة عليها عن تسع فاخذ كل واحد ورقة ثم قال لمن اخذ اولاً ضعف عدد

نقط ورقتك ثم اسقط من المجموع واحدا واضرب الباقي في خمسة
ثم زد على المجموع خمسة ثم اضع الى الجميع رقم ورقة الشخص
الثاني ثم ضعف الحاصل واسقط منه واحدا واضرب الباقي في
خمس ثم اضع الى الجميع رقم ورقة الشخص الثالث ففعل كما
قال ثم قال له فما قدر المجموع فقال كذا فقال حينئذ يكون
لكل واحد من الثلاثة بقدر عدد النقط الذي كان على ورقته
فعمينا من ذلك فلما رأى الطلياني تعجبي قال لا عجب لان ورقة
الاول كان عليها ثلاث نقط وورقة الثاني اربع والثالث سبع
فباسقاط واحد من ستة التي هي ضعف الثلاثة صار الباقي خمسة
وبضربه في خمسة صار الحاصل خمسة وعشرين وبزيادة خمسة
يكون الحاصل ثلاثين وبإضافة رقم الثاني عليه وهو اربعة يكون
الحاصل اربعة وثلاثين فاذا ضعفته صار ثمانية وستين فاذا اسقطت
واحدا بقي سبعة وستون فاذا ضربته في خمسة كان المجموع ثلاثمائة
وخمس وثلاثين وبزيادة خمسة يكون المجموع ثلاثمائة واربعين فاذا
ضم عليه رقم ورقة الثالث وهو سبعة بلغ ثلاثمائة وسبعة واربعين
فلو تأملت ذلك لوجدته مركبا من الارقام التي على الاوراق
الثلاثة

ومنها ان احدهم مد يده الى الطاولة واخذ ثلاثة اوراق وقال
لي اختر في شرك واحدة منها ففعلت ثم وضع الثلاث على الطاولة
بعضها فوق بعض واخذ ثلاثا اخرى وعرضها على النساء اللاتي

كن معنا فاخترت احدهن واحدة منها ثم وضع الاوراق الثلاث
 بعضها فوق بعض ايضا بجزاء الثلاث الاول ثم اخذ ثلاثا اخرى
 وفعل فيها كما فعل فيما قبلها ثم سألتني عن ورقتي في اي صف
 هي فاشرت اليه فاخبرني بها ثم سألت كل ست عن ورقتها في
 اي صف فاشارت اليه فاخبرها بها من غير ان يخطئ ثم فرق
 الثلاث الاولى بعضها بجزاء بعض ثم فرق الثلاث الثانية يجعل
 كل ورقة منها على كل ورقة من الثلاث الاولى وكذلك فعل
 بالثلاث الثالثة فعميت لذلك فقال يعقوب لا تعجب فان الورقة
 الاولى تكون في الصف الاسفل والورقة الثانية تكون في الصف
 الاوسط والورقة الثالثة تكون في الصف الاعلى ثم قال لي يعقوب
 واغرب من ذلك اننا لو فرضنا جميع الورق ستا وثلاثين وقسمناها
 ثلاثة اقسام كل واحد منها اثنا عشرة ورقة وجعلنا ورق كل
 قسم متحاذايا ثم قلنا لانسان اختر في نفسك ورقة من اي قسم
 اردت واردا معرفة هذه الورقة من غير ان نسأل عنها لا يمكن
 ذلك من غير صعوبة ثم قام واخذ الورق الذي كان موجودا
 وقسمه كما قال ثم قال لي اختر في شرك ورقة فاخترت من الصف
 الوسط فجمع ورقة ووضعه بين اوراق الصفين الاخرين بعد جمع
 كل منهما كذلك ثم اخذ الورقة العليا وجعلها مبدأ صف ثم
 الثانية وجعلها مبدأ صف اخر ثم الثالثة كذلك ثم اخذ الرابعة
 فوضعها فوق الاولى والخامسة فوق الثانية ثم السادسة فوق الثالثة

وهكذا حتى جعل الورق ثلاثة اقسام ثم سألتني عن الصف الذي
فيه الورقة التي اخترتها فاشرت له اليه فجمع ورقه ووضع
بين الصفيين ثم وزعه كما فعل في الاول ثم سألتني عن الصف
الذي هي فيه فاخبرته به فقال حينئذ هي في النصف من هذا
الصف فكان كما قال

فلما فهم من كان هناك ان يعقوب دراية بمثل هذه الاحاجي
سأله ان يبيد لي لم شيئاً مما عنده منها فابدى لغزاً على ستة
الورق التي عددها اثنان وخمسون ورقة وقال لإحدى النساء
خذي لي ورقة شئت فاخذت ورقة على غير مرأى منه ثم ضم
اليه الباقي وبعد برهة بين لها العدد الموجود في ورقتها ثم عرض
الورق ثانياً عليهن فاخذت احدهن ورقتين حيث اتفق كما امر
ثم قال لها خذي لكل ورقة اوراقاً حتى تكمل ارقامها خمساً
وعشرين نقطة يعني ان كانت نقط احدى الورقتين ستا تاخذت
عشر ورقة وان كانت تسعاً تاخذت عشر فاخذت كما قال
ثم جمع ما بقي من الورق فكان سبعة عشر فقال لها نقط الورقتين
سبعة عشر فكان كما قال فدهشوا من حذقه وشدة فطنته
خصوصاً الشاب الذي كان يلعب اولاً حتى انه طلب منه ان يعلمه
ما اشكل عليه من احاجيه فاجابه الى ما طلب ثم لما علمنا قيامكم
فينا فدخلت محلنا ومعني يعقوب فاراني من ذلك اموراً كثيرة
ووعدني بغيرها فسألته عن الشكل الاول وكيف عرف الرقم

الذي على الورقة التي كانت اخذتها المرأة من غير ان يسألها عنه
فقال لي طريقة معرفة ذلك ان تجمع جميع ارقام الورق وتعمل
المخادم مثلا منها مقدراً باحد عشر والبنيت باثني عشر والباباز
بثلاثة عشر ثم تجمع رقم الورقة الاولى على الثانية والحاصل على
الثالثة فاذا زاد الحاصل على ثلاثة عشر فاستطها منه واضف الباقي
الى رقم الورقة الرابعة فاذا زاد الحاصل على ثلاثة عشر فاستطها
منه كما تقدم ولا يلزم ان تعد رقم الباباز لانه ثلاثة عشر وهكذا الى
ان تنتهي الى عدد منه تعلم الورق الناقصة ورقها مثلا اذا كان
الباقي الاخير احد عشر دل على المخادم وان كان اثني عشر دل
على البنيت وان كان صفرا دل على الباباز فلو فرض ان عدد
الورق كان اثنين وثلاثين فطريق معرفتها هي طريق الاثنين
وخمسين بعينها لكن الاسقاط يكون عشرة عشرة لا ثلاثة
عشر فاذا وصلت الى الورقة الاخيرة تظم على الحاصل اربعة فان
كان اقل من عشرة فاطرحه منها فان الباقي يكون عدد رقم
الورقة الماخوذة وان كان الباقي اكثر من عشرة فاطرحه من
عشرين فيكون الباقي عدد تلك الورقة فان كان الباقي اثنين
دل على المخادم وان كان ثلاثة دل على البنيت وان كان اربعة
دل على الباباز ثم قال لي واذا فرضنا ان احد المخاضرين اخذ
ثلاث اوراق وارادنا معرفة حاصل اعدادها فطريقة ذلك ان نأخذ
دسته ورق من اوراق اللعب يكون عدد ورقها يقبل القسمة اثلاثا

بان تكون ستا وثلاثين مثلاً ثم نقول للذي اخذ الاوراق الثلاث
خذ لكل ورقة قدرًا من الورق يبلغ بالرقم الذي على الورقة احد
عشر فاذا فرض ان رقم احدى الورقات التي اخذها تسعة ياخذ
ها ورقتين وان الثانية سبعة ياخذها اربعا وان الثالثة ستة ياخذ
ها خمسا فيكون مجموع الورق المأخوذ في هذا المثال اربعة عشر
والباقي اثنين وعشرين وهو جملة ارقام الورقات الثلاث المأخوذة
اولا

ولنا في حلها طريقة اخرى وهي ان نقول للذي اخذ الاوراق
الثلاث استقط في شرك رقم كل ورقة من اثني عشر واجمع البواقي
الثلاث ثم نستعلم منه عن الحاصل ونستقطه من عدد ورق اللعب
وهو ستة وثلاثون فيكون الباقي اثنين وعشرين وهو المطلوب مثلاً
اذا كان رقم ورقة تسعة وورقة سبعة وورقة ستة كان باقي الاولى
ثلاثة وباقي الثانية خمسة وباقي الثالثة ستة ومجموع هذه البواقي
اربعة عشر فاذا استقطناه من عدد الورق وهو ستة وثلاثون كان
الباقي اثنين وعشرين وهو المطلوب ولو كان عدد الورق اكثر من
سته وثلاثين بان كان اثنين وخمسين مثلاً واردنا معرفة ارقام
الاوراق الثلاث استعملنا عدداً اكثر من عشرة واقل من سبعة عشر
الذي هو ثلث الاثنين وخمسين بعد الكسر كخمسة عشر ثم نقول
للذي اخذ الاوراق الثلاث خذ لكل ورقة ورقاً من اوراق
اللعب حتى يتم رقم الورقة بالورق المأخوذ خمسة عشر كان ياخذ

في المثال ستة للورقة التي رقمها تسعة وثمانية التي رقمها سبعة وتسعة
 التي رقمها ستة فمجموع الاوراق الماخوذة وهو ستة وثمانية وتسعة
 ثلاثة وعشرون تضم الى الثلاث الماخوذة اولا فيكون الحاصل
 ستة وعشرون والباقي ستة وعشرين نطرح منه اربعة فرق ما بين
 اصل عدد الورق وهو اثنان وخمسون وبين ثلاثة امثال العدد
 المستعمل وهو خمسة عشر مضافا عليه ثلاثة اي ثمانية واربعون
 يكون الباقي اثنين وعشرين وهو المطلوب وهناك طريقة عامة اي
 سواء كان ورق اللعب اثنين وخمسين او ستة وثلاثين وسواء
 كان في كل من الحالتين كاملا او ناقصا وسواء كان العدد
 المستعمل خمسة عشر او ثلاثة عشر او اربعة عشر او ستة عشر وسواء
 كان عدد الورق الماخوذ ثلاثة او اربعة او غير ذلك

وهي ان تضرب العدد الذي استعملته في عدد الورق
 الماخوذ وتضيف الى الحاصل عدد الورقات الماخوذة ثم تسقط
 الحاصل من عدد ورق اللعب المستعمل اي من اثنين وخمسين
 ان كان عدده مركبا من اثنين وخمسين ومن ستة وثلاثين ان كان
 مركبا من ستة وثلاثين فيكون الباقي هو العدد اللازم اسقاطه من
 الورق الذي يكون باقيا من ورق اللعب وباقي الطرح هو المطلوب
 مثلا اذا فرض ان الماخوذ اربع ورقات وان رقم احداها ثلاثة
 والثانية خمسة والثالثة سبعة والرابعة عشرة وفرض ان العدد المختار
 احد عشر يضرب احد عشر في اربعة يكون الحاصل اربعة واربعين

يضم عليه اربعة فيصير ثمانية واربعين تطرحه من اثنين وخمسين
 يكون الباقي اربعة تطرحها من تسعة وعشرين فيكون الباقي خمسة
 وعشرين وهو مجموع ارقام الاوراق الاربع المأخوذة ورقم تسعة
 وعشرين السابق هو الورق الذي بقي من ورق اللعب بعد تكميل
 كل ورقة من الورق المأخوذ احد عشر كما مر لانا ناخذ للاولى
 ثمانية وللثانية ستة وللثالثة اربعة وللرابعة واحدا ومجموع ذلك تسعة
 عشر فاذا اضفنا له الاربعة التي اخذت كان الحاصل ثلاثة
 وعشرين اذا طرحناها من اثنين وخمسين كان الباقي تسعة وعشرين
 كما ذكرنا

وهناك دقيقتان ينبغي التنبه لها الاولى ما اذا فرض ان ارقام
 الاوراق الاربع مثلا كانت واحدا وثلاثة واربعة وسبعة وفرض
 ان العدد المختار اثني عشر فيلزم على قياس ما مر ان نضرب اثني
 عشر في اربعة يكون الحاصل ثمانية واربعين ونضم عليه اربعة
 عدد الاوراق يحصل اثنين وخمسين وهو قدر عدد ورق اللعب
 فحينئذ يكون الفرق بينهما صفرا ففي هذه الحالة وما مائلها يكون
 الورق الباقي بعد المأخوذ هو مجموع ارقام الاوراق الاربع المأخوذة
 وبيانه انه اذا اخذ للورقة الاولى احدى عشر ورقة لتكميل العدد
 اثني عشر واخذ للثانية تسعة وللثالثة ثمانية وللرابعة خمسة ومجموع
 ذلك ثلاثة وثلاثون فاذا اضيف له اربعة وهو عدد الورق المأخوذ
 يكون تسعة وثلاثين فاذا طرحه من عدد الورق الذي هو اثنان

وخمسون فان الباقي يكون خمسة عشر وهو ارقام الورقات الاربع
المأخوذة

والثانية ما لو فرضنا ان المأخوذ ثلاث ورقات من ورق
عدده ستة وثلاثون وكانت ارقام الثلاث المأخوذة اربعة وسبعة
وتسعة والعدد المختار خمسة عشر فعلى قياس ما مر نضرب خمسة
عشر في ثلاثة يكون الحاصل خمسة واربعين نضم له ثلاثة يكون
ثمانية واربعين وهو اكثر من عدد ورق اللعب ففي هذه الحالة
سقط الاصغر وهو ستة وثلاثون من الاكبر وهو ثمانية واربعون
فيكون الباقي اثني عشر نضيفه الى الورق الباقي بعد المأخوذ فيكون
حاصل الجمع هو ارقام الورقات الثلاث المأخوذة ففي هذا المثال
لاجل تكميل ارقام كل ورقة خمسة عشر نأخذ للاولى احد عشر
وللثانية ثمانية وللثالثة ستة وحاصل الثلاث خمسة وعشرون
وبإضافة الورقات الثلاث يكون الحاصل ثمانية وعشرين نستقطه
من عدد ستة وثلاثين الذي هو ورق اللعب يكون الباقي ثمانية
نضيف له الاثني عشر وهو الفضل بين الستة والثلاثين والثانية
والاربعين فيكون الحاصل عشرين وهو ارقام الاوراق الثلاث
وقد نظراً دقيقة ثالثة وهي ما لو فرض ان ارقام الورقات
الثلاث اثنان وثلاثة واربعة وكان العدد المختار خمسة عشر وعدد
الورق ستة وثلاثين ففي هذه الحالة يلزم لاجل تكميل رقم الورقة
الاولى ان نأخذ لها ثلاثة عشر وللثانية اثني عشر وللثالثة نأخذ

عشر ومجموع ذلك ستة وثلاثون يضم له عدد الورقات الثلاث
فيكون تسعة وثلاثين وهو أكثر من عدد ورق اللعب بقدر
ثلاثة ففي مثل هذه الحالة تسقط ثلاثة من اثني عشر التي هي
الفرق ما بين ثمانية وأربعين وستة وثلاثين فيكون الباقي تسعة
وهو ارقام الورقات الثلاث وهكذا

فقال الشيخ لا بأس بهذه المعايير لما فيها من توسيع العقل
والإعانة على معرفة الحساب ويقرب من ذلك ما سمعته في صغري
وهو ما لو فرضنا أن إنساناً معه ثلاثة أوعية أحدها يسع ثمانية
ارطال والثاني خمسة والثالث ثلاثة وكان الكبير مملواً والاثنتان
الباقيتان فارغتين وأردنا أن نضع نصف ما فيه في الأثناء الوسط
فيلزم

أولاً أن نملأ من الكبير فتكون فيه خمسة وفي الكبير ثلاثة
ثانياً نملأ الصغير من الوسط فيكون حينئذٍ في الصغير ثلاثة
وفي الوسط اثنتان وفي الكبير ثلاثة
ثالثاً نضع ما في الأصغر على ما في الأكبر فيكون في الوسط
اثنتان وفي الكبير ستة والصغير فارغاً
رابعاً نضع ما في الوسط في الأصغر فيكون فيه اثنتان وفي
الكبير ستة والوسط فارغاً
خامساً نملأ الوسط من الكبير فيبقى فيه واحد والأصغر اثنتان
والوسط خمسة

سادسا حيث وصلنا لهذا الحد نكمل الاناء الصغير مما في
الوسط فيكون فيه ثلاثة وفي الوسط اربعة وفي الكبير واحد فحينئذ
قد انقسم الزيت كما هو المطلوب

فقال ابن الشيخ لو اردنا بقاء نصف الزيت في الاناء الكبير
كيف نفعل

فقال الشيخ نملاً الصغير اولا فيكون فيه ثلاثة وفي الكبير
خمسة

ثانياً نقل ما في الصغير في الوسط فيكون فيه ثلاثة وفي
الكبير خمسة

ثالثاً نملاً الصغير من الكبير فيكون فيه ثلاثة وفي الوسط
ثلاثة وفي الكبير اثنان

رابعاً نكمل الوسط من الصغير فيكون فيه واحد وفي الوسط
خمسة وفي الكبير اثنان

خامساً نضع ما في الوسط في الكبير فيكون في الصغير واحد
وفي الكبير سبعة

سادساً نضع ما في الصغير في الوسط فيكون فيه واحد وفي
الكبير سبعة والصغير فارغاً

سابعاً نملاً الصغير من الكبير فيكون في الصغير ثلاثة وفي
الوسط واحد وفي الكبير اربعة وهو المراد

ثم قال لو فرضنا ان الاناء الكبير يسع اثني عشر رطلاً و اردنا

انفصال النصف لنعطيه لبعض الناس ولم يكن معنا الا انا
 اخران احدهما يسع سبعة ارطال والاخر خمسة فطريق العمل هكذا
 نملاً الصغير اولا فيكون فيه خمسة ويبقى في الكبير سبعة
 ثانياً ننقل ما في الصغير الى الوسط فيكون فيه خمسة وفي
 الكبير سبعة

ثالثاً نملاً الوسط من الكبير فيكون في الصغير خمسة وفي
 الوسط خمسة وفي الكبير اثنان

رابعاً نكمل الوسط من الصغير فيكون في الصغير ثلاثة وفي
 الوسط سبعة وفي الكبير اثنان

خامساً نضع ما في الوسط في الكبير وما في الصغير في الوسط
 فيكون في الوسط ثلاثة وفي الكبير تسعة

سادساً نملاً الصغير من الكبير والوسط من الصغير فينتد
 يكون في الصغير واحد وفي الوسط سبعة وفي الكبير اربعة

سابعاً ننقل ما في الوسط للكبير وما في الصغير للوسط فيكون
 في الوسط واحد وفي الكبير احد عشر

ثامناً نكمل الوسط من الكبير فيكون في الوسط ستة وفي
 الكبير ستة وهو المطلوب

وبيناها على هذا الحال واذا يعقوب قد دخل فقال له
 الشيخ اني اتبعت طريقتك ونهجت محجك وان لم ابلغ في ذلك
 درجتك وقد التبت على ولدي بعض امثال اترب ما كتبا فيه

هذه الليلة وحكى له مسألة تقسيم الزيت في الاواني الثلاثة
 فقال يعقوب هذه المسألة مثل ما اذا كان المراد تقسيم واحد
 وعشرين برميلا ثلثها مملو من المائع وثلثها فارغ والثلث الثالث
 على النصف على ثلاثة كل واحد ثلثها وثلث المائع
 فقال ابن الشيخ ياخذ كل واحد سبعة فقال يعقوب هذا
 ظاهر اذا كانت البراميل كلها فارغة او مملوة او متساوية المقادير
 وفرض المسألة ليس شيئاً من ذلك ولو تأملت لعرفت حلها لان
 عدد سبعة يمكن تحليله الى ثلاثة اعداد وهي اثنان واثنان وثلاثة
 وكل من هذه الاعداد تحل به المسئلة فنعطي مثلاً للاول اثنين
 مملوئين واثنين فارغين وثلاثة على النصف

وللثاني اثنين مملوئين واثنين فارغين وثلاثة على النصف
 وللثالث ثلاثة مملوة وثلاثة فارغة وواحداً منصفاً وبهذه
 الكيفية يكون مع كل واحد من الثلاثة قدر ما مع الاخر من
 البراميل والمائع

ويمكن حلها بطريق اخر وهو ان يعطى للاول ثلاثة ملائنة
 وثلاثة فارغة وواحد على النصف وللثاني ثلاثة ملائنة وثلاثة فارغة
 وواحد على النصف

وللثالث واحد مملو وواحد فارغ وخمسة على النصف ففي
 هذه الطريقة ايضاً اخذ كل منهم الثلث في كل من الظروف
 والظروف

ثم لاجل حل كل ما يشبه هذه المسألة يلزم ان يكون خارج قسمة عدد البراميل على عدد الاشخاص عدداً صحيحاً فلو لم يكن كذلك لم تنبأ القسمة كما لو طلب تقسيم واحد وعشرين برميلا على اربعة فهذا لا يمكن بخلاف تقسيم اربعة وعشرين برميلا على اربعة فلا شك في امكانه فان خارج القسمة ستة فالذي يلزم هو تحليل خارج القسمة الى اجزاء صحيحة بقدر عدد الاشخاص ففي هذا المثال الاجزاء التي يتحلل اليها ستة هي ٢، ٢، وواحد وواحد ولا يكون غير ذلك فعلى هذا يعطى للاول اثنان مملوآن واثنان فارغان وواحد على النصف وواحد على النصف

وللثالث واحد مملو وواحد فارغ واثنان على النصف واثنان

على النصف

وللرابع واحد مملو وواحد فارغ واثنان على النصف واثنان على النصف فلو فرضناها سبعة وعشرين برميلا ثلثها مملو وثلثها على النصف وثلثها فارغ واريد تقسيمها على ثلاثة فالقسمة ممكنة لان خارج القسمة تسعة ولها ثلاث كيفيات

الاولى يعطى لكل منهم تسعة براميل كل ثلاثة من نوع الثانية يعطى للاول واحد مملو وواحد فارغ وسبعة على

النصف

وللثاني اربعة مملوة واربعة فارغة وواحد على النصف

وللثالث اربعة مملوة واربعة فارغة وواحد على النصف
 فياخذ بهذه الطريقة كل واحد تسعة
 والكيفية الثالثة ان يعطى للاول اثنان مملوان واثنان فارغان
 وخمسة على النصف

وللثاني ثلاثة مملوة وثلاثة فارغة وثلاثة على النصف
 وللثالث ٤ مملوة واربعة فارغة وواحد على النصف
 وفي هذه المسائل وما يشبهها كتب طويلة وجدت منها كتاباً
 مع احد اصحابي المراكبية الذين كنت اجتمع بهم عند الفراغ من
 الشغل فكان يغنيني عن مفاكرة الانيس ومحادثة المجلس وقد
 حفظت منها اشياء كثيرة وان شاء الله في وقت غير هذا تكلم فيما
 يحضرني منها فاني جئت الان مرسولاً من قبل الخواجا لاعلمكم انه
 ينتظر حضرتكم حيث تكون الساعة ١٠ افرنجية وها انا متوجه نحو
 المدينة لقضاء بعض اشغال امرني بها

المسامرة السادسة والتسعون

التدين

ثم استأذن الشيخ وتوجه فجلس الشيخ مع ولده برهة ثم نظر في الساعة فوجد الوقت قد أزف فقام متوجها اليه ومعه ولده فلما دخلا عليه قام لها واجلسها وأنسها ثم قال للشيخ ان رئيس الجمعية ارسل لي تذكرة يسلم فيها على حضرتكم ويخبرني انه في انتظارنا جميعا في الساعة المعينة بيننا وبينه ويقول ان من شأن الكرام اذا وعدوا وفوا بوعدهم وقد بقي من الوقت ثلاث ساعات فلما علم ابن الشيخ امتداد الوقت استأذن والده في الذهاب مع يعقوب فاذن له فقال ابن الشيخ ليعقوب الى اين تريد فقال ان حضرة الخوجا اشترى بالامس نظارة معظيمة من احد المخازن وكان بها بعض نقص فامر صاحبها باتمامه وقد اعطاني ثمنها لاحضرها له

فقال ابن الشيخ اذكر حين كنا بالمركب وحضرة الخواجا
بذكر لنا بعض كلمات تتعلق بالنظارات وكان قد وعد ان يشرحها
لنا اذا وصلنا الى باريس فعسى ان يكون مشتراها لانجاز ما وعد
فقال يعقوب زبنا كان كذلك ولكنه لم يخبرني عن شي

وبيناها سائران انا باناس كثيرين يدخلون كنيسة وعلى
بابها عربات كثيرة وخدم وكلم في زي غير معتاد وعلى ابواب الكنيسة
عساكر بملابس رسمية وجميع آلات الموسيقى تضرب فسأل ابن الشيخ
يعقوب فقال له هذا معبد النصارى الذي يعبدون فيه فقال
وما المناسبة بين محل العبادة الدينية والملاهي الدنيوية

فقال يعقوب الباريزيون دائماً المحظوظ النفسية فلا يفارقونها
سواء كانوا في المعابد او التيارات او غيرها فتجد في كل منها ما
في الثاني من المحظوظ ولا فرق بينهما الا بكثرة ما بوقد في الكنيسة
من الشموع وما يحرق فيها من الخجور وكثرة النساء والشبان
وميلهم الى الاصوات الحسان لا يكون للتسيس شهرة بينهم الا بحسن
الملابس ونضارة الزي وكثرة الوشي وما اشبه ذلك

فقال ابن الشيخ لو دخلنا لعلمنا حقيقة الحال

فقال يعقوب لا باس في دخولنا فدخلا فوجدا ازدحاما عظيما
من رجال ونساء ولكل هيئة مخصوصة به وقت عبادته فترى
الرجال وقوفا رؤسهم مكشوفة والنساء جاثيات على ركبتين
وبايديهن كتب صغيرة منقوشة وعلى جلودها رسوم بماء الذهب

واللجين وعلى النساء والرجال افخر الملابس واما القسيسون فلا يراهم الداخل الاعلى بعد وكانت ملابسهم اذ ذاك مكلمة بالذهب ومزركشة بالفضة ومزينة برسوم يقضى لها بالعجب وكان كبيرهم يتكلم بصوت عال رخيم كأنه خطيب على مرتفع عظيم الا ان ابن الشيخ لم يعرف كيفية هذه العبادة لانه لم يسبق له في هذا الامر عادة فعجب كل العجب وطرب ما رآه غاية الطرب سيما واصوات الآلات والالحان كانت تخلط باصوات القسيسين فسأل يعقوب عما يقوله القسيس وعن اللسان الذي يتكلم به فقال يعقوب اما قوله ففي الامور الدينية مثل الصلوات والادعية واما لسانه فاللاتيني

فقال ابن الشيخ اذا لا علم للحاضرين بما يقول فقال نعم ولكنها رسوم يؤدونها واوليك ان تكتفي الان بالنظر والمشاهدة وكان ابن الشيخ وقت دخوله لم ينزع عمامته فراه احد الخدم فامره بان يكشف راسه ففعل ولم يتوقف ولكنه عجب من اعتنائهم بكشف الرؤس مع عدم خلعهم النعال ورأى كلاباً كثيرة مع اربابها داخل المعبد ولا انكار على احد من احد فزاد عجبه من ذلك ورأى جميع حائط الكنيسة من الداخل مكسوا بالجوخ الاسود والشموع موقودة في جميع اماكنها ثم التفت ابن الشيخ فرأى ميتاً قد حضروا به وقدامه عدد كثير من القسيسين والرهبان لابسين الملابس الرسمية فوضعوه وجعلوا يطوفون حوله

ثم اخذ ابن الشيخ بيد يعقوب وخرجا من الكنيسة وقد رأى
يعقوب ان ابن الشيخ تأثر من تلك المناظر فسأله عن السبب
فقال يسؤني ان ارى المعابد على غير ما وضعت له فانظر الى مساجدنا
وقارن بيننا فيها وبين الافرنج في كنائسهم تجد فرقا عظيما فان اجتماع
المسلمين في المساجد عندنا ان كان للصلاة على الجنازة لم يفعلوا الا
ما يعود نفعه على الميت من الصلاة عليه والاستغفار له سواء كان
الميت غنيا او فقيرا صغيرا او كبيرا وان كان لاداء فريضة كانوا
على غاية من الخضوع والخشوع ولذلك يطلب من الانسان قبل
شروعه في الصلاة طهارة بدنه وثوبه والتوجه الى ربه بقلبه وقلبه
والتخلي عن الاخلاق الرديئة والتعلي بالاخلاق المرضية

فقال يعقوب قد كان امر الدين قبل الان بعدة قرون عند
جميع الامم من اهم الامور وكانت اماكن العبادة اكثر احتراماً واعتباراً
من جميع الاماكن وبعض من يجهل سر ذلك يزعم ان الاديان انما
كانت معظمة في الزمن السابق لجهل الامم اذ ذاك بحال امر
الديانة ويقول ان رقاب الخلق كانت بايدي القسيسين يتصرفون
فيها تصرف السادات في عبيدهم واما الان فقد استغنى الناس
عن ذلك لعلمهم بثمرات التمدن وصار كل انسان في غنية عنهم
ويمكنه الاهتداء بنفسه الى ما فيه صلاح له وليس احد ملزماً باتباع
دين دون اخر فله اختيار اي دين شاء وله ان لا يتدين بدين

اصلا فمن هذا وامثاله تغيرت عقيدة الناس فصار جال اغلب بقاع
اوروبا كما ترى من قلة التدين

وحال الكنيسة في المونى يخلف باختلاف الناس فانغني
نعقد له محافل مثل ما رأيت وذلك على حسب ما يصرف من
التقود

واما الفقير فربما لا يفعل له شي من ذلك اصلا ومع ذلك
فلو تأملت جميع هولاء الناس بعد خروجهم من الكنيسة وتفقدت
احوالهم لوجدتها مخالفة لامور الديانة بالكلية فان البنت تقول
لامها مثلا فلانة كانت في زي كذا وفلانة في زي كذا او فلانة
اجادت الغناء اكثر من فلانة وكسوة سيدي التيسيس كانت كذا
وكذا ورأيت سيدي التيسيس فلانا يتكلم مع فلانة سرا او علانية
وهلم جراً ولا تكاد تسمع في ذلك اليوم الا الكلام في قدر ما احرق
من الشموع والبخور وكسوة الكنيسة وما اعطي للقسس وما زخرفت
به خشبة الميت ومن مشى خلفه او امامه من الاعيان والامراء ونحو
ذلك وقل ان تسمع احداً يذكر اسم من قبضت روحه او من قبضها
واذا سمع ذلك لا يكون الا من امرأة عجوز منهم

ولما وصلوا الى الخانوت الذي قصده يعقوب تلقاها صاحب
الخانوت وامر لها بكرسيين واجلسها ثم قال ان الصندوق قد تم
من مدة وكنت عازما على ارساله لحضرة الخوجا لظني انك لا تتاخر
عن الميعاد الا لعذر

فقال يعقوب انه بعثني في الوقت الذي عينته له وانما تأخرت
لان ابن الشيخ رأى في طريقنا جنازة فاحب ان يدخل الكنيسة
ليعرف العوائد الجارية هنا في الجنازات فمكثنا بها حتى علم
عوائدهم في موتاهم فهذا هو الذي اخبرني عن الحضور في الوقت
المعين

فقال صاحب الخانات اظن ان القسيسين احتفلوا بهذه
الجنازة فاني سمعت انه صرف للكنيسة نحو ثلاثين الف
فرنك وانه اجتمع في الجنازة جم غفير وكنت تهبأت للذهاب لانظر
ما هناك فمنعني مانع وهو اني كنت في جهة سراي الملك ثم قال وماذا
قال صاحبك المصري فيما رأى وهل تشييع الجنازات في بلده كما
رآه في بلادنا ففهم ابن الشيخ كلامه ولكنه هاب ان يكلمه باللغة
الفرنساوية خوفاً من العثرة فيها

فقال ليعقوب بالعربية قل له ان عوائد المسلمين في ذلك
ليست كعوائدكم فان المسلمين اذا مات منهم احد وكان مشهوراً
بشيء من مناقب الصالحين لا يلتفت لما له بل يجتمع لجنازته كل
من سمع بموته وان لم يكن من اهله ولا من ذوي قرابه فاعتبار
الميت عندنا وعدم اعتباره بعد ماته تابع لما كان يعمله من خير
او شر في حياته فان كان كثير الاحسان سليم القلب طاهر اللسان
متعوداً على فعل الخير دائم السعي في نفع الغير محباً للمساكين
والفقراء مؤدياً ما اوجبه الله عليه في السراء والضراء حزين لموته

الاجانب ورثوه اكثر من اقاربه الذين ورثوه وان كان بخلاف
 ذلك في حياته لاقى ما يسؤه ويسوء اقاربه بعد وفاته فقد يكون
 الشخص عندنا فقير الحال لا وارث له ولا مال ويجمع في جنازته
 من الرجال والنساء ما يضيق عنه الفضا ويصلون عليه ويمشون
 خلفه وبين يديه يستغفرون له ويعددون محاسنه الى ان يدفنوه
 فاذا فرغوا من دفنه عزوا اقاربه ان كان له اقارب والا عزى
 بعضهم بعضاً ثم يرجعون الى منزل الميت ان كان له منزل يليق
 بالعزاء والا فالى محل يليق به ويبذل اهل الثروة والمزوة ما في
 وسعهم من الخدمة ورفع الكلف عن اقارب الميت ويعملون له
 الختمات والسج ونحو ذلك من العوائد التي يعود نفعها على الميت
 كاطعام الطعام وغير ذلك الى ثلاثة ايام او اكثر على حسب
 فضائل الميت قلة وكثرة كل ذلك واقارب الميت لا شغل لهم الا
 مقابلة الواردين وتشجيع الصادرين واما اذا كان الميت بخلاف
 ذلك فلا يعبا احد بجنازته ولا يعلم كيف ولا متى صار الى حفرة
 ولو كان غنيا متمولا ذا ثروة وعلى كل حال لا يجب في تركه الميت
 ولا على ورثته سوى غسله وتكفينه والصلاة عليه ومواراته في تربته
 الا ان كان اوصى في حياته ببعض خيرات تعمل له بعد ماته
 ومن الاحكام الدينية انه اذا مات الميت منا وخلف ولداً
 قاصراً او حملاً في بطن امه حرم علينا استعمال شي من مخلفاته ولو
 فرشاً او آنية حتى شرب الماء الى ان تقسم التركة وتبين الانصبا

وهنا وقف ابن الشيخ عن الكلام فترجم يعقوب مقاله
ثم قال لصاحب الخان ان الخواجا في انتظارنا فهات الصندوق
فناوله اياه فانصرفا به يجدان في السير الى ان وصلا فوجدا الشيخ
وصاحبه في انتظارها فقال الخواجا ليعقوب ما اخرجك الى هذا الوقت
واخذ يلومه ويعنفه واره خلقا لم يكن من قبل فيه يعرفه وكان من
عادة يعقوب ان لا يكلم عنهم شيئا من خبره فذكر لهم ما كان من
امر الكنيسة ورغبة ابن الشيخ في دخولها فكف عن لومه ثم التفت
الى ابن الشيخ فرأى على وجهه علامات الخجل فقال لا بأس عليكما
حيث كان في تاخركما فائدة

(انتهى الجزء الثالث وبله الجزء الرابع)

فهرس

الجزء الثالث

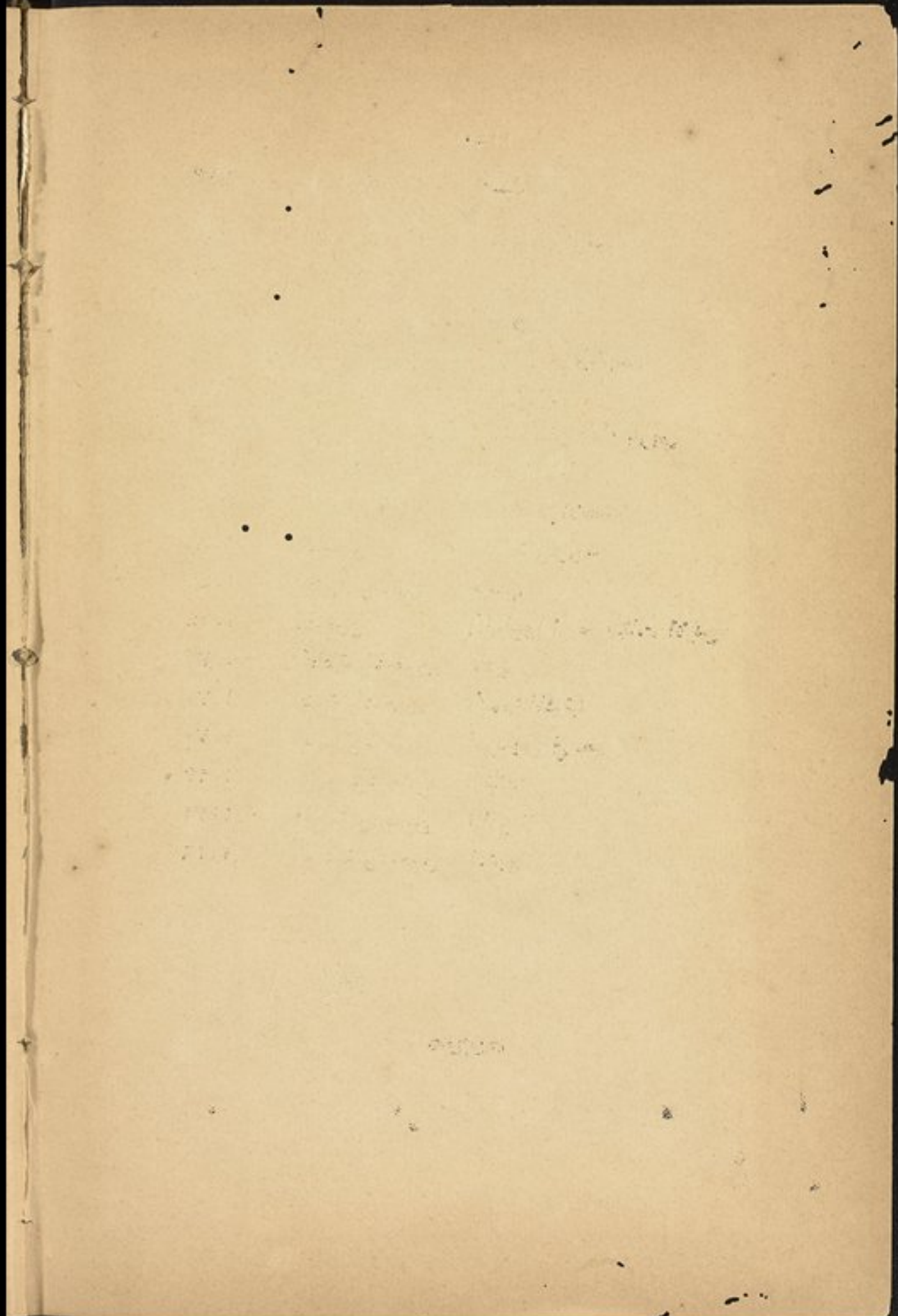
من كتاب

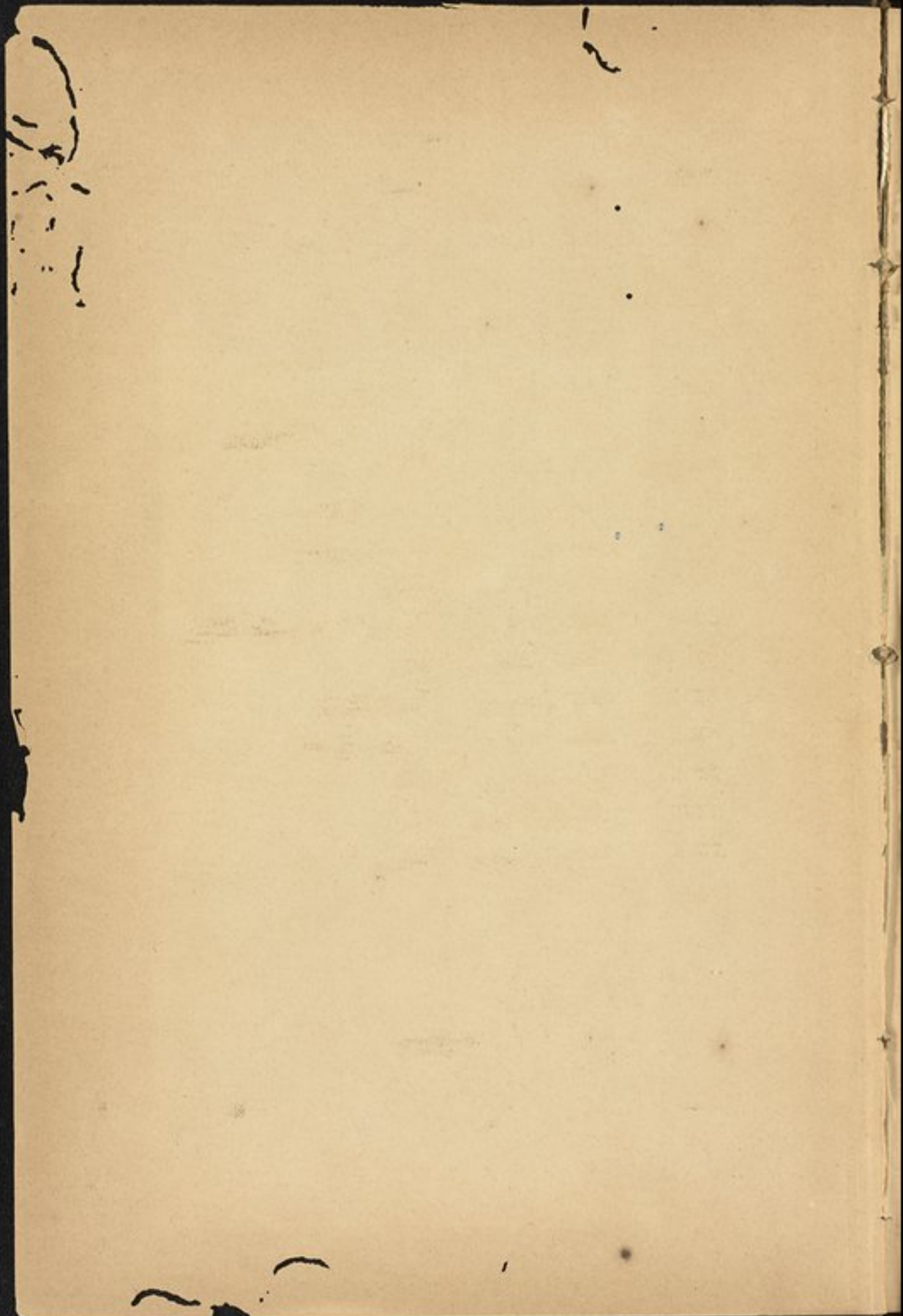
علم الدين

| صفحة | المسامرة | في |
|------|------------------|-------------------------------------|
| ٧٨٥ | الثامنة والستون | عود الى حكاية يعقوب |
| ٧٩٠ | التاسعة والستون | السباع (من حكاية يعقوب) |
| ٧٩٤ | المبعون | ابن آوي (من حكاية يعقوب) |
| ٧٩٦ | الحادية والسبعون | النمر (من حكاية يعقوب) |
| ٧٩٦ | الثانية والسبعون | القرقة (من حكاية يعقوب) |
| ٨٠٥ | الثالثة والسبعون | سور الزباد (من حكاية يعقوب) |
| ٨٠٨ | الرابعة والسبعون | الوصول الى باريس |
| ٨١٦ | الخامسة والسبعون | لمحة في باريس |
| ٨٢٤ | السادسة والسبعون | الحبوان العجيب |
| ٨٢٤ | السابعة والسبعون | حبة البحر والمائثة (من حكاية يعقوب) |
| ٨٥٠ | الثامنة والسبعون | كاشالو او العنبر (من حكاية يعقوب) |
| ٨٥٢ | التاسعة والسبعون | نمة قصة يعقوب |

| صفحة | المسامرة | في |
|------|-------------------|-------------------------------|
| ٨٥٧ | الثمانون | سوق في باريس |
| ٨٦٥ | الحادية والثمانون | باريس |
| ٩٠٧ | الثانية والثمانون | البالو |
| ٩١٢ | الثالثة والثمانون | اهرام مصر والمقاييس |
| ٩٤١ | الرابعة والثمانون | نبذة تاريخية |
| ٩٦٠ | الخامسة والثمانون | وصف بعض انحاء باريس |
| ٩٧٢ | السادسة والثمانون | تعدد الزوجات |
| ٩٨٢ | السابعة والثمانون | التعداد او الاحصاء |
| ١٠٠٨ | الثامنة والثمانون | الفلاحة والزراعة |
| ١٠٤٢ | التاسعة والثمانون | قرصاي |
| ١٠٥٤ | التسعون | الجيولوجيا او علم طبقات الارض |
| ١٠٧١ | الحادية والتسعون | نادرة |
| ١٠٧٧ | الثانية والتسعون | الجمعية المشرقية |
| ١٠٧٩ | الثالثة والتسعون | الفرنسيس في مصر |
| ١٠٩٢ | الرابعة والتسعون | العقائد |
| ١١٢١ | الخامسة والتسعون | نوادر |
| ١١٢٦ | السادسة والتسعون | التدين |







DATE DUE

MAY 31 2006

MAR 05 2006

JAN 16 2007

FEB 11 2007

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0038769735

PJ
7814
.I5
A45

v. 3

AUG 29 1973

Handwritten scribble

